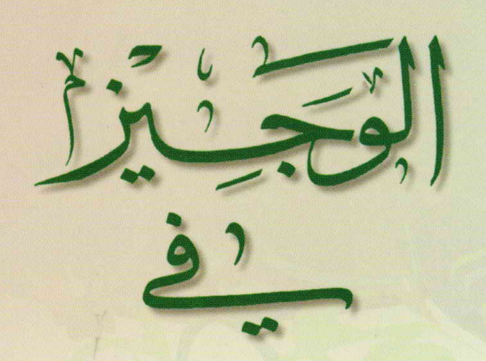


الإمامة والولاية

المحامي
أحمد حسين يعقوب

الغدير


شبكة الفكر
alfeker.net

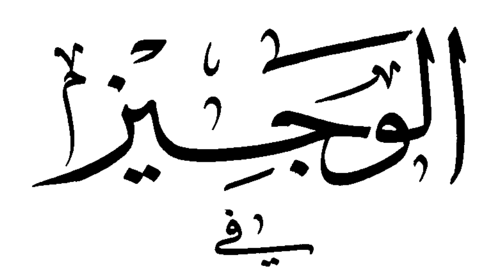

الوجيز
في
الإمامة والولاية

الطبعة الأولىٰ
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م



حارة حريك - بناية البنك اللبناني السويسري
هاتف: ٦٤٤٦٦٢(٠٣) - ص.ب ٥٠/ ٢٤ بيروت - لبنان





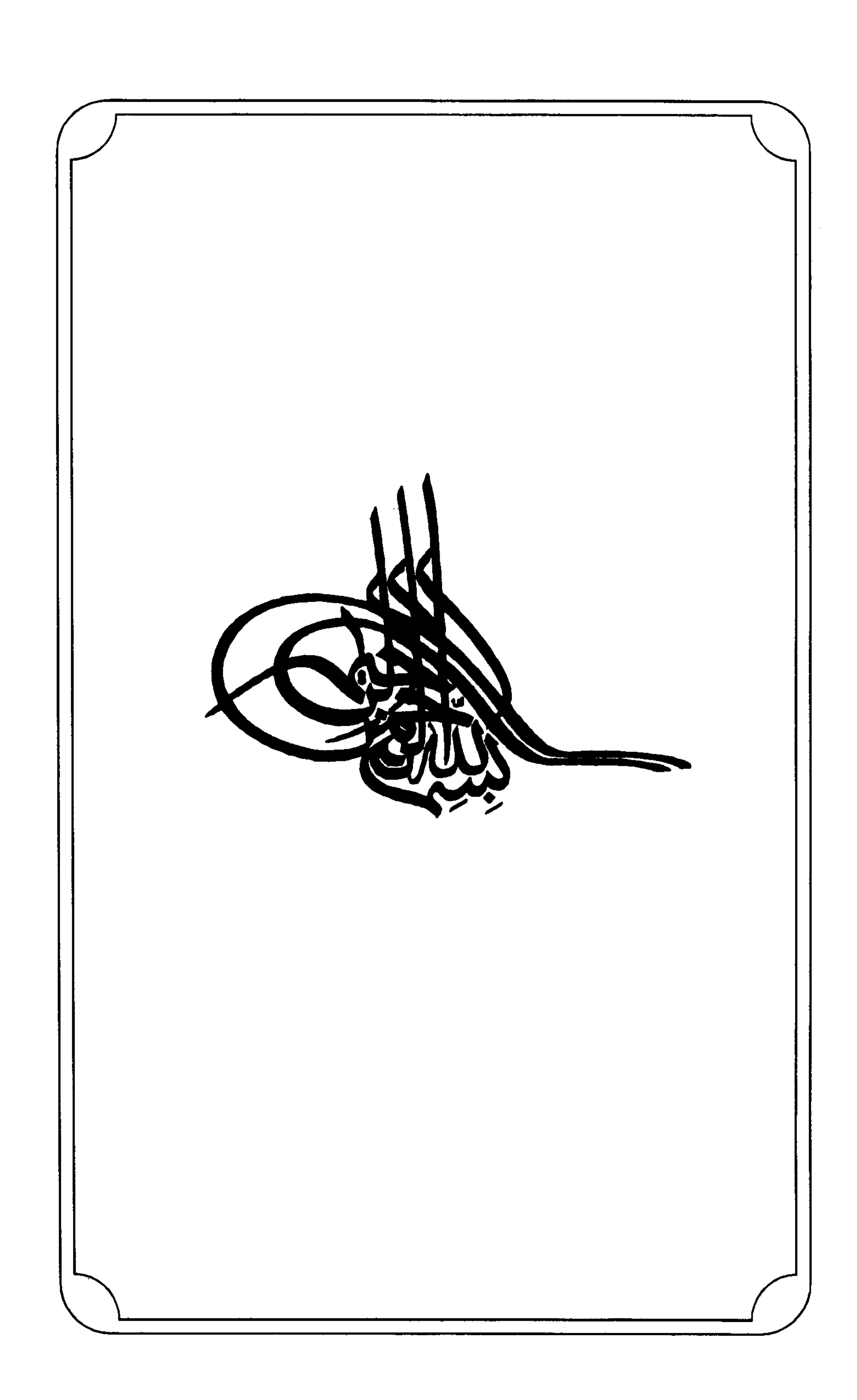
في

الإمامة والولاية

المحامي

أحمد حسين يعقوب





تقديـــم

يبحث الأستاذ أحمد حسين يعقوب، في هذا الكتاب: «الوجيز في الإمامة والولاية»، موضوعاً شغل ولا يزال يشغل الحيز الأكبر من اهتمام الباحثين، وهو موضوع «الإمامة والولاية». وإن يكن قد أوجز الكلام عليه، كما يستفاد من عنوان الكتاب، فإنه، في الحقيقة، استوفى معظم قضاياه ومسائله، ومن القضايا التي يبحثها:

أولاً «مفهوم الإمامة والولاية في الشريعة والتاريخ»، فيحدد معنى الإمامة في اللغة والقرآن الكريم وسنّة النبي ﷺ وعند أئمة أهل البيت عليهم السلام وعلماء دولة الخلافة، ويوضح معاني المصطلحات المرادفة لها، ويميز بين نوعيها: الشرعية وغير الشرعية، ويبين أن النوع الأول يمثل القيادة الشرعيّة بعد عصر النبي ﷺ، ويؤيد ما يذهب إليه بنصوص من الحديث الشريف، ثم يبيِّن ضرورة الإمامة واختصاصات الإمام ومؤهلاته، ويميزه من الخليفة المتغلب بالقوة والقهر ما يوضح مكانة الإمام الشرعي الخاصة ومقومات الإمامة الشرعية، ويقدم نماذج من الوقائع التاريخية تكشف أساليب الخلفاء في قمع معارضيهم، ويخلص إلى تعريف الإمامتين: الشرعية وغير الشرعية.

ثانياً، «اختيار الإمام وتوليته وتنصيبه»، ويبحث في تاريخية هذه القضية، مستقرئاً الوقائع التاريخية، ويبين طبيعة المواجهة التي حدثت بين الإمامتين: الشرعية وغير الشرعية ووسائل كل منهما، وتغير المعادلة السياسيَّة وموازين القوى في حقبتي البعثة والهجرة ما اضطر القرشيين إلى القبول، في الظاهر، بإمامة النبي ﷺ ووضعهم، في الخفاء، تصوراً جديداً لمواجهته، الأمر الذي أدّى إلى نشوء ظاهرة النفاق في مكّة، ثم يتحدث عن سياسة النبي ﷺ في مواجهة الكيانات الكافرة ووضعه المعايير الموضوعية التي تميز المنافق من المؤمن. وتفضي هذه القراءة التاريخية إلى العلم اليقيني بالإمامة والقيادة من بعد

النبي ﷺ، وتجيب عن أسئلة كثيرة تتعلق بالأحداث التي تلت وفاته.

ثالثاً، «الإمامة والولاية من بعد النبي»، يتبين المؤلف أن مفارقة نشأت بعد وفاة النبي ﷺ، تتمثل في وجود إمام وولي وقائد شرعي اختاره الله ورسوله، من جهة، ووجود خليفة اختاره تحالف قوى الأمر الواقع من جهة ثانية، وفرضه التغلب والقهر. ويرى أن انقلاباً حدث وأدى إلى قيام الخلافة، ويعود إلى ما حدث في حجة الوداع، وفي الآونة التي تلتها، ويتتبع ما فعله الانقلابيون ليحولوا دون تنفيذ وصية النبي ﷺ ويحاول الإجابة عن سؤال أساس هو: لماذا فعل هؤلاء ذلك؟ وفي سبيل الإجابة، يتبيّن، من نحوٍ أوّل، الخطوط العريضة لعقيدتهم، بعدما مثلوا حزباً، في النبوة والقرآن الكريم والحديث النبوي وخلافة النبي ﷺ ومن نحو ثانٍ القرارات السياسية والاقتصادية التي اتخذوها، ما مهّد لقيام دولة الخلافة التاريخية.

يمثّل هذا الكتاب قراءة موضوعية للأحداث التاريخية التي أسّست التاريخ الإسلامي، وشكّلت مساره، ويحاول مؤلّفه أن يتبيّن الحقيقة، وأن يؤديها بلغة رصينة سهلة، وبحث منهجي متماسك.

مركز الغدير للدراسات الإسلامية
بيروت ـ لبنان

مقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تحصى، والصلاة والسلام على رسوله الأمين السيد المصطفى،وعلى آله الطّيبين الطّاهرين، سفن النَّجاة، ونجوم الهدى، في كل لحظة وحين ومع كل نفس وكل عدد الرمل والحصى.

أما بعد:

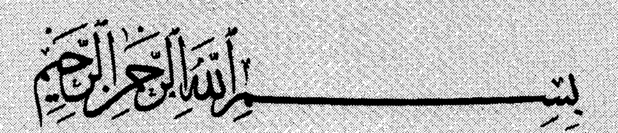
فقد وقفت - وبغير ادعاء - على الأكثرية الساحقة من المؤلفات والبحوث التي أفردت لمعالجة موضوع الإمامة والولاية في الإسلام، وعلى الرغم من الجهود المشكورة التي بذلها أصحاب تلك المؤلفات والبحوث، إلا أنها قد جاءت دون المأمول منها والمرتجى وقاصرة عن بلوغ مرادها. فراودتني فكرة وضع وجيز في الإمامة والولاية، يشتمل على صواب التجارب السابقة، ويتجنب هناتها، ويتدارك ما أغفلته. وبلغة العصر الذي نعيش فيه، حاولت إتاحة الفرصة أمام طلاب الحقائق الموضوعية المجردة ، للوقوف على حقيقة منصب الإمامة والولاية في الإسلام، والإحاطة بأحكامه التي أنزلها إليه على عبده من دون زيادة ولا نقصان. واستعداداً لذلك واستكمالاً لجلاء الصورة قمت بدراسة معمَّقة لموضوع الرئاسة العامة في العقائد السياسية الوضعية، لأن هذا الموضوع يكاد يقابل موضوع الإمامة والولاية في الإسلام. وبعد ذلك شرعت بالكتابة في هذا الموضوع ملتزماً بالخطة المنهجية للبحث، فدخلت الموضوع من أربعة أبواب، وجعلت لكل باب سبلا متعددة، فعالجت في الباب الأول مفهوم الإمامة والولاية، أما الباب الثاني فقد بحثت فيه تولية الإمام وتنصيبه، وفي الباب الثالث عالجت موضوع الإمامة والولاية من بعد النبي، وفي الباب الرابع، بينت دقائق الانقلاب الذي ألغى الترتيبات الإلهيّة، المتعلقة بالإمامة والولاية، وأدى لوضع ترتيبات بديلة.

فجاء البحث وجيزاً، صغيراً بحجمه، كبيراً بوزنه ومضمونه، فريداً في منهجيته وأسلوب معالجته للموضوع، وفوق ذلك جاء بلغة العصر.

ولم أقصد الزراية على أحد، أو النيل من مكانته إنما كان قصدي منصباً بالكلية على توضيح كل ما يتعلق بالإمامة والولاية في الإسلام وإبرازها بالصورة النقية التي شرعها الله تعالى وبيّنها رسوله، ومرافقتها عبر التاريخ بغية معرفة التأثير على الأشخاص والظروف التي حالت دون تفصيلها تفصيلاً شرعياً، فإن أحسنت فمن الله إنه ولي النعمة والتدبير، وإن أخطأت فمن نفسي، إن النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي، اللهم اجعل عملي هذا خالصاً لوجهك، وهدية إلى رسول الله محمد وأهل بيته الطيبين، إنك سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢٠/ محرّم الحرام/ ١٤١٧هـ
٣ / حزيران/ ١٩٩٦م

المحامي
أحمد حسين يعقوب
جرش الأردن



﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّالِمِينَ﴾ [البقرة/ ١٢٤]

صدق الله العليّ العظيم



الباب الأول

مفهوم الإمامة والولاية
في الشريعة والتاريخ



الباب الأول

الفصل الأول:

معنى الإمامة وأنواعها

الفصل الثاني:

ضرورة الإمامة واختصاصات الإمام

الفصل الثالث:

مكانة الإمام الخاصة

الفصل الرابع:

التكييف الشرعي للخلافة التاريخية

الفصل الخامس:

تعريف الإمامة

الفصل الأول
معنى الإمامة وأنواعها

معنى الإمامة لغة:

أَمَّ القوم أي تقدمهم، والإمام كلّ من ائتم به قوم سواء أكانوا على الخطأ أم على الصواب. وإمام كل شيء قيّمه والمصلح له، والإمام يعني المثال، ويعني المقصود. والإمام هو الخيط الذي يُمَدُّ على البناء ويُسوّى عليه «لإدراك استقامة البناء». والحادي إمام الإبل، لأنه الهادي لها[1].

«والإمام، في اللغة، هو الإنسان الذي يؤتمّ به، ويقتدى بقوله أو فعله محقاً كان أو مبطلاً»[2].

معنى الإمامة في القرآن الكريم

وردت كلمة «إمام» و «إماماً» و «إمامهم» و«أئمة»، في القرآن الكريم، اثنتي عشرة مرة، وقد انطبق المقصود منها انطباقاً تاماً على المعنى اللغوي لكلمة الإمامة، وتفصيل ذلك قوله تعالى:

١ ـ ﴿فَٱنْتَقَمْنا مِنهُمْ وإنَّهُما لَبِإمامٍ مُّبِينٍ﴾، [الحجر/ ٧٩].

٢ ـ ﴿وكلَّ شيءٍ أحْصَيْناه في إمامٍ مُّبِينٍ﴾، [يٰس/ ١٢].

٣ ـ ﴿ومِن قَبْلِهِ كِتابُ موسى إماماً ورحمةً. .﴾، [هود/ ١٧].

٤ ـ ﴿ومن قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى إماماً ورحمةً. .﴾، [الأحقاف/ ١٢].

---

(١) أحمد حسين يعقوب، النظام السياسي في الإسلام، ص ١٤؛ ابن منظور، لسان العرب، مادة أمة، والقاموس المحيط مادة أمة.

(٢) مرتضى العسكري، معالم المدرستين، ١/ ١٦٠.

٥ ـ ﴿يومَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بإمامِهِمْ﴾، [الإسراء/ ٧١].

فكلمة إمام، الواردة في هذه الآيات الخمس، تكشف عن معنى: الكتاب، والمرجع، والقيم، والمصلح، والهادي، والرمز، والمحيط.

٦ ـ ﴿وَاجْعَلْنا لِلمُتَّقِينَ إماماً﴾، [الفرقان/ ٧٤].

٧ ـ ﴿قَالَ إنّي جاعِلُكَ للناسِ إماماً، قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، قالَ لا يَنالُ عَهدي الظَّالِمينَ﴾، [البقرة/ ١٢٤].

٨ ـ ﴿وَجَعَلْناهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بأَمْرِنا. .﴾، [الأنبياء/ ٧٣].

٩ ـ ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ﴾، [القصص/ ٥].

١٠ ـ ﴿وَجَعَلْنا مِنهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا. .﴾، [السجدة/ ٢٤].

فكلمة إمام، الواردة في الآيات الخمس الثانية التي سقناها، تكشف جلياً عن معنى المثل الأعلى، والقدوة الحسنة، والقيادة الراشدة والمرجعية الموثوقة، والهداية التي تقود حتماً إلى الصواب. أو بتعبير أدق إنها تعني الزعامة أو الوجاهة المؤمنة المرتبطة بالله سبحانه وتعالى.

١١ ـ ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفرِ إنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ﴾، [التوبة/ ١٢].

وأئمة الكفر المعنيين بهذه الآية، وبالدرجة الأولى، هم زعماء بطون قريش.

١٢ ـ ﴿وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إلى النّارِ وَيَوْمَ القِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ﴾، [القصص/ ٤١].

والأئمة الذين يهدون إلى النار هم فرعون وجنوده، فالآيتان (١١و١٢) سلَّطتا الأضواء الكاشفة على طبيعة القيادة الفاسدة، والمرجعية الضالة، وقدوة السوء التي تجر أتباعها إلى دار البوار.

نوعا الإمامة في القرآن الكريم

من يتتبَّع الآيات القرآنية المتعلقة بالإمامة والتي أوردناها في الفقرة السابقة يتبيَّن له، بيسر، أن القرآن الكريم قد حدَّد الإمامة بنوعين، ورسم لها صورتين، فكل إمامة، على وجه الأرض، تندرج بالضرورة في أحد هذه النوعين وتظهر بإحدى هاتين الصورتين، فالإمامة إما أن تكون شرعية، أو غير شرعية.

١ ـ الإمامة الشرعية

فقد ساق الله تعالى مثالاً لهذا النوع من الإمامة إمامة ابراهيم والأئمة الذين جاءوا من بعده، والقرآن الكريم يوضح، بما لا يدع مجالاً للتأويل، أن هذا النوع من الإمامة هو:

أ ـ عهد من الله، فالإمامة عهد الله، وهذا العهد لا تناله إلا الصفوة من عباد الله، وهو حرام على الظالمين.

ب ـ إن الله، سبحانه وتعالى، هو الذي يختار الأئمة، ويجعلهم أئمة، لأنه هو وحده القادر على معرفة الصفوة معرفة قائمة على الجزم واليقين. انظر إلى قوله تعالى مخاطباً ابراهيم: ﴿**إني جاعلك للناس إماماً**﴾ فالله تعالى هو الذي أسند منصب الإمامة لابراهيم، وكلفه القيام بأعباء هذا المنصب، وكذلك قوله تعالى عن الأئمة الذين جاءوا من بعد ابراهيم، حيث قال: ﴿**وجعلناهم أئمة**﴾، ﴿**ونجعلهم أئمة**﴾، فاستعمل كلمة «جاعِلُكَ، ونجعلهم، وجعلناهم».

ج ـ إن الأئمة طراز صالح من ذرية ابراهيم، فإسحاق هو ابن إبراهيم ويعقوب حفيده، ووصلت الإمامة إلى محمَّد، وهو حفيد إسماعيل وإسماعيل هو ابن ابراهيم، ذرية بعضها من بعض.

د ـ والعلامة الرابعة للإمامة الشرعيّة أن الإمام الشرعي يهدي بأمر الله أن يسوس ويوجِّه ويقود وفق التعاليم الإلهية العالم بها علماً قائماً على الجزم واليقين. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا**﴾.

٢ ـ الإمامة غير الشرعية

بعد أن بين الله، سبحانه وتعالى، معالم الإمامة الشرعية، وساق لها مثلاً إمامة ابراهيم والأئمة من بعده، أوضح معالم الإمامة غير الشرعية، وساق مثلاً لها إمامة فرعون وجنوده، وأئمة الكفر من قبلهم، ومن بعدهم، كزعامة بطون قريش التي أخرجت النبي وحاربته وصدت عن سبيل الله حتى أحيط بها. وقد حدد، سبحانه وتعالى، مميزات تلك الإمامة غير الشرعية ومعالمها تحديداً لا يحتمل التأويل.

أ ـ الإمام غير الشرعي رجل ظالم، وعرفه بالظلم لأن الظلم جماع كل قبح وعدوان، وهو غير جدير بالإمامة التي هي عهد الله، فضلاً عن عدم اتصافه بصفاتها، وعدم أهليته لها، لكل هذا فهي محرمة عليه.

ب ـ وعلى الرغم من أن الإمام غير الشرعي يعلم بعدم أهليته للإمامة الشرعية ويعلم بحرمتها عليه، وعدم أهليته لها، ومع علمه بوجود الإمام الشرعي إلا أن هذا الرجل تجاهل الشرعية تجاهلاً كاملاً وجمع أسباب القوة والتغلب والقهر، واستولى على منصب الإمامة الشرعية بالغصب والقهر، بعد أن أقصى الإمام الشرعي عن منصبه وحمل الناس بالقوة على القبول بهذا الوضع الشاذ الذي فرضه.

ج ـ ومن مميّزات إمامة فرعون وجنوده وأئمة الكفر من بعدهم، ومن قبلهم، أن الإمام المتغلب يعطل الشرع الإلهي، أي التعاليم الإلهية: «أمر الله» ويستبدله، بآرائه الخاصة، واجتهاداته الشخصيّة، ويفرض بالقوة والقهر تلك الآراء والاجتهادات حتى تكون، مع الأيام، بمثابة شرع بديل للشرع الإلهي، وبخاصّة القواعد المتعلقة بمنصب الإمام.

د ـ ومن مميزات إمامة فرعون القدرة على تحريف الكلم عن مواضعه وقلب الحقائق، فهو يسمّي الصلاح الإلهي فساداً، ويدعو فساده صلاحاً، انظر إلى قوله تعالى، على لسان فرعون، مخاطباً قومه: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ

في الأرضِ الفسادَ﴾ [غافر/ ٢٦]. ونرى فرعون يطعن بالإمام الشرعي، ويصفه بأنه مهين، ولا يكاد يبين. ولا مجال للمقارنة بين الفرعون وموسى. انظر إلى قوله تعالى، وهو ينقل هذه الظاهرة على لسان فرعون، مخاطباً الملأ من أهل مصر ﴿أم أنا خَيْرٌ من هذا ٱلذي هُوَ مَهِينٌ﴾ [الزخرف/ ٥٢]. وقد يتلطف الغاصب لمنصب الإمامة بالقوة فيقول: إن الإمام الشرعي هو الأفضل، ولكن قدم المفضول على الأفضل لمصلحة رآها الناس، أو أن العرب لا تجتمع على إمام من بني هاشم، لأنها تأنف أن تكون النبوة والإمامة معاً في البطن الهاشمي!! إلى آخره من خزعبلات الإمام الغاصب التي يسخِّر كل وسائل الإعلام لتضليل الناس وإبعادهم عن الشرع الإلهي.

معنى الإمامة في سنة الرسول

تنصبّ مهمة الرسول الأولى على تبليغ القرآن الكريم، وبيان أحكامه للناس، وقد قام الرسول بمهمته خير قيام، فبلَّغ القرآن فعلاً، وبين أحكامه كما أُمر ﴿لِتُبَيِّنَ للناسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل/ ٤٤] ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إلاَّ ما يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام/ ٥٠، يونس/ ١٥، الأحقاف/ ٩] فأوضح جميع المعاني الواردة في القرآن الكريم لكلمة إمام، وأئمة، وبيَّن مترادفات هذه الألفاظ، فبين أن الإمام هو الرجل الأول، وصاحب الكلمة العليا، وأكد ما جاء في القرآن الكريم من وجود نوعين من الإمامة، إحداهما إمامة بَرَّة كإمامة موسى والأئمة من بعده وإمامته ﷺ، والأخرى إمامة فاجِرَة، كإمامة فرعون وجنوده، وإمامة زعامة بطون قريش، وإمامة الذين غصبوا منصب الإمامة بالتغلب والقهر، فالإمامة البَرَّة تهدي بأمر الله وتتقيد بأحكام الشرع، والثانية تهدي إلى النار، لأنها قائمة على الغصب والظلم، واستبدال النصوص الشرعية بالآراء والاجتهادات الشخصيّة.

الإمامة هي القيادة الشرعية بعد النبي

لقد بيَّن الرَّسول أن الإمام هو القائد الشرعي، والمرجع الموثوق من بعد النبي، وهو المؤهَّل إلهياً ليخلف النبي ويقوم بمهامه من بعده، وهو المتصف

بصفات الإمامة الشرعية والذي شهد الله ورسوله له بأنه الأعلم، والأفهم بالدين والأقرب لله ولرسوله، والأتقى، والأفضل في زمانه. فبعد أن أعلن الرسول أن علياً بن أبي طالب(ع) هو الخليفة، والوصيّ والولي من بعده، وبعد أن توجَّه رسول الله بأمر من الله تعالى أميراً على المؤمنين، وولياً لهم مجتمعين، ومولى لكل واحد منهم وبعد أن ربط ربطاً محكماً بين الولاية لله ولرسوله ﷺ وبين الولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام، عندئذٍ أعلن الرسول أمام أصحابه مجتمعين ومنفردين، في مرات، وأماكن متعددة، أنَّ علياً بن أبي طالب هو الإمام من بعده. ودفعاً للإلتباس، وإقامة للحجة ساق الرسول في تلك المواقف نفسها كلمة إمام مع كلمات «سيد المسلمين وقائدهم، ووليهم، ونور الطاعة، وراية الهدى، وخاتم الوصيين»، واعتبرها من صفات الإمام علي ومميزاته. واعتبر هذه الصفات والمميزات من وجوه الإمامة ومظاهرها ولوازمها. واعتبر إمامة علي بن أبي طالب حالة استمرارية لإمامته ﷺ وإمامة ابراهيم والأئمة من بعده الذين يهدون بأمر الله. وقد تكررت كلمة إمام وأئمة في السنة النبوية، تكراراً كافياً لبيان أحكام الإمامة بنوعيها.

نماذج من نصوص الإمامة الشرعية

أ ـ قال الرسول، يوماً، لأصحابه: «أوحى الله إليّ في علي بن أبي طالب «أنه سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين»[(١)].

ب ـ وقال الرسول ﷺ يوماً آخر، لأصحابه: «أوحى الله إليّ في علي أنه سيد المسلمين وولي المتقين، وقائد الغر المحجلين»[(٢)].

---

(١) الطبراني، المعجم الصغير، ٨٨/٢، الخوارزمي، المناقب، ٢٣٥، ابن عساكر، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ٢٥٧/٢ ـ ٢٥٨، ح٧٨٠ ـ ٧٨٢ مؤسسة المحمودي للطباعة ط٢ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م بيروت.

(٢) ابن عساكر، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ٢٥٦/٢ ـ ٢٥٧ ح٧٧٩، الطبري، الرياض =

جـ ـ وبينما كان الرسول جالساً مع أصحابه قال لهم: «أول من يدخل هذا الباب إمام المتقين، وسيد المسلمين، ويعسوب الدين وخاتم الوصيين وقائد الغر المحجلين». وبعد آونة دخل علي بن أبي طالب، فنهض رسول الله وعانقه[1].

د ـ وفي يوم من الأيام، كان الرسول جالساً مع أصحابه، فدخل علي بن أبي طالب، فقال له الرسول أمامهم: «مرحباً بسيد المسلمين وإمام المتقين»[2].

هـ ـ وقال الرسول، مرة لأصحابه: «إن الله عهد إليّ عهداً فقلت: بيِّنه لي، فقال الله تعالى: اسمع إن علياً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين». (الحديث)[3].

ففي النماذج السابقة، وأمثالها، من النصوص الشرعية، بيَّن الرسول أحكام الإمامة الشرعية التي أجملها القرآن الكريم، وساق نموذجاً لها إمامة ابراهيم، والأئمة الذين كانوا يهدون بأمر الله من بعده، فالإمام الشرعي رجل اختاره الله سبحانه وتعالى، وأعدّه إعداداً كاملاً بحيث يكون هو الأعلم والأفهم بالدين «بأمرنا» والأقرب لله ولرسوله، والأتقى، والأصلح، والأفضل من أهل زمانه، والأجدر والأقدر على خلافة رسول الله في أمور الدنيا والدين، ليكون المثل الأعلى المتحرك والمبين المؤتمن على دين الله، فلا يصدر عنه إلا الصواب، وهذه هي مميزات الإمامة الشرعية وصفاتها، وهي التي أمر رسول الله بأن يعلن للناس بأنها متوافرة في الإمام علي وفي الأئمة الكرام من ذريته وذرية النبي.

= النضرة، ٢/ ٢٣٤، مسند الإمام أحمد، هامشه منتخب الكنز، ٥/ ٢٣٤.

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/١٦٩؛ ط١ دار الجيل ـ بيروت ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، أبو نعيم، حلية الأولياء، ١/ ١٣، ابن عساكر، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ٢/ ٢٥٩ ح٧٨٣، ٤٨٦ ـ ٤٨٧ ح ١٠١٤، الخوارزمي، المناقب ص٤٤، الذهبي، الميزان، ص ٦٤.

(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١/ ٦٦، ابن عساكر، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ٢/ ٤٤٠ ح٩٥٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ١٧٥.

(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء، ١/ ٦٧، وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٩/ ١٦٧، وابن عساكر، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ح٧٤٢، وكتابنا المواجهة مع رسول الله وآله/ باب القيادة.

بمعنى أن الرسول، في زمانه، كان هو الأعلم والأفضل والأنسب ويجب أن يخلفه رجل يتمتع بهذه المزايا.

الرسول يحذِّر من الإمامة الفاجرة ويرسم صورتها

بعد أن بين رسول الله نموذج الإمامة الشرعية، وبعد أن أعلن أن علياً بن أبي طالب، هو أول الأئمة الشرعيين من بعده ثم يليه أحد عشر إماماً كلهم من ذرية النبي، وأبناء علي وأحفاده بعد ذلك، حذر رسول الله من نموذج الإمامة الفاجرة التي أجملها القرآن، وساق مثلاً لها إمامة فرعون وجنوده وأئمة الضلال الذين عاصروه، وهم زعماء بطون قريش. لقد بين رسول الله بالتصوير الفني البطيء أحكام الإمامة الفاجرة القائمة على الغصب والتغلب والقهر، وحذر بمختلف وسائل التحذير، من الوقوع بين مخالب هكذا إمامة. وبين الرسول أنَّ الأمة إذا رفضت إمامها الشرعي علي بن أبي طالب، أو تخلت عنه، ولم تنصره، فإن قيادة الأمة ستصبح مطمعاً لكل الطامعين بالرئاسة وفريسة لمن غلب، وسيصبح الغالب داعية يهدي عملياً إلى النار، تماماً كإمامة فرعون وجنوده وإمامة زعامة بطون قريش قبل هزيمتهم.

فالإمام الفاجر، وفق هذا التصوّر، رجل طموح، مستهتر بالشرعية والمشروعية الإلهية، لا هم له إلا مصالحه، والفوز بالإمارة، حسود، كاره للترتيبات الإلهية المتعلقة بمنصب الإمامة من بعد النبي، لذلك أعد العدد وهيأ أسباب القوة، وقبض على مقاليد الأمور بالقوة الغاشمة، ومؤهَّله الوحيد القوة والغلبة، والقدرة على خداع الناس، وتحريف الكلم عن مواضعه.

وفي الوقت الذي يعلن فيه انتماءه للجماعة المسلمة، يبرز عداوته عملياً لله ولرسوله، بجمعه لوسائل القوة والتغلب ليخرج الأمة بالقوة من إطار الشرعية والمشروعية الإلهية فيخرب نظامها السياسي الإلهي، ويبتزها أمرها، بعد إقصاء ولي أمرها وإمامها الشرعي الذي اختاره الله ورسوله، ويعطل أحكام الإمامة الشرعية التي وضعها الله ورسوله ويستعيض عن الإحكام الإلهيّة، بآرائه الخاصة

واجتهاداته الشخصية. فهذا النموذج من الإمامة هو أشدُّ خطراً على الدين والأمة من إمامة فرعون وجنوده، وإمامة أئمة الكفر في مكة.

لهذا صورهم رسول الله بصورتهم الحقيقية البشعة، ووصف واقع حال تلك الإمامة الفاجرة بقوله: «يكون بعدي أئمة، لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس..»[1].

وهكذا يكون رسول الله قد بين الإمامتين البرة والفاجرة، وأطلع الناس على حقيقة إمامة ابراهيم وإمامة فرعون.

معنى الإمامة عند أئمة أهل بيت النبوة

لأهل بيت النبوة مكانة دينية خاصة، فهم الذين أذهب الله عنهم الرجس، كما هو ثابت من آية التطهير، وهم كنفس النبي كما هو ثابت من آية المباهلة، وهم أعدال الكتاب كما هو ثابت من حديث الثقلين المسلَّم بصحته وتواتره، ولأن الله تعالى قد فرض مودتهم كما هو ثابت من آية المودة، ولأن الصلاة عليهم جزء لا يتجزأ من الصلاة المفروضة على العباد، ولسبب عملي آخر أنهم عاشوا مع النبي طوال حياته، وورثوا علمه، ما يعني أنهم قد أهلوا للإمامة، فقد سمى رسول الله علياً إماماً، وقال عن الحسن إنه إمام، وقال عن الحسين إنّه إمام، ولا يجادل حتى النواصب بصحة أقوال الرسول هذه، إنما جدالهم ينصب على تفريغ كلمة الإمام من معانيها الشرعية طمعاً بتصحيح الواقع الذي فرضته القوة الغاشمة المتغلبة.

وما يعنينا هو أن أئمة أهل بيت النبوة عالجوا معنى الإمامة وبينوه كما تلقوه عن رسول الله. قال الإمام علي: «اللهم لا تخلو الأرض من حجة لك على خلقك: ظاهر أو خائف مغمور، لئلا تبطل على الناس حججك أو بيّناتك»[2].

وقال أيضاً: «إنَّ الأئمَّةَ من قريشٍ غُرِسُوا في هذا البطن من هاشم لا تَصْلُح

---

(١) راجع صحيح مسلم، كتاب الإمارة الحديث ٤٠ وما بعده.

(٢) المجلسي، البحار، ٢٣/ ٢٠، ح١٧.

على سواهُمْ ولا تصْلُحُ الوُلاةُ من غيرهِمْ»[1].

وقال أيضاً: «لا يقاسُ بآلِ محمدٍ من هذه الأُمَّةِ أحدٌ، ولا يُسَوَّى بهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتَهُمْ عليه أبداً، هُمْ أساسُ ٱلدِّينِ، وعمادُ اليقينِ، إليهم يفيءُ الغالي، وبهِمْ يُلْحَقُ التالي، وَلَهُمْ خَصَائِصُ حقُّ الولاية، وفيهمْ ٱلوَصيَّةُ والوراثَةُ. . . »[2].

قال الإمام زين العابدين (علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب): «نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين. . . . »[3].

وقال الإمام زين العابدين أيضاً: «نحن خلفاء الأرض ونحن أولى الناس بالناس. . ».

وقال أيضاً، في الصحيفة السجادية[4]، «اللهم إنك أيدت دينك في كل أوان بإمام أقمته، علماً لعبادك، ومناراً في بلادك، بعدما وصلت حبله بحبلك، وجعلته الذريعة إلى رضوانك، وافترضت طاعته، وحذرت معصيته، وأمرت بإفشال أمره، والانتهاء عند نهيه، وألا يتقدمه متقدم، ولا يتأخر عنه متأخر. . . ».

قال الإمام الصادق[5]: «لو بقيت الأرض بغير إمام ساعة لساخت». قيل له: «كيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟»، فقال: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب».

وهذا يعني أن أئمة أهل بيت النبوة قد فهموا الإمامة كما بينها رسول الله على أنها ركن من أركان الدين، لا غنى عنها، وبأن الإمام معين من الله، ومعلن من رسوله، وأن مهمة الإمام أن يهدي لأمر الله، فهو قائد الأمة ومرجعها وقدوتها في

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٩/ ٨٤، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
(٢) المصدر نفسه ١/١٣٨.
(٣) باقر شريف القرشي، الإمام زين العابدين، ص ١٠٨ و١٠٩، الصحيفة السجادية، دعاء رقم ٤٦.
(٤) دعاء رقم ٤٦.
(٥) المجلسي، البحار ٥/٢٣، ح١٠، وص ٢١ ح٢٠.

أمور دينها ودنياها، لأنه الوحيد في زمانه المتصف بالصفات الشرعية للإمامة، والمؤهل الوحيد في زمانه لخلافة النبي في أمور الدين والدنيا.

وأنت تلاحظ أن فهم أهل بيت النبوة يتفق بالكامل مع بيان النبي لأحكام الإمامة الشرعية، ممثلة بإمامة ابراهيم والأنبياء من بعده والتي أجملها القرآن الكريم. فالإمام هو صاحب الكلمة العليا، يقود، ولا يُقاد، ولا يتقدم عليه أحد، ولا يتأخر عنه أحد.

معنى الإمامة عند علماء دولة الخلافة

معنى قادة التاريخ الإسلامي

نعني بقادة التاريخ السياسي الإسلامي، وهم قادة دولة الخلافة، الخلفاء المتغلبين الذين قبضوا على مقاليد أمور الدولة الإسلامية من طريق القوة والتغلب والقهر وكثرة الأتباع، مباشرة، أو بعهد من بعضهم إلى بعض، وقد استمر حكم قادة التاريخ من بعيد وفاة النبي حتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان، وعرف نظامهم بنظام الخلافة على الرغم من تطبيقاته المختلفة، فأبو بكر خليفة رسول الله، والسلطان عبد الحميد خليفة رسول رب العالمين أيضاً.

معنى علماء دولة الخلافة

ونعني بعلماء دولة الخلافة، أو علماء قادة التاريخ السياسي الإسلامي، أولئك العلماء الذين أيدوا دولة الخلفاء، وصححوا ولاية الخلفاء، وسوّغوا أعمالهم، واعتبروا ما صدر عن الخلفاء أو عن بعض أقطابهم، على الأقل، بمثابة سوابق دستورية أو سنن واجبة الاتباع كسنة رسول الله تماماً، فولاية العهد مثلاً يعدونها مشروعة، لأن أبا بكر عهد لعمر، ولأن عمر عهد لأصحاب الشورى.. الخ.

معنى الإمامة عند هؤلاء

تعني الإمامة، عند علماء دولة الخلافة، الخلافة، أو الرئاسة العامة للمسلمين في الشؤون الدينية والدنيوية، فالإمام عندهم «أي الخليفة» هو خليفة

رسول الله، يتمتع بكل حقوقه وصلاحياته، «لو منعوني عقالاً لقاتلتهم عليه» كما يقول الخليفة الأول، وبيده الأموال، والسلطة والنفوذ، والفهم الديني الذي يراه مناسباً هو الذي ينفذ، فيمكنه أن يخترع أموراً لم تكن موجودة ويجعلها سنة واجبة الاتباع، كولاية العهد، ويمكنه أن يخالف سنة الرسول، فالرسول كان يعطي بالسوية، وجاء الخليفة الثاني، وألغى سنة المساواة بالعطاء، وأعطى الناس حسب منازلهم برأيه، وقيل في تسويغ ذلك أن الرسول مجتهد، والخليفة الثاني مجتهد! والخلاصة أن الخليفة عند علماء دولة الخلافة هو الإمام، ولا إمام غير الخليفة فهو صاحب الكلمة العليا، والقول الفصل، وهم يسلمون بأنه ليس الأصلح ولا الأفضل ولا الأعلم ولا الأتقى، ولكنه وصل إلى سدة الخلافة بالتغلب والقوة والقهر، وقدم المفضول على الأفضل لمصلحة رآها المسلمون.

دليل علماء الدولة على أن الإمام هو الخليفة؟

قال الماوردي والفراء[(١)]:

أ ـ «الإمامة»، يعنون بها الخلافة، تنعقد من وجهين: أحدهما باختيار أهل الحل والعقد وثانيهما بعهد الإمام من قبل. . .

ب ـ ونقلاً عن طائفة، القول: «إن أقل ما تنعقد به الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها والدليل الشرعي على ذلك ما فعله «أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وأسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة عندما اجتمعوا واختاروا أبا بكر خليفة. والدليل الشرعي الآخر برأيهم أن الخليفة الثاني عمر جعل الشورى في ستة يعقد لأحدهم برضا الخمسة. وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة، وقال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة. .

جـ ـ وأضاف: «إن انعقاد الإمامة بعهد من قبله فهو ما انعقد الإجماع على جوازه، فأبو بكر عهد لعمر، وعمر عهد بها لأهل الشورى».

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية ص ٦ وما بعدها، والفراء، الأحكام السلطانية ص ٧ وما بعدها.

د ـ وأضاف: «إن بيعة عمر لم تتوقف على رضا الصحابة لأن الإمام أحق بها».

هـ ـ وقال أبو يعلى: «إن الإمامة تثبت بالقهر والغلبة ولا تفتقر إلى العقد».
«من غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً، براً كان أم فاجراً، فهو أمير المؤمنين».

و ـ وقال في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك، فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم تكون الجماعة مع من غلب، والدليل الشرعي أن عبدالله بن عمر بن الخطاب صلى بالناس يوم الحرة وقال: «نحن مع من غلب»[(١)].

ز ـ قال الجويني إمام الحرمين: «إعلموا أنه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع»[(٢)]. وهو يقصد بالإمامة الخلافة.

ح ـ قال ابن العربي، في «شرحه على سنن الترمذي»: «لا يلزم في عقد البيعة للإمام (الخليفة) أن تكون من جميع الأنام، بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد[(٣)].

ط ـ قال القرطبي، في «جامع الأحكام»: «إذا انعقدت الإمامة باتفاق أهل الحل والعقد أو بواحد وجب على الناس كافة متابعته»[(٤)].

ي ـ قال عضد الدين الايجي، في «المواقف في علم الكلام»[(٥)]: «إن الإمامة [يقصد الخلافة] تثبت بالنص من الرسول ومن الإمام السابق، وتثبت بيعة أهل الحل والعقد».

---

(١) الأحكام السلطانية، ص ٧ ـ ٨.
(٢) الجويني (إمام الحرمين)، الإرشاد والكلام، ص ٤٢٤.
(٣) ابن العربي، الشرح على سنن الترمذي، ٢٢٩/١٣.
(٤) القرطبي، جامع الأحكام، ٢٦٩/١ و٢٧٣.
(٥) عضد الدين الايجي، المواقف في علم الكلام، ٣٥١/٨ وما بعدها.

وقد قصد الجميع «بالإمامة» الخلافة العامة للرسول، أو الرئاسة العامة للمسلمين في الشؤون الدينية والدنيوية.

والنصوص التي أوردناها، عند علماء الدولة التاريخية، تُعطي تصوراً واضحاً عن معنى الإمامة عندهم، فالخليفة عندهم هو الإمام، وهو الرئيس الأعلى للمسلمين في جميع شؤونهم الدينية والدنيوية، ولمَ لا فهو خليفة الرسول القائم مقامه؟ وهذا الخليفة ليس مميزاً لا في دينه ولا في علمه، ولا في أفضليته، وما يميزه من سواه هو أنه غالب أو متغلب حمل الناس على أتباعه، أو صار خليفة بعهد من متغلب، ويبقى هذا الخليفة خليفة للنبي، متمتعاً بكافة صلاحياته وحقوقه وشرعية وجوده حتى يظهر غالب جديد، فإذا تغالب الغالب الجديد مع الغالب السابق الذي صار خليفة لأنه غلب، يتفرج الناس، فإذا غلب المتغالب الجديد، يفقد الخليفة السابق شرعية وجوده وكافة حقوقه وصلاحيتها، ويخلي مكانه ليحل محله الغالب الجديد، خليفة للنبي، وأميراً للمؤمنين، وإماماً للمسلمين.. ثم تبدأ عمليات المفاضلة بين المتغلبين، وهكذا يخرج الدين الحنيف بقرآنه وسنته ومقاصده الشريفة من ساحة التغالب، ويبقى دوره محصوراً بالزينة، وينكر أولئك العلماء وجود أئمة شرعيين غير الخلفاء.

المصطلحات المرادفة لمصطلح الإمامة

القرآن الكريم هو الذي عرّف العرب بمصطلح الإمامة، وهو الذي قسم الإمامة إلى نوعين، وجاء الرسول الكريم وبين هذا المصطلح بياناً تاماً حتى عُرف للعامة والخاصة معاً. وخلال قيادة النبي للدعوة والدولة معاً مارس مهمة الإمامة والرسالة معاً، ثم وطد الأمر، وأعلن أمام أصحابه وأخبرهم أنَّ الإمام من بعده هو علي بن أبي طالب لأنه المؤهل إلهياً للإمامة من بعده، وحرص النبي على إخبارهم بذلك فرادى ومجتمعين، مثلما حرص على أن ينادي الإمام علي أمامهم بهذه الصفة كقوله: «مرحباً بسيد المسلمين وإمام المتقين»، وغني عن البيان أنَّ الرسول لم يعلن إمامة علي من بعده ويخبر أصحابه بهذه الإمامة من تلقاء نفسه، إنما فعل

ذلك بأمر من ربه، لأن الله سبحانه وتعالى أمر الرسول ووجهه لكافة الأمور الأقل أهمية، فمن باب أولى أن يأمره بهذا الأمر الذي يعد في غاية الخطورة، لأنه قوام مستقبل الدعوة والدولة الإسلامية.

وكما عرّف القرآن الكريم العرب بمصطلح الإمامة، عرفهم بكل المصطلحات الدالة على الإمامة والكاشفة لها، والتي تعدّ من لوازمها ومظاهرها وجاء الرسول فبينها بياناً لا يحتمل التأويل:

١ ـ ولي الأمر، أو الولي مطلقاً، أو المولى

تكررت هذه المصطلحات في القرآن مرات متعددة، وقام رسول الله ﷺ، ببيانها للعامة والخاصة، وربط هذا بمستقبل الدعوة والدولة «فعندما نزلت آية الولاية: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [المائدة/ ٥٥] بين الرسول لأصحابه أن السبب المباشر لنزول هذه الآية هو تصدق علي بخاتمه وهو راكع، ولأن مهمة الرسول أن يبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم، فقد بين هذه الآية وأمثالها، وأعلن بأمر من ربه بأن الإمام علي بن أبي طالب «هو وليه في الدنيا والآخرة»[(١)]. وقال الرسول لعلي أمام أصحابه: «أنت ولي كل مؤمن بعدي»[(٢)]، ثم التفت إلى أصحابه وقال لهم: «إنه وليكم بعدي»[(٣)]. ولم يكتف النبي بذلك بل أمرهم بموالاة الإمام علي، وحبب إليهم هذه الموالاة، فقال: «أوصي من آمن بي وصدقني بولاية عليّ بن أبي طالب. من تولاه فقد تولاني ومن تولاني فقد تولى الله ومن أحبه فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله». وقال لهم مرة: «من آمن بي وصدقني فليتولّ علي بن أبي طالب فإن

---

(١) راجع صحيح مسلم ٢/ ٢٤، والمستدرك للحاكم ص ١٠٩ (وصرّح الذهبي بصحته في ذيل المستدرك).

(٢) راجع مسند أحمد ٥/ ٢٥، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٦٤.

(٣) راجع صحيح الترمذي ٥/ ٢٩٦ ح٣٧٩٦، والخصائص للنسائي ص ٩٧.

ولايته ولايتي، وولايتي ولاية الله»[1]. فأنت تلاحظ أن رسول الله ربط ولاية علي بالإيمان بالنبي وبتصديقه، ولم يكتف الرسول بذلك، إنما حث المسلمين على هذه الموالاة ووعدهم بالجنة فقال: «من أحب أن يحيا حياتي ويموت موتتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي، فإن ربي غرز قضبانها بيده فليتول علياً فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة»[2].

فمن يمعن النظر، في هذه النصوص، ويتبيّن اهتمام الرسول المركّز على المعنى لا يبقى لديه أدنى شك بأن الإمام علي بن أبي طالب هو الولي من بعد النبي، أي الإمام أو صاحب الكلمة العليا في المجتمع، فولي الأمر أو الولي مطلقاً يعني الحاكم والأولى، انظر إلى قوله تعالى: ﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾ [الأنبياء/ ٧٣، السجدة/ ٢٤]، ﴿أطيعُوا اللهَ وأطيعُوا الرَّسولَ وأولي الأمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء/ ٥٩]. وقول الرسول لبني عامر بن صعصعة عندما طلبوا الخلافة من بعده مقابل إيمانهم به: «إن الأمر لله يضعه حيث يشاء» وليس أدل على ذلك من أنه عندما أخذوا الخلافة بالقوة والتغلب صار الخليفة المتغلب يعرف بالولي إطلاقاً أو بولي الأمر انظر إلى قول أبي بكر: «إني قد وليت عليكم» وقوله عندما استخلف عمر: «إني ما وليت ذا قرابة» وقول عمر: «أنا ولي رسول الله وولي أبي بكر وأمرهما إلي وإلى من ولي الأمر»[3]. وعمر على فراش الموت لطالما ردد: «لو كان... حياً وليته». وفي زمن الخلفاء الثلاثة كان ينظر للخليفة المتغلب واقعياً على أساس أنه ولي أمر المسلمين أو الولي مطلقاً، ولم يختلف الأمر عندما آلت الأمور إلى الأمويين والعباسيين والعثمانيين، فالخاصة والعامة كانوا يرون أن الولي مطلقاً أو ولي الأمر كناية عن صاحب الكلمة العليا في المجتمع الإسلامي، وهذا كله يؤكد عمق الارتباط بين كلمة أو مصطلح الإمام وبين مصطلح الولاية أو الولي. وجاء تتويج

---

(١) ترجمة الإمام علي، من تاريخ دمشق لابن عساكر، ٢/ ٩١ ـ ٩٧، ح٥٩٤ ـ ٦٠٠.

(٢) ترجمة الإمام علي، من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٩٩، ح٦٠٥، وحلية الأولياء، ٤/ ٣٤٩ و ٣٥٠.

(٣) راجع كنز العمال ٧/ ٢٣٩ ـ ٢٤٢ ح١٨٧٦٨ و١٨٧٦٩.

الرسول للإمام علي في غدير خم ليضع النقاط على الحروف[1].

٢ ـ الخليفة

وردت كلمة خليفة، في القرآن، بمعنى النيابة عن الغير والقيام مقام هذا الغير كقوله تعالى: ﴿**يا داودُ إنَّا جَعَلْناكَ خليفةً**﴾ (ص/ ٢٦)، وقول موسى لأخيه هارون: ﴿وقالَ مُوسَى لأخيه هارونَ اَخْلُفْنِي في قَوْمي وأَصْلِحْ. .﴾ [الأعراف/ ١٤٢]. فعندما خوطب داود كان هو الحاكم أو صاحب الكلمة العليا، وهارون صار صاحب الكلمة العليا في بني إسرائيل بعد رحيل موسى، وإسلامياً عرف الخليفة بأنه القائم مقام الرسول بعد موته، ولأن مهمة الرسول أن يبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم وإحكاماً للأمر من بعده، أعلن الرسول وأخبر الناس: المؤمن منهم والكافر بأن علي بن أبي طالب هو الخليفة من بعده، أي القائم مقام الرسول عند موته، فقال، ﷺ، عن علي بن أبي طالب: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»[2].

وبهذا الحديث الذي ربط بين الأخوة والوصاية والخلافة بيَّن الرسول مغزى آيات الخلافة، فالخليفة هو الشخص المؤهل إلهياً لخلافة الرسول والحكم بشريعة إلهية. وإذا استذكرنا قوله تعالى: ﴿**وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح**﴾ واستذكرنا قول الرسول لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» عندئذٍ نقطع بأن الرسول أعطى علياً كافة الصلاحيات المخولة له في قيادة المجتمع باستثناء النبوة، فعلي هو الإمام، وهو الولي، وهو الخليفة، أي صاحب الكلمة العليا في المجتمع، أو بتعبير أدق في هذا المكان «أي الخليفة القائم بالحق والحقيقة مقام النبي بعد موته، وحديث المنزلة من أصح الآثار»[3].

---

(١) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام، ص ١١ ـ ١٢.

(٢) هذا الحديث صحيح، صححه أبو جعفر الأسكافي، وابن جرير الطبري، كما ذكره السيوطي في جمع الجوامع، ٦/ ٣٩٦، وراجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ٢٢٤ تجد التوثيق.

(٣) راجع صحيح مسلم، ٢/ ٣٦٠، وصحيح البخاري، ٥/ ١٢٩، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ٢٢٥.

وبعد أن تم غصب الخلافة والإمامة بعد وفاة النبي والاستيلاء عليها بالقوة والتغلب، صار القائم مقام النبي يُعرف بالخليفة، أي صاحب الكلمة العليا في المجتمع، ظاهرياً لأنه خليفة الرسول الذي كان صاحب الكلمة العليا، وواقعياً لأنه الخليفة المتغلب تحت تصرفه الأموال يستميل بها القلوب وأسباب القوة الأخرى.

وتستخدم في أداء المعنى نفسه مصطلحات أخرى هي:

٣ ـ أمير المؤمنين. ٤ ـ القائد. ٥ ـ سيد المسلمين. ٦ ـ سيد العرب. ٧ ـ الوصي.

وحملاً على المقصود الإلهي من الإمامة أو خلافة الرسول الشرعية وإقامة الحجَّة، وقطعاً لدابر التأويل، أعلن الرسول وأخبر أصحابه: فرادى ومجتمعين بأن الإمام علياً هو أمير المؤمنين، وهو سيد المسلمين، وهو سيد العرب، وهو القائد، وهو راية الهدى، ونور من أطاع الله. وهذه الصفات من لوازم ومظاهر الإمامة الشرعية، النموذج الوارد في القرآن الكريم، وهي إمامة ابراهيم والأئمة من بعده الذين يهدون بأمر الله حتى وصلت الإمامة إلى محمد؛ حيث جمع الله له الإمامة والرسالة والنبوة، وقد وردت هذه الصفات في أحاديث موثوقة أجمع أئمة أهل بيت النبوة على صحتها، ورواها الكثير من علماء دولة الخلافة التاريخية[١].

المصطلحات المرادفة للإمامة وجوه لشخص واحد

من يمعن النظر في منصب الإمامة ومعانيها اللغوية والشرعية وبالمترادفات التي أطلقت على شخص الإمام يتيقن أن هذه المترادفات وجوه لشخص واحد، ومظاهر ولوازم لمنصب واحد، وهو منصب الإمامة، فالإمامة الشرعية، هي رمز

(١) راجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، لابن عساكر، ٢٥٦/٢ ـ ٢٦٨ ح٧٧٩ ـ ٧٩٥، وكنز الأعمال ١٥٧/١٥، وشرح النهج لابن أبي الحديد، ١٧٠/٩، والمناقب للخوارزمي، ص ٤٤، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي، ص ٧٣ وفي كتابينا «نظرية عدالة الصحابة ـ باب القيادة السياسية» و«المواجهة مع رسول الله وآله/ الباب الرابع ـ الفصل الثالث»، تجد التوثيق التام لهذه الأحاديث عند علماء دولة الخلافة.

الارتباط بين الخلق وأمر الله الخالق، والإمام يمثل قمة الوجود علماً وإحاطة وتقوى، وفضلاً، وصلاحاً، وهو النموذج المتحرك الحي للإنسان المعتصم بالله، وهو المرجع الوحيد الذي لا يعلو فوقه مرجع، وهو المؤهل إلهياً لقيادة الأمة المسلمة بل لقيادة العالم على هدى من أمر الله، فلا يوجد في زمانه من هو أفضل منه ولا أعلم ولا أصلح، ولا أقدر، فما من سؤال إلا ويملك الجواب الصحيح عليه، لأن من مهام الإمام أن يبين الدين، أو أمر الله للعالم كله فضلاً عن الأمة الإسلامية.

ومن هنا فإن الإمام بالضرورة محصن «أو مطعم» ضد الخطأ والزلل، وبما أن هذا الإمام سيحل محل الرسول ويقوم مقامه عند موت الرسول، فهو بالبداهة والضرورة خليفة الرسول القائم مقامه في أمور الدين والدنيا معاً، وحيث أن الإمام الشرعي له ولاية على نسق ولاية الله ورسوله فهو الأولى بالمؤمنين من أنفسهم أو هو وليهم، أو ولي أمرهم جميعاً وولي كل واحد وواحدة منهم، أي أنه الأولى بهم من غيره، فهو يلي أمورهم، ويتصرف بشؤونهم. والإمام الشرعي بالضرورة هو سيد المسلمين، وقائدهم الأعلى، وراية هداهم، وموالاته هي موالاة لله ولرسوله، ورمز لاتباع المسلمين لأمر الله، ولأنه وصيّ الرسول فهو كنفس الرسول استناداً لآية المباهلة ولقول الرسول لبني هيلعة: «لأرسلن عليكم رجلاً كنفسي»، وقول الرسول لأبي بكر عندما أخذ منه سورة براءة وكلف الإمام علي بتبليغها مسوغاً ذلك بأنه لا يؤدي عن الرسول إلا الرسول نفسه أو الإمام علي، وهكذا يبني الإسلام جسور الثقة بين الإمام وبين المؤمنين، ويحكم كافة الأحكام المتعلقة بمنصب الإمامة، ويسد أمام طلاب الزعامة أبواب الفتنة والتأويل ويوطّد للإمام في الأرض.

أما الخليفة الذي استولى على صلاحيات الإمام ومنصب الخلافة بالقوة والتغلب والقهر فلا حظَّ له من الشرعية وهو مجرد واقع مفروض، غير معتبر ومعدوم شرعياً. وإمامة هذا المتغلب وخلافته تدخل في زمرة إمامة فرعون وجنوده وإمامة زعامة بطون قريش. وهي إمامة قائمة أصلاً على الغصب والتغلب والقهر والخروج على أمر الله، واستبعاد الكفاءات الشرعية.

* * *



الفصل الثاني

ضرورة الإمامة واختصاصات الإمام

من المسلَّم به، بالضرورة، أنَّ محمداً هو آخر الرسل وخاتم النبيين، وأنه قد أرسل للناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وأن الدين الذي جاء به هو (دين الله) الإسلام بصيغته النهائية التي ارتضاها الله لعباده، وأنه قد انتقل إلى جوار ربه.

ويسلِّم الجميع بأن المهمة الأساسية لرسول الله تنصب على: ١ ـ تبليغ ما أنزل إليه من ربه. ٢ ـ وبيان ما أنزل فالصلاة على سبيل المثال جاءت مجملة في القرآن الكريم، فقام الرسول ببيانها. ٣ ـ ومهمة الرسول أن يقود الدعوة الإسلامية وأن يقود الدولة الإسلامية التي تمخضت عن الدعوة. ٤ ـ وأن يحكم بما أنزل الله، ومن خلال هذا كله يتكون المجتمع النموذج الذي يستقطب العالم لأمر الله. ٥ ـ وأن يكون مرجعاً عاماً لا ينطق إلا بالجزم واليقين القائم على الصواب التام.

من يقوم بمهام الرسول بعد وفاته؟

تبليغ ما أنزل الله، وبيانه، وقيادة الدعوة، وقيادة الدولة والحكم بما أنزل الله، واستقطاب العالم، والمرجعية أمور على جانب كبير من الخطورة. والقيام بها يستدعى بالضرورة الإعداد الإلهي الكامل، والمؤهل الوحيد والمعد إلهياً لإنجاز هذه المهام من بعد النبي هو الإمام، الأعلم والأفهم بالدين والأقرب لله ولرسوله، وأفضل أبناء الجنس البشري في زمانه بشهادة الله ورسوله، عندئذٍ يحدث استقرار مؤسسي، وقناعة عامة بأهلية الإمام وقدرته، وينقطع دابر التنافس والتناحر على منصب الإمامة، وتمضي الشرعية والمشروعية قدماً في تحقيق أهدافها.

وتوقّف عمليات التبليغ وبيان ما أنزل الله، وتوقف الدعوة إلى أمر الله،

وانهيار دولة الإيمان، والبقاء بدون مرجع موثوق ينطق بالحق والصواب، ويدل الناس على أمر الله، ويطلعهم على الحقائق الشرعية المجردة، عند تفرق الآراء واختلاف الأهواء جميع هذه الأمور تتناقض مع الحكمة الإلهية من النبوة والرسالة وكذلك ترك هذه الأمور من دون إسنادها لشخص محدد ومؤهل ومعد للقيام بها أمر لا يتفق مع الحكمة والتدبير الإلهي، والإمام الشرعي هو المخول بذلك كله، مما يجعل وجوده ضرورة ملحة يحتاجها الناس كحاجتهم إلى الماء والهواء، والحب، وتكوين العائلة، فبدون الإمام الشرعي يتآكل المجتمع المسلم من داخله، وفي وقتٍ يطول أو يقصر تبدأ الانهيارات، وتصبح عملية إعادة البناء مستحيلة بدون وجود الإمام الشرعي وإشرافه، وحتى مع وجوده تصبح عملية إعادة البناء مكلفة، وتحتاج لجهد مضاعف.

والخلاصة أنه من غير المتصوّر وجود مجتمع مؤمن حقاً بدون إمامة شرعية تهدي بأمر الله على شاكلة إمامة ابراهيم والأئمة من بعده الذين يهدون بأمر الله، وعلى شاكلة إمامة محمد، والأئمة من ذريته الذين اختارهم الله لقيادة الناس وهدايتهم إلى أمر الله من بعد النبي.

وفي هذا المجال، يقرِّب الإمام الباقر الصورة إلى الذهن فيقول: «يا أبا حمزة يخرج أحدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلاً وأنت بطرق السماء أجهل منك بطرق اورض، فاطلب لنفسك دليلاً»[1]. وانظر إلى قول الإمام علي: «اللهم لا تخلو الأرض من حجة لك على خلقك، ظاهر أو خائف مغمور لئلا تبطل على الناس حججك أو بيّناتك»[2]. وقول الإمام زين العابدين: «اللهم إنك أيدت دينك في كل زمان بإمام أقمته علماً لعبادك، ومناراً في بلادك... وأمرت بامتثال أمره والانتهاء عند نهيه، وأن لا يتقدمه متقدم ولا يتأخر منه متأخر»[3].

(١) راجع البحار للمجلسي، ٩٩/٨٨، والحياة ١٢٥/١.
(٢) راجع البحار للمجلسي، ٢٠/٢٣، ح١٧.
(٣) راجع الدعاء رقم ٤٦ من الصحيفة السجادية.

وباختصار لو كان في الأرض اثنان لكان الإمام بالضرورة أحدهما كما قال أحد الأئمة.

قد يقال كيف تحتج بأقوال أئمة أهل بيت النبوة على قوم ينكرون إمامتهم؟ الأئمة الكرام لا يقولون برأيهم، وما يقولونه مروي عن آبائهم عن رسول الله، ولا ينكرالمنكرون أن الأئمة عاشوا مع رسول الله طوال حياته المباركة، وورثوا علم النبوة، فضلاً عن مكانتهم الخاصة والمميزة بوصفهم أعدال الكتاب، والذين أذهب الله عنهم الرجس، وفرض مودتهم وجعل الصلاة عليهم جزءاً من الصلاة المفروضة على العباد. وأصحاب مقولة الإنكار يحتجون على الناس بمن هم أقل من الأئمة مرتبة، فهم يقولون بعدالة جميع الصحابة، ومن الثابت أن الأئمة، علي، والحسن والحسين، صحابة على الأقل، وبرأيهم فإن الصحابة كلهم عدول، فلمَ تقدحون إذاً بعدالة الأئمة أو تشككون بها، مع أنهم صحابة، بل وسادات الصحابة وسادة الجنس البشري كله!!! فلو روى هذه الأحاديث أبو هريرة الذي صحب النبي أقل من ثلاث سنوات، لآمنوا بروايته واعتبروها شيئاً مقدساً، بحجة أنه صحابي، ولو روى هذه الأحاديث معاوية أو أبوه لتقبلوها بقبول حسن، مع أن معاوية وأباه طليقان حاربا رسول الله ودينه علناً مدَّة ٢٣ عاماً ولم يسلما إلا كارهين.

ضرورة وجود إمامة، بَرّة كانت أم فاجرة

تلك حقيقة مطلقة سلمت بها البشرية كلها، واعتبرتها ضرورة من ضرورات الاجتماع البشري، فلا غنى لمجتمع قل أم كثر عن الإمامة. والإمامة بالضرورة، كما أنزل الله في كتابه وبيّنها رسول الله، تأخذ صورتين متناقضتين، إحداهما: إمامة برّة، وهي الإمامة الشرعية كإمامة ابراهيم والأئمة الذين كانوا يهدون لأمر الله من بعده، وإمامة محمد وعلي والأئمة الأطهار من ذريتهما. فالإمام بهذه الصورة رجل اختاره الله، وأعده، وهيأه للإمامة، حتى صار أفهم وأعلمهم أهل زمانه، وأتقاهم وأصلحهم وأفضلهم ومهمته أن يقود الجنس البشري على هدي الأمر الإلهي.

وثانيتهما: الإمامة الفاجرة، كإمامة فرعون وجنوده، وإمامة زعماء بطون

قريش، والإمام بهذه الصورة رجل حصل على الإمامة بالقوة فقاد الناس على هدى آرائه الخاصة واجتهاداته الشخصية. عندما يستبعد الإمام الشرعي، ويتم الاستيلاء على منصب الإمامة بالقوة والتغلب والغصب والقهر ويتسلح الغاصب بالصلاحيات الهائلة التي أعطاها الشارع الحكيم للإمام الشرعي، عندئذٍ يتحول هذا الغاصب إلى دكتاتور ويصبح إماماً أو قائداً ومرجعاً للمجتمع على شاكلة إمامة فرعون وجنوده، وعلى شاكلة أئمة الكفر «زعماء بطون قريش» الذين دخلوا بحرب مسلحة مع رسول الله، ولأن المؤهل الوحيد للغاصب هو القهر والغلبة، ولأنه غير معد إلهياً لتولي منصب الإمامة وللقيام بأعبائها، يغدو كحاطب الليل أو كشخص لا يعرف من الطب إلا اسمه أو رسمه، ومع هذا يجري عمليات جراحية دقيقة للقلب والعين والأذن، وهكذا يتلف الغالب ويفسد كل شيء يلمسه أو يضع يده عليه، ومع الأيام لا يبقى من الدين إلا اسمه، ويصبح فرعوناً حقيقياً والفرق بين الفرعونين أن فرعون مصر مكشوف وظاهر على حقيقته، بينما الفرعون الغاصب يرتدي جبة إسلامية. وطوال التاريخ كانت هذه الإمامة الغاصبة قائمة ومستمرة، لأن قيادة المجتمع ضرورة يفرضها منطق الحياة وطبيعة الاجتماع.

قال رسول الله ﷺ: «لا بد للناس من إمارة بَرّةٍ أو فاجرةٍ، فأما البرَّةُ فتعدِلُ في القسْمِ وتقْسَمُ بينكم فيأكم بالسويةِ، وأما الفاجرةُ فيبتلي فيها المؤمن، والإمارة خير من الهرج، قيل يا رسول الله: وما الهرج؟ قال: القتلُ والكذبُ»[1].

فبدون قيادة للمجتمع يختل حبل الأمن، ويأكل القوي الضعيف، والقيادة أو الإمارة وجه من وجوه الإمامة. ومن هنا قال رسول الله: «الإسلامُ والسلطانُ أخوان توأمان لا يَصلحُ واحدٌ منهما إلا بصاحبه فالإسلام أُسّ والسلطان حارث، وما لا أُس له يُهْدَمُ وما لا حارثَ له ضائعٌ»[2].

والمعنى أن الأئمة الغاصبين استولوا على السلطان باعتباره الحارث وتركوا الإسلام مع أنه الأساس والأخ التوأم للسلطان.

(١) راجع كنز العمال، ٦/ ٣٩ ح ١٤٧٥٥.
(٢) راجع كنز العمال ٦/ ١٠ ح ١٤٦١٣، وكتابنا مرتكزات الفكر السياسي ص ١٦٠ وما بعدها.

الاستيلاء على منصب الإمامة بالقوة والتغلب

الغاصب للإمامة رجل طامع بالسلطة، وحاسد للإمام الشرعي وقوي أعد العدة، وصمم على الخروج من الشرعية والمشروعية الإلهية، وعلى تنحية الإمام الشرعي بالقوة والتغلب والحلول محله قهراً، وبعد ذلك يظهر بمظهر الإمام الشرعي، مع أن مؤهله الوحيد هو الغلبة، فليس مؤهلاً للإمامة ولا معداً لها ويبقى في منصبه المغصوب ما دام غالباً، وعندما تقترب منيته يعهد بالإمامة المغصوبة، لابنه أو لأخيه أو لأحد أصفيائه، ويتداولون منصب الإمامة المغصوبة ما داموا غالبين، فإذا ضعفوا يأتي طامع آخر ويستولي بالقوة والتغلب على الإمامة ويفعل كما فعل الذين من قبله ويتمتع بالحكم ما دام غالباً، وهكذا فالغلبة هي الأساس الوحيد للوصول إلى منصب الإمامة تاريخياً، فقد آلت الخلافة للخليفة الأول لأنه غلب، وعهد بها الخليفة الأول للثاني لدوره المجيد بنصرة الخليفة الأول، وعهد الخليفة الثاني عملياً بالخلافة للخليفة الثالث، وبعد قتله غالب معاوية ولي الأمر فغلبه بالباطل وأقام الملك الأقوى ثم آلت الأمور إلى الحكم بن العاص عدو رسول الله اللدود، وجد ملوك بني أمية فحكموا هم وأحفادهم لأنهم غالبون ثم جاء العباسيون فغلبوا الأمويين وحكموا لأنهم غالبون، ودام حكمهم حتى جاء العثمانيون فحكموا لأنهم غالبون.

التغلب هو الأساس الذي تقوم عليه الخلافة!

قال قاضي القضاة أبو يعلى الفراء، واصفاً واقع الحال: قال بعضهم إن الإمامة تثبت بالقهر والغلبة ولا تفتقر إلى العقد، «من غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً براً كان أو فاجراً فهو أمير المؤمنين»[1]. وقال في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم، تكون الجمعة مع من غلب.

---

(١) راجع الأحكام السلطانية لأبي يعلي الفراء ص٧ وما بعدها.

والدليل الشرعي على ذلك أن عبدالله بن عمر بن الخطاب صلى بأهل المدينة يوم الحرة وقال: «نحن مع من غلب»[1].

لا يضرُّ مع الغلبة ذنب، والغالب يجب أن يطاع!

إذا تحققت الغلبة ونجح الغالب بالإستيلاء على منصب الولاية والإمامة الشرعية بالقوة، فلا يضر مع الغلبة ذنب، ولا حرج على الغالب لو كان فاسقاً وظالماً ومعطلاً للحدود وغاصباً للأموال وضارباً للإبشار ومضيعاً للحقوق، فتجب طاعته ويحرم الخروج عليه لأنه خليفة الرسول!

إثبات هذه الفتاوى العجيبة!

«قال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك. . . . وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين. . وأجمع أهل السنة بأنه لا ينعزل السلطان بالفسق»[2].

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، في كتاب التمهيد: «قال الجمهور من أهل الإثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال وضرب الأبشار وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود ولا يجب الخروج عليه. .

وجاءوا بمئات الأحاديث النبوية التي تحض على طاعة الأئمة مهما فعلوا!

فيزيد بن معاوية أحرق الكعبة المشرفة، واستباح المدينة المنوّرة ثلاثة أيام، فحملت ألف عذراء من غير زوج، وقتل سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي، ومعه ١٧ رجلاً من أهل بيت النبوة، وساق بنات الرسول من العراق إلى الشام سبايا حفايا. ومع هذا يسمونه إماماً مجتهداً! قال أبو الخير الشافعي في حق يزيد: «ذاك

---

(١) راجع الأحكام السلطانية لأبي يعلي الفراء، ص ٨.

(٢) النووي في شرحه على صحيح مسلم، ٢٢٩/١٢.

إمام مجتهد»[1]. وقال عبدالله بن عمر بن الخطاب حاثاً المسلمين على طاعة يزيد يوم الحرة، سمعت رسول الله يقول: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له»[2]. قال ابن عمر هذا بعد أن شاهد أن يزيد قتل عشرة آلاف مسلم في يوم واحد، واستباح المدينة، وختم أعناق الصحابة، وأخذ منهم البيعة على أساس أنهم عبيد لأمير المؤمنين يزيد بهم معاوية بن أبي سفيان، يتصرف بهم تصرف السيد بعبده وأقنانه شراء وبيعاً وقتلاً. . . !!

والمعنى أن الرجل إذا غلب وصار خليفة، مسوّغ عمله فلا يعصى الله إلا لحكمة، ولا يعطل الحدود ويضيع الحقوق، ويغصب الأموال ويضرب الأبشار إلا لحكمة، تفتقت عنها عبقرية الغالب الذي صار إماماً أو خليفة أو أميراً للمؤمنين بالقوة والقهر.

ما هو سبب استمرار حكم الغالبين بالقوة والقهر؟

المتغلب رجل خارج على الشرعية والمشروعية الإلهية، وهدفه من هذا الخروج الاستيلاء بالقوة والتغلب والقهر على منصب الإمامة أو الولاية الشرعية، وبأي وسيلة كانت لأن الغاية عنده تبرر الوسيلة، فإذا تحققت غايته وتم الاستيلاء على منصب الإمامة بالقوة والتغلب والقهر، يصادر مع الإمامة كافة صلاحيات الإمام الشرعي، ويعلن أنَّ هذه الصلاحيات حقوق شخصية تابعة لمنصب الإمامة.

ويصبح الغالب بالضرورة:

١ ـ هو المتصرف الأوحد بالأموال والأرزاق والمواد يعطي من يشاء، ويحرم منها من يشاء، وبما أن المال عصب الحياة يتبعه الناس اقتصادياً ويطلبون وده أو يتظاهرون بوده وموالاته حرصاً على نصيبهم من الأموال والأرزاق والموارد.

٢ ـ يجمع بيده كل وسائل القوة فهو قائد الجيش الذي يتلقى أفراده عطاءهم

---

(١) راجع تاريخ ابن كثير، ٩/١٣.
(٢) راجع صحيح مسلم، ٦/ ٢٠ ـ ٢٢.

منه، فمن يعجز المال والرزق عن تركيعه يركعه بسبب من أسباب القوة.

٣ ـ ويصبح الغالب بالضرورة هو القابض الفعلي على نفوذ الدولة وسلطانها يشرك من يشاء بأمره، ويقصي من يشاء.

٤ ـ ويتملك الغالب بالضرورة كل وسائل الإعلام ويسيطر عليها ويوجهها، لغسل الأدمغة والتلبيس والتدليس، وتحريف الكلم عن مواضعه، والتشكيك بكل ما يدينه.

ومن خلال التكامل بين هذه الوسائل الأربع يضمن المتغلب إحكام أمره بالقوة والقهر والتغلب.

معرفة الإمام الشرعي

أوجب الشرع الحنيف على كل مسلم أن يعرف إمام زمانه الشرعي، ورتب على هذه المعرفة أحكاماً في غاية الخطورة، قال الإمام الباقر، عن آبائه، عن رسول الله: «من مات وليس له إمام فموته ميتة جاهلية، ولا يُعذر الناس حتى يعرفوا إمامهم، ومن مات وهو عارف إمامه لا يضره تقدم هذا أو تأخره، ومن مات عارفاً لإمامه كان كمن هو مع القائم في فسطاطه»[(١)].

وقال الباقر أيضاً، أو الإمام الصادق عن آبائه عن رسول الله: «لا يكون العبد مؤمناً حتى يعرف الله ورسوله والأئمة كلهم وإمام زمانه، ويرد إليه ويسلم له ثم قال: كيف يعرف الآخر وهو يجهل الأول».

معرفة الإمامة التاريخية

قال أبو يعلى الفراء في لزوم معرفة الإمام، ويقصد بالإمام الخليفة المتغلب، قال بعضهم: «لا واجب على الناس كلهم معرفة الإمام بعينه واسمه كما

---

(١) راجع البحار للمجلسي، ٧٧/٢٣ عن المحاسن، راجع الحياة ١/ ١٢٧.

يجب عليهم معرفة الله ورسوله». ثم قال: «والذي عليه جمهور الناس أن معرفة الإمام تلزم الكافة بالجملة دون تفصيل»[1].

الإلحاق!؟

عندما نجح الخليفة المتغلب بالإستيلاء على منصب الإمامة الشرعية، ادعى أنه صاحب الحق بكل الصلاحيات والأحكام المتعلقة بالإمام الشرعي فصادرها مع الإمامة الشرعية على اعتبار أنها من توابعها والتابع تابع.

مؤهلات الإمام نقطة الإنطلاق

من المؤكد والمسلم به عند الجميع بأن رسول الله ﷺ قد قاد الدعوة إلى الله، وبعد أن تمخضت الدعوة عن دولة رأس الدولة بنفسه مدة عشر سنوات. فكان رسولاً ونبياً وإماماً، ولا ينكر أحد في الدنيا أنَّ رسول الله من ذرية ابراهيم، وقد خص الله ابراهيم بالنبوة والخلة والإمامة، واعتبر الله تعالى الإمامة عهده الخاص، قال الله تعالى لإبراهيم: **﴿إنّي جاعِلُكَ للناسِ إماماً، قالَ ومن ذُرِّيّتي، قالَ لا ينالُ عَهدي الظَّالِمينَ﴾** قال الإمام الرضا: «فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت بالصفوة ثم أكرمها الله تعالى فجعلها من ذرية أهل الصفوة والطهارة... فلم تزل ترثها ذريته بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورثها النبي، فقال الله تعالى: **﴿إنَّ أَوْلى ٱلنَّاسِ بابراهيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ** (الأئمة من بعده) **وهذا النَّبيُّ﴾** [آل عمران/ ٦٨] فكانت لهم خاصة ثم قلدها النبي علياً فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان.

فالإمامة كما يقول الرضا عليه السلام: «منزلة الأنبياء وإرْث الأوصياء وإنَّ الإمامة خلافة الله وخلافة رسوله ومقام أمير المؤمنين وخلافة الحسن والحسين عليهما السلام ـ وأضاف الإمام الرضا قائلاً: ـ إن الإمام زمام الدين ونظام

---

(١) راجع الأحكام السلطانية ص ١٥ للفراء، والماوردي.

المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين. الإمام رأس الإسلام النامي وفرعه السامي. بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف. الإمام يحل حلال الله ويحرم حرامه ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة. . الإمام هو البدر المنير والسراج الزاهر، والنور الطالع والنجم الهادي في غيابات الدجى، والدليل على الهدى، والمنجي من الردى. . الإمام أمين الله في أرضه وخلقه وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله. . والإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد له بدل ولا له مثل ولا نظير. مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب»[1]. وقد بينا أن الإمام هو خليفة النبي، وهو الولي من بعده وهو القائد، وسيد المسلمين، وأمير المؤمنين، ونور الطاعة. وتلك أوصاف شرعية أضفاها النبي بأمر من ربه على الأئمة الطاهرين من ولده من بعده.

مؤهلات النبي

لا خلاف بين أهل الملة بأن النبي ﷺ هو الأعلم والأفهم بالدين وإطلاقاً في زمانه، وهو الأتقى والأقرب لله، وهو أفضل أبناء الجنس البشري، وهو الأرحم بالناس، والأنسب إطلاقاً لقيادة الدعوة إلى الله، ورئاسة الدولة الإيمانية. إنه أوحد زمانه بهذه الأمور، وهو الناطق بالصواب، وترجمان الحكمة والعلم الإلهي، ونور طاعة الله، وهو الولي والقائد والسيد والإمام، وتلك صفات لا يجرؤ أحدٌ على التشكيك بواحدة منها.

(١) راجع تحف العقول عن آل الرسول، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤.

مؤهلات الإمام من بعد النبي

الدعوة مستمرة إلى يوم القيامة، والدولة الإيمانية كحامية للدعوة قائمة إلى يوم القيامة، والدين الإسلامي كقانون للدولة من المفترض أن يبقى نافذاً إلى يوم القيامة. هذه الأمور الثلاثة تحدد بالضرورة طبيعة ومؤهلات الإمام أو الرجل الذي سيخلف النبي. فالإمام الذي سيخلف النبي بالضرورة هو الأعلم والأفهم بالدين، حتى يبلغ ما أنزل الله، وحتى ينقل البيان النبوي لما أنزل الله نقلاً يقيناً قائماً على الجزم واليقين، وهو بالضرورة الأتقى لله والأقرب لله ولرسوله، والأرحم بالناس، وأفضل الموجودين في زمانه، وأنسبهم إطلاقاً لقيادة الدعوة والدولة معاً، وأوحد زمانه في هذه الأمور حتى يكون هو المرجع الناطق بالصواب، وهو بالضرورة الوارث لعلم النبوة. وهذه المؤهلات خفية لا يعلمها على وجه الجزم واليقين إلا الله، ومن هنا فقد أمر رسوله بأن يعلن أنَّ علياً بن أبي طالب هو المؤهل والمعد إلهياً لإمامة المسلمين من بعد الرسول، وأن الحسن إمام من بعد أبيه، وأن الحسين إمام من بعد أخيه، بالإضافة إلى تسعة من ولد الحسين سماهم الرسول أئمة، وأعلن أن مؤهلات الإمامة متوفرة فيهم تماماً.

هذه هي المؤهلات الواجب توفرها في الإمام من بعد النبي، هذا إذا أردناها إمامة شرعية على شاكلة إمامة ابراهيم والأئمة من بعده الذين يهدون بأمر الله وعلى شاكلة إمامة محمد على اعتبار أن الإمامة عهد الله، ولا ينال عهد الله الظالمين.

من له مصلحة بالاعتراض على هذه المؤهلات؟

لست أدري من في المسلمين له مصلحة بالاعتراض على هذه المؤهلات!! إن كان مؤمناً، وأي مؤمن، بل وأي إنسان سوى فاقد العقل يكره أن يتصف إمامه بهذه الصفات؟ أو تكون له هذه المؤهلات المميزة!

مؤهلات الإمام المتغلب بالقوة والقهر

الإمام المتغلب بالقوة والقهر رجل مغامر وطماع وحسود استمرأ الحرام وخرج من الشرعية والمشروعية الإلهية، يوم خلع إمامه الشرعي المتصف بصفات

الإمامة، وحل محله بالقوة والتغلب والقهر مع علمه بأنه غير مؤهل للإمامة، وغير متصف بصفاتها وأن مؤهله الوحيد هو القوة والتغلب والقهر، ومع علمه بأنه غير جدير بخلافة النبي. وينطبق هذا على من يعهد إليه المتغلب. هذه هي طبيعة إمامة فرعون وجنوده، وإمامة أئمة الكفر زعماء بطون قريش المشركين، ولكنها هذه المرة ترتدي عمامة إسلامية.

إمام وخليفة لخير البشر وفاسق في الوقت نفسه!

المتغلب يصبح إماماً بالقوة والقهر والغلبة، واسمياً ورسمياً هو خليفة لرسول الله خير البشر، ومع هذا فهو هو فاسق وظالم، ومعطل للحدود والحقوق[1] !.

وقد يكون فاسقاً وظالماً وغاصباً للأموال، وضارباً للأبشار ومتناولاً للنفوس المحرمة، ومضيعاً للحقوق، ومعطلاً للحدود[2]..

وقد يهدم الخليفة المتغلب الكعبة المشرفة، ويستبيح مدينة الرسول ثلاثة أيام، ويقتل عشرة آلاف مسلم في يوم واحد، ويقتل أبناء الرسول ويُحاول إبادة ذريته كما فعل يزيد.

ومع هذا لا يجوز الخروج عليه وتجب طاعته، لماذا؟ لأنه إمام متأول وخليفة رسول الله! وعلى هذا أجمع أهل السنة والجماعة!

والأنكى من ذلك أنهم وضعوا أحاديثاً على رسول الله توجب طاعة هذه النماذج من الأئمة[3].

إنها إمامة فرعون وجنوده وأئمة الكفر من زعامة بطون قريش ولكن في زيٍّ إسلامي!

---

(١) راجع شرح النووي لصحيح مسلم، ١٢/٢٢٩، وسنن البيهقي، ٨/١٥٨ ـ ١٥٩.
(٢) راجع التمهيد للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني.
(٣) راجع المصادر ـ ١و٢ ـ نفسها.

عدد الأئمة

لم يكتف الرسول ﷺ ببيان كافة الأحكام المتعلقة بالإمامة ومنصب الإمام من بعده، وتوضيح هذا المنصب بالمترادفات التي ألحقها به، كالولاية والخلافة وإمارة المؤمنين والسيادة على المسلمين، لم يكتف بكل ذلك إنما بين عدد الأئمة قياماً بواجب البيان وإحكاماً لأمر الله واحتياطاً للأمة ومستقبلها وقطعاً لدابر الخلاف والاختلاف في هذا الأمر الخطير.

فأكد ﷺ أن عدد الأئمة الشرعيين من بعده هو اثنا عشر إماماً. والمثير للدهشة حقاً أن كلمة إمام وأئمة وردت في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة كما بينا!

وقد عم هذا التأكيد كافة أوساط الأمة المسلمة وأرسله عامتها وخاصتها إرسال المسلمات.

لقد ورد في صحيح مسلم قول الرسول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»[1].

وفي صحيح البخاري ورد قول الرسول: «يكون اثنا عشر أميراً... كلهم من قريش»[2].

وفي كنز العمال ورد قول الرسول: «لن يزال هذا الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش، فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها»[3].

وفي مسند الإمام أحمد ورد قول الرسول: «اثنا عشر عدة نقباء بني إسرائيل»[4].

---

(١) راجع صحيح مسلم، ٤/١٠١، ح١٨٢٢ ورواه بتسعة طرق.

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٢٦٤٠ ح٢٧٩٦، وراجع صحيح الترمذي ٤/ ٤٢٤، وسنن أبي داود ٤/١٠٦ ح٤٢٧٩، ومسند أحمد ٦/ ٩٢ ح٢٠٣١٩.

(٣) كنز العمال ١٢/ ٢٤ ح٢٣٨٦١.

(٤) مسند الإمام أحمد ١/٦٥٧، ٦٧١ ح٣٧٧٢، ٣٨٤٩، وراجع أيضاً ابن كثير في البداية والنهاية ٦/٢٧٨ ـ ٢٨٠.

وقال ابن كثير: «وفي التوراة التي بأيدي أهل الكتاب ما معناه أن الله تعالى بشر ابراهيم بإسماعيل وأنه ينميه ويكثره ويجعل من ذريته اثنى عشر عظيماً»[1].

ولا خلاف بين أحد من الشيعة الإمامية بأن عدد الأئمة اثني عشر إماماً.

فإذا استذكرنا قول الإمام علي «إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم ولا يصلح الولاة من غيرهم» وأقوال الأئمة الاثني عشر التي أوردناها واستذكرنا حديث الثقلين لا يبقى لدينا أدنى شك بأن قادة الأمة الشرعيين اثنا عشر إماماً فهم الأئمة الذين يشغلون منصب الإمامة التي هي على شاكلة إمامة ابراهيم والأئمة من بعده.

ومن المستحيل تطبيق هذا الرقم على وقائع التاريخ شرعاً، لأن الذين حكموا الأمة الإسلامية واقعياً حكموها بالتغلب والقهر، أو بعهد من متغلب قاهر، ولأنهم لم يتصفوا بصفات الإمامة، ولا لهم مؤهلاتها، إنما كانوا مجرد ملوك كغيرهم من ملوك الأرض.

اختصاصات الإمام الشرعي وصلاحياته

الإمام الشرعي هو القائم مقام النبي، والنائب عنه في قيادة كافة أمور الدين والدنيا، وحتى يتمكن الإمام من القيام بالأعباء التي كانت ملقاة على عاتق النبي، يجب عقلاً أن يتمتع بكامل صلاحيات النبي واختصاصاته، ويمكن إجمال اختصاصات الإمام الشرعي وصلاحياته بما يلي:

١ ـ تلاوة القرآن وتبليغه للناس ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ﴾ [النمل/ ٩١ ـ ٩٢]، بالإضافة إلى تعليم الناس أحكام القرآن وأسباب نزوله، وكافة العلوم التي تساعد على فهمه ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ﴾ [البقرة/ ١٥١].

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ١/ ٢٢٢.

٢ ـ تعليم الناس سنة الرسول المطهرة بفروعها الثلاثة: القول والفعل والتقرير على اعتبار أنها بيان للقرآن الكريم ﴿قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ. . ﴾ [المائدة/ ١٥ـ١٩]، ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل/ ٤٤] وعلى اعتبار أن كل ما يقوله الرسول حق، فهو لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ ما يُوحَىٰ إِلَيَّ. . ﴾ [الأنعام/ ٥٠، يونس/ ١٥، الأحقاف/ ٩]، ولأنه من المستحيل فهم القرآن دون السنة النبوية، فلو قرأ الإنسان كافة الآيات المتعلقة بالصلاة والحج مثلاً، لما فهمها الفهم الشرعي، فالقرآن معجزة بيانية فيه من الإجمال ما يستعصي فهمه على العامة والخاصة، ومهمة الإمام أن ينقل للناس بدقة البيان النبوي «السنة المطهرة» لأحكام القرآن والدين كله، وقول الإمام الشرعي هو الفصل لأن الله تعالى علمه من لدنه علماً أحاط به بالقرآن وببيان النبي لهذا القرآن، وهو مؤهل إلهياً ومعد لهذه المهمة.

٣ ـ الإمام الشرعي هو الحاكم والحكم، وهو رئيس الدولة، وقائد المجتمع ومن هنا شملت اختصاصاته جميع الشؤون الداخلية والخارجية وعلى كل صعيد، وأعباء الحكم والرئاسة والقيادة تقع عليه وحده يمارسها بذاته أو بمن يستعين بهم تحت أشرافه، فهو المسؤول عن كل شيء، فهو رئيس السلطة التنفيذية، وهو القاضي أو رئيس السلطة القضائية، وهو ولي الأمر، يعيِّن الولاة ويعزلهم، وهو القائد العام للجيش، وباختصار هو ولي أمر المجتمع كله، وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة من أفراده، مهمته أن يهدي الجميع لأمر الله وأن يحكم بما أنزل الله ﴿فاحْكُمْ بيْنَهُمْ بما أَنْزَلَ اللهُ﴾ [المائدة/ ٤٨] بيده الأموال العامة كلها، يضعها حيث أمر الله.

٤ ـ وكما يقود الإمام الشرعي الدولة بكل مقوماتها فإنه يقود الدعوة إلى الله أيضاً، ويشمل ذلك بسط الإسلام أمام الناس بأوضح الأساليب، وبيان فساد الأسس التي تقوم عليها مجتمعات الكفر، فكافة الناس يدخلون في الاختصاص العقائدي للإمام لأن الرسول وهو أول إمام أرسل للناس كافة، بشيراً ونذيراً ورحمة، ويهيىء الإمام الأسباب التي تخلق حرية الاختيار أمام الإنسان أي إنسان،

ليختار الحق بعد وضوحه، ويترك الباطل بعد تعريته، ووسيلته إلى ذلك كله الكلمة الطيبة، المدعمة بالقوة التي تحميها.

وقد حاول البعض أن يعدد صلاحيات الإمام واختصاصاته[1].

والسر أن هذه الاختصاصات والصلاحيات كانت لنبي ورسول، لا ينطق عن الهوى، ويتبع ما يوحى إليه، ثم خولت هذه الإختصاصات إلى الإمام الشرعي الذي اختاره الله تعالى وأعده وأهله للإمامة، فالنبوة والرسالة والعصمة هي الحرز المنيع الذي يحول دون إساءة استعمال هذه الصلاحيات الهائلة بالنسبة للنبي.

والإمامة والإعداد والتأهيل الإلهي، والعصمة الواجب توافرها بالإمام، هي الحرز المنيع الذي يحول دون الإنحراف أو إساءة استعمال هذه السلطان الهائلة.

بمعنى أن النظام السياسي الإسلامي الإلهي أعد الإمام إلهياً وهيأه، وعصمه من الوقوع بالزلل ثم أعطاه صلاحيات غير ممدودة ليحقق الغايات المناطة به والتي تتلخص بقيادة العالم كله على ضوء أمر الله، وما دام الإمام هو النبي أو الإمام الشرعي الذي اختاره الله فلا خطر من هذه الصلاحيات. لكن الخطورة تكمن في استيلاء الغاصبين بالقوة والقهر على منصب الإمامة، وادعائهم بأن هذه الصلاحيات ملحقة بالمنصب، ويتمتع بها القائم به سواء أكان شرعياً أم غاصباً.

اختصاصات الإمام غير الشرعي وصلاحياته:

١ ـ إمامتان:

بيّنا أن الإمامة نوعان: إحداهما: بَرَّة وشرعية، حيث يختار الله تعالى الإمام للإمامة ويعده ويؤهله ليقود الناس ويسوسهم، ويفصل ما بينهم وفق الأوامر الإلهية. كإمامة ابراهيم، والذين من بعده، وإمامة محمد، والأئمة الطاهرين من ذريته.

---

(١) راجع الأحكام السلطانية للفراء ص١١، والأحكام السلطانية للماوردي ص ١٥ ـ ١٦، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٨٧ ـ ١٩٤.

وثانيتهما: إمامة فاجرة وغير شرعية حيث يصل هذا الإمام إلى منصب الإمامة بالقوة والقهر أو بعهد من متغلب قاهر، فيحكم ويقود الناس ويسوسهم ويفصل ما بينهم وفق آرائه واجتهاداته الشخصية كإمامة فرعون وجنوده، وأئمة زعامة بطون قريش.

٢ ـ اختصاصات الإمام غير الشرعي:

بعد موت النبي مباشرة، وقبل أن يوارى جثمانه المقدس، ونتيجة تدبير محكم تم بليل، أقصي الإمام الشرعي عن منصبه وتم الإستيلاء على منصب الإمامة بالقوة والقهر والتغلب وكثرة الأتباع، وتوّج الغالب كإمام بديل للإمام الشرعي وكخليفة للنبي، وطوال تاريخ الخلافة ومن بعد وفاة النبي وحتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان، كان الإمام «الخليفة» يتعيَّن بالقوة والتغلب والقهر، أو بعهد من قوي متغلب قاهر، بعد إقصاء إمام زمانه الشرعي.

ومن الطبيعي أن يمارس هذا الخليفة المتغلب القاهر كافة الصلاحيات والإختصاصات التي كان يمارسها الرسول، بدعوى أنه خليفة الرسول، مع أن المؤهل الوحيد لهذا الخليفة أو ذاك هو القهر والتغلب، فعانى الناس من عسف الخلفاء وجورهم ما لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى.

ولقد تطرف بعض الخلفاء فَغيَّروا سنة النبي، متصورين أن آراءهم الخاصة، واجتهاداتهم الشخصية هي أهدى سبيلاً من سنة الرسول الذي لا ينطق عن الهوى.

فعلى سبيل المثال كان رسول الله يقسم المال بين الناس بالسوية، وهكذا فعل الخليفة الأول، فلما جاء الخليفة الثاني، رأى أن يقسم المال بين الناس حسب منازلهم برأيه، وهكذا ألغى سنة الرسول، واستعاض عنها برأيه الخاص، وبعد سنوات من تطبيق رأي الخليفة الثاني تكونت الطبقية، ونشأ الغنى الفاحش جنباً إلى جنب مع الفقر المدقع، عندئذٍ أدرك الخليفة خطورة عمله، ووعد بأن يرجع عن رأيه في السنة المقبلة، ويعمل بسنة رسول الله التي ألغاها[1]!!

---

(١) راجع تاريخ اليعقوبي، ٢/١٠٦ ـ ١٠٧، وشرح النهج لابن أبي الحديد، ٨/١١١.

الفصل الثالث

مكانة الإمام الخاصة

عموماً للإمام مكانة خاصة في الإمامتين: البرَّة والفاجرة، ربما لأنه صاحب الكلمة العليا في المجتمع، ولا صوت يعلو على صوته، أو لأنه القائد الذي تتجمع في يديه مفاتيح القوة، والنفوذ والأموال، فالكل ينشد وده لينال نصيبه منها، وربما لأنه رجل مميز، بدليل أنه قد صار إماماً، وربما لأنه رمز وحدة المجتمع وتميزه عن غيره. والإمام هو عنوان هذا التميز، فإذا ذكرت أمة من الأمم فأول ما يخطر بالبال رئاستها أو قيادتها أو إمامتها، وقد تكون مكانة الإمام الخاصة، ثمرة مشتركة لكل هذه الأسباب، وحتى نبقى ضمن المنهج القرآني فإن علينا أن نعالج ونبرز مكانة الإمام في نوعي الإمامة، البرَّة والفاجرة.

المكانة الخاصة للإمام الشرعي

من المسلَّم به أنّ ابراهيم وإسحاق وإسماعيل ويعقوب، ومن بعدهم من الأئمة الذين كانوا يهدون بأمر الله هم خيرة الله من خلقه، وأبرز صفاتهم أنّهم كانوا أئمة يهدون بأمر الله تعالى، فكل واحد منهم كان بمثابة الشمس الطالعة في زمانه لا يدانيه ولا يوازيه أحد من الخلق فهو رجل مميز وواحد زمانه، فهو علم الطاعة، وعنوان الصلة مع الله تعالى، وهو المتقدم المقدم عند الله، طاعته طاعة لله، والانقياد له انقياد لله، ومعصيته معصية لله، ومن هنا كان الإيمان بإمامة الأئمة وبولايتهم جزءاً لا يتجزأ من الدين، وركناً أساسياً ينهدم الإيمان بدونه، فلو أن رجلاً من أتباع إسحاق أعلن وأبطن إيمانه بالله وكتبه ورسله، ولكنه غير مؤمن بنبوة إسحاق وإمامته، وأنه لا يقبل بولاية ولا موالاة إسحاق، لما كان هذا الرجل مؤمناً، لأن الإيمان بالإمامة والولاية ركن من أركان الإيمان بالله لا يستقيم أحدهما دون الآخر، ومن هنا كانت مكانة الإمام الشرعي الخاصة في الإمامة الشرعية

مستمدة من الموقع الخاص الذي خص الله به الأئمة الكرام، فأمر الله يقضي بأن تكون التعاليم الإلهية ركن الدين، وهي الجانب الحقوقي أو القانوني، وأن يكون الإمام هو الركن الآخر وهو الجانب الشخصي أو القيادي. فالتعاليم الإلهية بمثابة القانون النافذ، والإمام بمثابة القيادة أو المرجعية، ولا يصح الإيمان بالله إلا بهذين الركنين، لأن الإمام هو رمز ارتباط المؤمنين بالله، وهمزة الوصل بين السماء والأرض، والقوة المعنوية الهائلة التي تحمل ما هو كائن إلى ما ينبغي أن يكون وتأتي مكانة الإمام الخاصة في الإمامة الشرعية «البَرَّة» من تميز شخصية الإمام الشرعي، حيث أن الإمام الشرعي معد ومهيأ إلهياً ليكون إماماً، فهو الأعلم والأفهم بالدين، وهو الأقرب والأتقى لله، وهو أفضل أفراد الجماعة المسلمة على الإطلاق وتلك حقيقة إيمانية، فالنبي موسى إمام في زمانه، فلا يستقيم إيمان مؤمن مسلم إذا اعتقد أن هنالك في زمان موسى من هو أعلم أو أتقى أو أصلح أو أفضل منه، إذ يجب أن تكون القناعة مطلقة بأن موسى هو أوحد زمانه في الجماعة المسلمة، وبغير ذلك فالإيمان كله موضع شك. وتأتي المكانة الخاصة للإمام الشرعي من كونه أيضاً قائد ورئيس ومرجع الجماعة المسلمة الذي تتجمع في يديه مفاتيح أموالها ونفوذها وقوتها، ومن كونه رمز وحدتها وعنوان وجودها.

المكانة الخاصة لإمامة محمد والأئمة من آله الأكرمين

من المؤكد أن إمامة محمد ﷺ هي الامتداد الشرعي والتواصلي لإمامة ابراهيم والأئمة من بعده الذين به يهدون بأمر الله، فمحمد حفيد إسماعيل، وإسماعيل بن ابراهيم ذرية بعضها من بعض ورثت النبوة والإمامة والكتاب والحكمة ويتميز محمد عن غيره، بمميزات جوهرية منها:

١ ـ أن رسالته هي آخر الرسالات، وأنه خاتم النبيين، وأنّ الدين الذي جاء به هو دين الله الإسلام بصيغته النهائية التي ارتضاها الله لعباده، فهو بحقيقته ونقائه وشموله يشكل منظومة حقوقية إلهية صالحة لأن تكون القانون الإلهي النافذ للجنس البشري وحكومته العالمية في كل زمان.

٢ ـ ويتميز محمد عن غيره بأنه أفضل الخلق إطلاقاً فهو أفضل من آدم ومن ابراهيم، وأنه أعلم المسلمين إطلاقاً، وإمام النبيين كلهم إطلاقاً، وأنه رسول إلى الجنس البشري كله وحامل لواء الخلاص لكل ذرية آدم.

٣ ـ ويتميز محمد عن غيره بأنه قد نجح بقيادة الدعوة إلى الله في ظروف قاهرة، ونجح بتحويل الدعوة إلى دولة، وقام بأعباء مرحلة التأسيس، وأرسى قواعد التوحيد والإسلام، وأنه قد بلغ رسالات ربه كاملة غير منقوصة مما جعله أوحد وأبرز أولي العزم من الرسل الكرام. فجاءت مكانة النبي الخاصة كإمام من كونه نبي ورسول وإمام ومن التأهيل الإلهي، فمحمد بالضرورة الإيمانية، هو الأعلم الأفهم الأتقى وهو الأفضل إطلاقاً وبدون اعتراض. وهو الأرحم الأبعد نظراً، وهو الأصوب لا ينطق عن الهوى، ولا يستقيم إيمان المسلم إلا إذا سلم بذلك، تسليماً كاملاً، فالإسلام يتكون من مقطعَين لا ثالث لهما: أحدهما: الإيمان بكل ما جاء به محمد وهو: الجانب الحقوقي أو القانوني، وثانيهما الإيمان بشخص محمد كرسول وقائد وإمام وأوحد زمانه وكل زمان، وأنَّ كلَّ ما قاله وفعله وقرَّره هو الصواب بعينه، وأنَّ مقياس الإيمان هو دقة الإلتزام بهذين الركنين، فالمكانة الخاصة لرسول الله كإمام جاءت من المكانة الإيمانية الخاصة التي اختص الله بها رسوله، ومن مؤهلات الرسول والإعداد الإلهي له، هذا الإعداد الذي جعله أوحد الزمان كله، وعَلَم الاعلام. وتوطدت هذه المكانة الخاصة عندما نجح بقيادة الدعوة وبناء الدولة وجمع بيديه مفاتيح الأموال والقوة والنفوذ فصار نبياً ورسولاً وإماماً.

المكانة الخاصة للأئمة الشرعيين من آل محمد

كما اختار الله تعالى ابراهيم والأئمة من بعده، ليقودوا حركة الإيمان في زمانهم اختار محمداً ليكون آخر الرسل، وخاتم النبيين، واختار من آل محمد اثني عشر إماماً ليقودوا العالم كله بعد وفاة النبي، ويهدونه لأمر الله، وقد تم إعداد

أولئك الأئمة إعداداً إلهياً وتأهيلهم بحيث يكون كل واحد منهم أوحد زمانه، علماً وفهماً وتقوى وفضلاً.

فأتت مكانة الأئمة الاثني عشر من اختيار الله تعالى لهم، وجعلهم أئمة، ومن الاعداد والتأهيل الإلهي لهم.

فقد أمر الله رسوله أن يكفل أول الأئمة علي بن أبي طالب، فكفله النبي وهو صغير، ورباه في بيته تربية خاصة، فكان علي يتبع النبي اتباع الفصيل لأثر أمه ويرفع له النبي كل يوم من أخلاقه، ولما أُمر الرسول بأن يبلغ رسالات ربه أعلن الرسول نبأ إمامة علي من بعده في الجلسة نفسها التي أعلن فيها أنباء النبوة والرسالة. ولما بلغ الإمام علي، أمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن يزوج علياً ابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ونفذ الرسول أمر ربه، وأنعم الله على الزوجين بالسيدين الطاهرين، الحسن، والحسين، فأعلن النبي بأمر من ربه بأن الحسن هو الإمام من بعد أبيه، وأن الحسين هو الإمام من بعد أخيه، ويليه ابنه علي بن الحسين وثمانية من ذريته وقد انتشرت هذه الأنباء، وتوثقت بآية المباهلة، وآية التطهير، وآية المودة، وحديث الكساء، وحديث الثقلين، وطوال حياة النبي المباركة والأئمة الثلاثة يعيشون معه تحت سقف واحد، فعلَّمهم الرسول علم النبوة والرسالة كاملاً، وألزم كل إمام بأن يورث من يليه هذا العلم كله. فكان كل واحد منهم ويحق هو الأعلم والأفهم بالدين والدنيا في زمانه، وهو الأتقى والأقرب لله، وهو الأفضل ولو أتيحت لهم الفرصة لممارسة مهام الإمامة وصلاحياتها، ولو أطيعوا وقادوا الدعوة والدولة لتغير تماماً مجرى التاريخ البشري، ولسعد العالم بقيادتهم. والخلاصة أن المكانة الخاصة للأئمة الكرام من آل محمد قد أتَت اختيار الله تعالى لهم ليكونوا أئمة، ومن تأهيله وإعداده لهم، ومن قربهم من الله ورسوله، ويكفي أن نعلم بأن الصلاة عليهم هي جزء لا يتجزأ من الصلاة المفروضة على جميع العباد، وهذه مكانة تتقاصر دونها كل المكانات، فلو أن أبا بكر الخليفة الأول أو عمر الخليفة الثاني، أو أي واحد من الخلفاء صلى بدون أن يصلي على محمد وعلى آل محمد لما قبلت صلاته، وهذه أعظم مكانة

خاصة يمكن أن يصلها بشر على الإطلاق، ولو لم يبق من الدين إلا هذه المكانة لكفى بها دليلاً على إدانة كل أولئك الذين غصبوهم حقهم بالإمامة.

المكانة الخاصة للإمام غير الشرعي

أما الإمام غير الشرعي فيحصل على مكانته الخاصة والمتميزة في المجتمع عن طريق القوة والتغلب والقهر، يقبض على مقاليد الأمور ويصل للقيادة بهذه الأساليب، ويجمع بيديه مفاتيح المال، والنفوذ، والقوة، وعندما تستقيم له الأمور وينجح بقهر خصومه والتغلب عليهم يكتشف أن مؤهله الوحيد هو القوة، وأن وسائله لضمان انقياد المجتمع له تنحصر: بالقوة، والمال، والنفوذ، والإعلام القائم على تزوير الحقائق وتحريف الكلم عن مواضعه، بهذه الأسلحة يضمن سيطرته التامة على المجتمع ويقوتها يتمتع بمكانة خاصة ويشار إليه بالبنان، وقد يدعي أنه إله حقيقي، ويطلب من المجتمع تقديم فروض العبادة له، وقد يدعي أن طريقته هي الطريقة المثلى، وأن الفساد يأتي من أمر الله تعالى، وقد يستخف قومه فيطيعون، ويحاربون الإمام الشرعي وينكلون بمن والاه تماماً كما فعل فرعون، لقد عبده المصريون، وأطاعوه في كل فنون جنونه وحماقاته. ولقد اتبعت بطون قريش إمامتها الفاجرة وقاومت النبي، وحاربته ٢٣ عاماً حتى استسلم أئمة الكفر، وباستسلامهم استسلم الأتباع.

والخلاصة أن الأئمة غير الشرعيين يحصلون على مكانة خاصة في المجتمع قد تصل إلى درجة التأليه بالقوة والتغلب والقهر مستعينين بالمال والنفوذ الناتج عن حيازة السلطة وبوسائل الإعلام التي أحكموا السيطرة عليها، ويبقى الإمام غير الشرعي بمكانته المميزة والخاصة حتى يخرج من المجتمع أو من خارجة رجل أشهر منه قوة وقهراً وغلبة فيغلبه ويحل محله متمتعاً بمكانته الخاصة، بمعنى أنها شريعة الغاب على صعيد الاستيلاء على السلطة.

المكانة الخاصة للخليفة

امتاز نظام الخلافة التاريخية بإقصاء الأئمة الشرعيين والإستيلاء على منصب الخلافة بالقوة والتغلب وكثرة الأتباع، فما من خليفة من خلفاء المسلمين إلا وقد حصل وحاز منصب الخلافة بالقوة والتغلب والقهر أو بعهد من الخليفة السابق القوي المتغلب القاهر، وكان دور الأمة عملياً مقتصراً على تأييد الخليفة الغالب ومبايعته. وقد تمتع الخليفة الغالب طوال التاريخ السياسي الإسلامي بمكانة خاصة تفوق حد التصوّر والتصديق، والأصل أن مكانة الخليفة الخاصة مستمدة من كونه خليفة رسول الله، لكن المكانة الخاصة واقعياً تجاوزت خلافة الرسول، فوضعت الخليفة على قدم المساواة مع الرسول، وأحياناً رجحت كفة الميزان لصالح الخليفة وعلى حساب الرسول، وصرح بعض أولياء الخلفاء أحياناً بأن الخليفة أعظم من الرسول نفسه، عملياً يمارس كافة صلاحيات واختصاصات الرسول المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، مع أن هذا الخليفة الغالب غير معد وغير مؤهل لممارسة هذه الصلاحيات والاختصاصات الخطيرة فمؤهله الوحيد أنه الغالب والقوي والقاهر الذي استطاع أن يقهر كل خصومه ومناوئيه، ومع هذا تتجمع في يديه مفاتيح أموال ونفوذ وقوة دولة الخلافة، يتصرف بها عملياً حسب رأيه، واجتهاده الشخصي، على ضوء مقتضيات دوام حكمه واستمراره واستقراره، فيمكن الخليفة أن يمنع رواية وكتابة أحاديث الرسول وأن يحرق المكتوب من هذه الأحاديث[1]، ويمكنه أن يكتب إلى كافة الأقاليم الخاضعة لدولته أمراً لمحو كل ما هو مكتوب وإتلافه[2].

ويتقبل الأتباع قراراته وينفذونها حرفياً لأن الخليفة لا يعمل إلا ما فيه المصلحة، فمنعه لرواية أحاديث الرسول وكتابتها كان لحكمة رآها الخليفة الغالب!!

---

(١) راجع تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٣ ـ ٤، والطبقات لابن سعد، ١/ ٨٥.

(٢) راجع تاريخ ابن خلدون، ١/ ٣٢، وكشف الظنون، ١/ ٤٤٦، وفهرست إبن النديم، ص ٣٣٤، وكتاب الخطط السياسية، ص ٤٠٧.

وقد يأتي الخليفة إلى سنة من سنن الرسول المستقرة والرئيسة فيلغيها، ويستعيض عنها برأيه الشخصي واجتهاده الخاص المناقض تماماً لسنة الرسول كما فعل الخليفة الثاني بطريقة توزيع المال بين الناس، فقد قسم الرسول المال بين الناس بالسوية على اعتبار أن حاجاتهم الأساسية متشابهة، وهكذا فعل الخليفة الأول، وعندما آلت الأمور إلى الخليفة الثاني رأى أن سنة الرسول ليست مناسبة وأن الأفضل حسب رأيه أن يعطي الناس حسب منازلهم برأيه، وهكذا فعل وبعد سنين من رفع سنة الرسول وإحلال رأي الخليفة الشخصي مقامها، اكتشف الآثار المدمرة لما فعل، فوعد أن يرجع لسنة الرسول في السنة المقبلة إن عاش[1]. .

ومع عمق هذا الإنقلاب ووضوحه، إلاّ أنّ أولياء الخلفاء يَرَوْنَ أن تغيير الخليفة لسنة الرسول كان لحكمة، فالرسول مجتهد والخليفة مجتهد، ومن حق المجتهد الخليفة أن يخالف مجتهداً آخر وهو رسول الله! . وليس هذا فحسب بل إن الخليفة مأجور على مخالفته لرسول الله[2].

الخليفة أعظم من النبي!؟

روى أبو داود في سننه[3] أن الحجاج خطب يوماً على منبر الكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله فقال: «تباً لهم يطوفون بأعواد ورمة بالية هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان!! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله».

---

(١) راجع تاريخ اليعقوبي، ٢/١٠٧ وشرح النهج لابن أبي الحديد، ٨/١١١ وتاريخ الطبري، ٥/٢٢.

(٢) راجع شرح التجريد للقوشجي،ص ٤٠٨، وشرح النهج لابن أبي الحديد، ٢/١٥٣، و٣/٨٠، ٤/١٧٨، ومنهاج السنة لابن تيمية، ٣/٢٠٣. وتاريخ ابن كثير، ١٤/١٥٣ والصواعق المحرقة، ص ١١٢.

(٣) سنن أبي داود، ٤/٢٠٩، الحديث ٤٦٤٢ والمسعودي في مروجه، ٣/١٤٧. وابن عبد ربه في العقد الفريد، ٥/٥٢.

الخليفة أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين!؟

جاء في العقد الفريد[1] أن الحجاج كتب إلى الخليفة عبد الملك يعظم أمر الخلافة، وقال إن السموات والأرض ما قامتا إلا بها وأن الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين. . الخ.

كرامة الخليفة عند الله أعظم من كرامة الأنبياء!؟

أمر الوليد بن عبد الملك خالد بن عبدالله والي مكة فحفر بئر بمكة فجاءت عذبة الماء طيبة، فقال خالد في خطبته على منبر مكة: «أيها الناس أيهما أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم؟ ألا إن ابراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه الله ماء أجاجاً، واستسقاه الخليفة فسقاه الله ماء فراتاً»!

من يتبع الخليفة مؤمن ومن يعانده فهو الكافر!؟

قارن الحجاج بين عيسى بن مريم وبين عثمان بن عفان، فعثمان كعيسى رفعه الله إليه وجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، فالذين كفروا هم أهل العراق، والذين اتبعوا الخليفة هم أهل الشام[2]!!.

والخلاصة أن كفة الخلفاء خاصة الثلاثة الأول رجحت عند أوليائهم على كفة الأنبياء والملائكة وهذه منزلة تفوق التصور والتصديق، وأن أولياء الخلفاء تجاهلوا الإمامة الشرعية لأهل بيت النبوة، وأَوَّلُوا النصوص الشرعية تأويلاً يخرجها تماماً عن معانيها لغايات تصحيح الواقع التاريخي، فصار الجانب السياسي من الدين هو عينه التاريخ السياسي، واختلط ولاؤهم لله بولائهم للخلفاء!!

* * *

---

(١) العقد الفريد ٥/ ٥١.

(٢) راجع كتابنا الخطط السياسية ،ص ٥٩٨ وما بعدها.

الفصل الرابع
التكييف الشرعي للخلافة التاريخية

نعني بالخلافة التاريخية نظام الخلافة الذي ساد بصور مختلفة من بعيد وفاة الرسول وحتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان، وقد بيّنا أنّ الإمامة في القرآن الكريم والسنة المطهرة نوعان لا ثالث لهما. إحداهما: إمامة برة وشرعية، كإمامة ابراهيم والأئمة من بعده الذين يهدون بأمر الله، وإمامة محمد وعلي، وثانيتهما: إمامة فاجرة وغير شرعية كإمامة فرعون وجنوده وكإمامة زعامة بطون قريش الكافرة. والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح، مع أي من نوعي الإمامة ندرج الخلافة التاريخية؟ هل ندرجها مع الإمامة البرة الشرعية؟ أم ندرجها مع الإمامة الفاجرة وغير الشرعية؟ أم نفرد لها نوعاً ثالثاً فنعتبرها بين بين؟ وإفراد نوع ثالث وإيجاده أمر غير ممكن لأن القرآن والسنة حصرا الإمامة بنوعين، مما يقتضي بالضرورة أن تكون الخلافة التاريخية داخلة بأحد نوعي الإمامة، فبأي نوعي الإمامة تدخل الخلافة التاريخية؟.

مقومات الإمامة الشرعية

ونذكّر بأنه حتى تكون الإمامة برة وشرعية، وعلى شاكلة إمامة الأنبياء يجب أن يكون الإمام: ١ ـ معدّاً ومهيأ إلهياً، ومستوعباً لعلم الدين وفهم النبوة، بحيث يكون أوحد زمانه علماً وفهماً وتقوى وفضلاً، ٢ ـ أن يكون ثقة ومعتصماً بالله فلا يصدر منه إلا الصواب. ٣ ـ أن يكون معيّناً من الله وأن يعلن هذا التعيين من نبي، أو من إمام أعلنه النبي. ٤ ـ أن يهدي لأمر الله وبأمر الله، وهذا يستبعد الرأي الخاص والاجتهاد الشخصي. ٥ ـ أن تؤيده الأمة وتطيعه بالرضى وبدون إكراه.

الحكم على الخلافة التاريخية

من الواضح أن مقومات الإمامة الشرعية التي أجملناها في الفقرة السابقة لا تنطبق لا مجتمعة ولا منفردة على أي خليفة من الخلفاء الذين حكموا طوال فترة نظام الخلافة التاريخي كما أنها لا تنطبق هذه المقومات على نظام الخلافة بالصور التي سادت.

لقد تجاهل جميع الخلفاء وجود الأئمة الشرعيين، وتجاهلوا الأحكام الشرعية الإلهية المتعلقة بالإمامة، مع سبق الإصرار، فكل الخلفاء حازوا واستولوا على منصب الخلافة بالقوة والتغلب والقهر أو بعهد من خليفة قوي ومتغلب وقاهر، وقد ساق الخلفاء الأمة بالعصا، وقصروا دور الأمة رسمياً على تأييد القوي القاهر المتغلب ومبايعته ولأن الخليفة المتغلب غير معد وغير مؤهل إلهياً للإمامة والخلافة، ولأن مؤهله العملي الوحيد هو القوة كنت تجده دائماً يهدي برأيه وأمره الخاص لا بحكم الله ولا بأمره حتى شكلت آراء الخلفاء واجتهاداتهم منظومة حقوقية واقعية سارت جنباً إلى جنب مع المنظومة الحقوقية الإلهية، ومن الطبيعي أن تكون مفاتيح أموال دولة الخلافة ونفوذها وقوتها بيد الخليفة المتغلب وهو يسخرها بالدرجة الأولى لتثبيت أركان دولته واستمرار حكمه واستقراره، وكبت معارضيه وإذلالهم والقضاء عليهم.

فمن يعارض الخليفة المتغلب أو يعمل ضد إرادته يعامل بمنتهى الصرامة والقسوة كائناً من كان. حتى ولو كان: ١ ـ النبي نفسه. ٢ ـ أو الإمام الشرعي والولي من بعده. ٣ ـ أو كان المعارض فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين. ٤ ـ أو كان المعارض الحسن والحسين سيديّ شباب أهل الجنة وريحانتيّ النبي من هذه الأمة!! تلك حقيقة على صعيد الخلافة التي عرفت بالراشدة، وعلى صعيد الخلافة الأخرى «غير الراشدة».

أمثلة على أساليب الخلفاء في قمع معارضيهم

١ ـ والنبي على فراش الموت أراد أن يكتب توجيهاته النهائية، وضرب موعداً لذلك، وبالوقت المحدد لكتابة هذه التوجيهات أدرك المتغلب أن الرسول

يريد أن يجعل الأمر من بعده لعلي بن أبي طالب[1]. لذلك صمم هذا المتغلب على منع الرسول من كتابة توجيهاته حتى لا يجعل الأمر لعلي كما اعترف هذا المتغلب في ما بعد[2]، لذلك جمع حزبه واقتحم به منزل رسول الله فما أن قال الرسول: «قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» حتى التفت المتغلب إلى الحاضرين من حزبه متجاهلاً رسول الله وقال لهم: «إن النبي يهجر، ولا حاجة لنا بكتابه، عندنا القرآن وهو يكفينا»[3].

وما أن أتم المتغلب كلامه حتى ردد الحاضرون من حزبه: «القول ما قال عمر، إن النبي يهجر»[4]، فلو أصر النبي على كتابة وصيته، لأَمَرَ المتغلب وحزبه على هجر الرسول، والناس حديثو عهد بالإسلام، لذلك صرف النبي النظر عن كتابة ما أراد مكتفياً بعهوده السابقة.

أنت تلاحظ أن المتغلب مستعد أن يواجه النبي نفسه إذا وجد الفرصة ملائمة،! بمعنى أنه لا تقف أمام المتغلب وما يريد أية حواجز مهما كانت مقدسة.

٢ ـ ترك المتغلب وحزبه جنازة رسول الله بين يدي آل محمد، وذهبوا ليحكموا أمرهم، وليحققوا غلبتهم، وشغل الآل الكرام بتجهيز الرسول ودفنه، ثم عادوا إلى بيت علي بن أبي طالب بعد الدفن. خلال هذه الآونة تمكن المتغلب وحزبه من الإستيلاء على منصب الخلافة بالقوة والتغلب والقهر ومن إقصاء الإمام الشرعي عن حقه بالإمامة من بعد النبي. كان المتغلب يتوقع أن ينسى علي بن أبي طالب حقه الشرعي، ومصيبته بالنبي، وأن يترك الذين جاءوا لمشاركته الحزن بالمصاب وأن يهرع هو وآل محمد لتقديم واجبات الولاء والطاعة للخليفة الغالب،

---

(١) راجع شرح النهج ٣/ ١١٤ سطر ٢٧ الطبعة الأولى، ١٢/ ٧٩ تحقيق أبي الفضل ٣/ ٨٠٣ مكتبة الحياة ٣/ ١٦٧ دار الفكر.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) راجع تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي ص ٦٢. وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص ٢١.

(٤) راجع صحيح البخاري، ٤/ ٣١ و٧/ ٩، وصحيح مسلم آخر كتاب الوصية ٥/ ٧٥، وصحيح مسلم بشرح النووي ١١/ ٩٥.

وهذا لم يحدث، فشعر المتغلب أن الإمام علي وأهل بيت محمد جرحوا كبرياءه، وعكروا صفو انتصاره، فأمر بإرسال سرية بقيادة نائبه وقال المتغلب لنائبه: «ائتني به بأعنف العنف..»[1].

٣ ـ إحراق بيت فاطمة بنت الرسول على من فيه

قبيل ساعة دَفَنَ الإمام الشرعي علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول والحسن والحسين ابنا الرسول وآل محمد ولفيف من أوليائهم دفنوا جميعاً رسول الله وعادوا وقلوبهم مثقلة بالمصيبة ليجلسوا في بيت علي بن أبي طالب بوصفه عميد أهل بيت النبوة، وزوج البتول ووالد سبطي الرسول كما جرت العادة في الجاهلية والإسلام، بهذا الوقت بالذات قاد نائب الخليفة الأول سرية عسكرية فيها مجموعة من العمالقة منهم أسيد بن حضير وعبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد[2] لغايات إخراج علي ومن عنده بالقوة، وعلى عجل أحاطت السرية العسكرية ببيت علي بن أبي طالب إحاطة السوار بالمعصم، كانت أوامر الخليفة بأن يخرج من في الدار ليبايعوا، فإن أبوا يُقاتلوا[3]. ولكن عمر بن الخطاب رجل عملاق ولا يعرف المهادنة مع آل محمد، فأمر بإحضار الحطب ووضعه حول البيت، وأحضر قبساً من النار ليحرق الدار على من فيها[4]. قيل لعمر بن الخطاب إن في البيت فاطمة بنت محمد! قال عمر: وإنْ!![5]. التفتت فاطمة بنت محمد فشاهدت السرية، وشاهدت الحطب، وشاهدت عمر ومعه قبس من النار!! وفهمت أن رجال السرية الأبطال بقيادة عمر عازمون على حرق بيت فاطمة على من فيه بنفس اليوم الذي مات فيه رسول الله، فخاطبت عمر بن الخطاب متعجبة:

---

(١) راجع أنساب الأشراف للبلاذري، ١/٥٨٧.
(٢) راجع تاريخ الطبري، ٢/٤٤٢ ـ ٤٤٤ وكتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد، ١/١٣٠ ـ ١٣٤.
(٣) راجع تاريخ ابن شحنة، بهامش الكامل، ١١/١١٣، وشرح النهج، ١/٣٤.
(٤) راجع العقد الفريد لابن عبد ربه، ٣/٦٤ وتاريخ أبي الفداء، ١/١٥٦.
(٥) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة، ١/١٥.

«أتراك محرقاً عليّ بابي!!!» قال عمر بن الخطاب: نعم[1]، وعمر الذي واجه الرسول نفسه لن يعبأ بتعجب فاطمة «لذلك تقدم ومعه المهاجمون وهجموا على الدار وكسروا سيف علي ودخلوا الدار»[2] واستخرجوا علياً وقادوه إلى أبي بكر ليبايع. وقالوا له: بايع، قال الإمام: وإن لم أفعل فمه؟ قال عمر: إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك!!! هذا أسلوب دولة الخلافة في التعامل مع الإمام الشرعي وابن عم النبي وزوج ابنته الزهراء ووالد سبطيه!! هذا هو أسلوبها في التعامل مع سيدة نساء العالمين وابنة الرسول، ومع سيدي شباب أهل الجنة!!

وهذا هو أسلوبها في التعامل مع حرمة أهل بيت النبوة. الله وحده يعلم أساليبهم في التعامل مع العامة إذا هددوا سلطان الخلافة!! هذا هو أسلوبهم في الحصول على البيعة!! في الخلافة الراشدة!! الله وحده يعلم شناعة أساليب الخلافة غير الراشدة!!.

المطاردة والقتل

أراد الخليفة يزيد بن معاوية أن يحصل على بيعة الإمام الشرعي في زمانه الحسين بن علي بن أبي طالب، سبط النبي وريحانته وسيد شباب أهل الجنة، وعلى بيعة أهل بيت النبوة. والخليفة يزيد هذا فاجر، شارب للخمر، متهتك، وخليع، وأحياناً يجاهر بكفره، قد يلتمس المعتذرون عذراً للأمة إن بايعت يزيد بن معاوية وهذه حاله! ولكن من يعذر الحسين، ومن يعذر أهل بيت النبوة إن هم بايعوه، والحسين يدرك أنه لو كان في حجر ضب لاستخرجوه حتى يبايع أو يقتلوه!! هل يفر بدينه ويترك أولاده وآله الأكرمين؟ ومثله لا يفعل ذلك، لذلك جمع الذرية الطاهرة وودع النبي وخرج من المدينة خائفاً يترقب. أهل المدينة

---

(١) راجع أنساب الأشراف، ١/٥٨٦، وكنز العمال ٣/١٤٠، والرياض النضرة للطبري ١/١٦٧، والسقيفة للجوهري برواية ابن أبي الحديد ١/١٣٢، وتاريخ الخميس ١/١٧٨، وتاريخ ابن شحنة بهامش الكامل لابن الأثير، ١١/١١٣.

(٢) راجع تاريخ اليعقوبي، ٢/١٠٥.

علموا بخروجه، ولم يحركوا ساكناً، وصل الحسين وصحبه إلى مكة فقضى فيها من الوقت ما أتاح الفرصة لأهل مكة ليعرفوا دافع حاله، ثم خرج من مكة خائفاً يترقب وتوجه إلى العراق ومعه أولاد النبي وأحفاد النبي وبنات النبي وبعض مواليه وخدمه وعددهم لا يتجاوز الـ ٧٣ رجلاً، علم الخليفة يزيد بتوجه الحسين ومن معه إلى العراق فأصدر أمراً لواليه على العراق أن يجهز جيشاً لملاقاة الحسين ومن معه والقضاء عليهم، وبالفعل جهزوا جيشاً قوامه ثلاثين ألفاً برأي المكثرين و٤٨٠٠ برأي المقلين لملاقاة ٧٣ رجلاً معهم عائلاتهم وأطفالهم. لم تكن هنالك ضرورة عسكرية لهذا الجمع لكن جنون الخليفة ومواليه بحب السلطة، يعمي ويعم، وعلى الفور قام الجيش الإسلامي بمحاصرة ابن الرسول وبنات الرسول وأحفاد الرسول، وآل الرسول، ومنعوا عنهم ماء الفرات ليموتوا عطشاً وبدأت المعركة التي فرضها جيش الخليفة الإسلامي، وقتل الحسين ومن معه من أهل بيت النبوة وعددهم ١٧ رجلاً شباب لا نظير لهم، وأبيد مواليه وأخذت بنات النبي أسارى، وقطعت رؤوس القتلى وحملت الرؤوس على الرماح، وسيق الجميع إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، وقد سبقت مسيرة الجمع الذبيح، بشائر الفتح المبين على حد تعبير أولياء الخليفة!! هذا نموذج من أسلوب الخليفة المتغلب بالتعامل مع الذين يرفضون!!

الخليفة قد يهدم الكعبة نفسها!

الكعبة هي بيت الله الحرام، جعله الله مثابة للناس وآمناً، ومن دخل البيت الحرام كان آمناً، هذه قرارات إلهية احترمها العرب في الجاهلية والإسلام، وبالإسلام صارت الكعبة قبلة يتوجه إليها المسلمون في صلاتهم، ومع هذا إذا دخل أحد أو بعض مناوئي الخليفة إلى الكعبة بعد أن سد الخليفة بوجههم كل المنافذ، فإن التجاء المناوئين إلى الكعبة لن ينجيهم من بطش الخليفة المتغلب، عندئذٍ ومن باب الحزم يصدر الخليفة أوامره بهدم الكعبة فوق رؤوس معارضيه، وبالفعل فقد أمر الخليفة يزيد بن معاوية بهدم الكعبة وهدمت فعلاً على يد أوليائه. وأمر الخليفة بهدم الكعبة على رؤوس مناوئيه، وهدمت فعلاً في زمن عبد الملك

أبن مروان!! فأي حرمة في الدنيا لا تمتنع على الخليفة!! وكافة المقدسات تتهاوى أمام إرادته وبطشه وقوته!!

الاستباحة

وقد يأمر الخليفة أولياءه باستباحة أي مقدس يراه، فقد أمر يزيد بن معاوية باستباحة مدينة الرسول ثلاثاً، فنهبت الأموال وهتكت الأعراض حتى حملت ألف بكر من غير زوج، وقتلت النفوس حتى قتل ٧٠٠ من وجوه المهاجرين والأنصار وعشرة آلاف من العرب والموالي بيوم واحد[١]..

الناس خول للخليفة وأقنان

قد يغضب الخليفة أو أولياؤه فلا يقبلون من الأمة إلا بيعة من نوع خاص. فقد يطلب من الأمة أن تبايعه على أن أبناءها خول يحكم في دمائهم وأموالهم وأهاليهم ما شاء[٢] أو أقنان للخليفة ومن أبى يقتل[٣] أو تبايعه الأمة على أنها فيء لأمير المؤمنين يفعل في أموالها وذرياتها ما يشاء ومن يأبى ذلك تضرب عنقه[٤].

ختم الأعناق والأيدي

وقد يخطر ببال الخليفة المتغلب أن يختم أعناق أو أيدي فئة معينة من الناس إمعاناً بإذلالهم كما فعل الحجاج بأهل المدينة حيث ختم أعناق الصحابة، فكان جابر بن عبدالله مختوماً بيده وأنس مختوماً في عنقه[٥].

---

(١) راجع تاريخ الإسلام للذهبي ٢/٣٥٦ ـ ٣٥٧، وتاريخ الطبري، ٧/١١، والكامل لابن الأثير ٣/٤٧، وابن كثير ٦/٢٣٤ و٨/٢٢، وتاريخ اليعقوبي ٦/٢٥١، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٩، وتاريخ الخميس ٢/٣٠٢ وما بعدها.

(٢) راجع تاريخ الطبري، ٣/١٣.

(٣) راجع التنبيه والأشراف، ص ٦٤، ومروج الذهب للمسعودي ٣/ ٧١.

(٤) راجع تاريخ الطبري، ٧/١١ ـ ١٢، والأخبار الطوال للدينوري ص ٦٥.

(٥) راجع تاريخ الطبري، ٧/٢٠٦ حوادث سنة ٧٤.

وباختصار شديد الخليفة المتغلب عملياً حاكم مطلق يفعل ما يريد إطلاقاً، ولا يمتنع عنه حاجز ولا حرمة، فإقليم الدولة كله أرضه وممتلكاته الخاصة يتصرف بها كما يشاء، وأفراد الأمة كلهم من العامة والخاصة عملياً عبيده وأقنانه وخوله، وهم بمثابة فييء له يفعل بهم ما يشاء.

الحكم على نظام الخلافة التاريخي

لقد حصر القرآن الكريم الإمامة أو الرئاسة العامة بنوعين:

أحدهما: إمامة برة شرعية كإمامة ابراهيم والأئمة من بعده وإمامة محمد والأئمة الكرام من ذريته. **وأخراهما**: إمامة فاجرة وغير شرعية كإمامة فرعون وجنوده وإمامة زعامة بطون قريش، وصوّر القرآن الكريم هذين النوعين من الإمامة تصويراً دقيقاً، وقياماً بواجب البيان بيَّن الرسول الكريم معالم هذين النوعين بياناً لا يحتمل التأويل، ولم يبلغنا أن أحداً قد ذكر نوعاً ثالثاً للإمامة. ومن خلال دراساتنا في البحوث السابقة أبرزنا مقومات الإمامة الشرعية ومؤهلات الإمام الشرعي فمن توفرت فيه فهو الإمام الشرعي البار.

والخلفاء إطلاقاً لم تتوفر فيهم مقومات الإمامة الشرعية ولا مؤهلاتها، فقد وصلوا جميعاً إلى منصب الخلافة بالقوة والتغلب والقهر أو بعهد من قوي متغلب قاهر، وقد تجاهلوا مع سبق الإصرار وجود الأئمة الشرعيين من ذرية محمد وغصبوهم بالقوة والتغلب والقهر حقهم بالإمامة، وحكموا الأمة بالعصا أو بالتغلب والقهر ونكسوا مسيرة الشرعية كلها، فمن الطبيعي جداً أن تكون إمامة الخلفاء غير شرعية مع الأسف.

***

الفصل الخامس

تعريف الإمامة

في الفقرات السابقة من هذا البحث، وبموضوعية وتجرد، غطيت بالكامل كل ما يتعلق بمفهوم الإمامة، فما أن ينتهي القارىء من قراءة تلك الفقرات حتى يجد هذا المفهوم قد أخذ صورة واضحة ومألوفة بالذهن والقلب معاً، ولو تركنا الإمامة بدون تعريف لأغتنا الفقرات السابقة عن هذا التعريف بعد أن وضحت الصورة، وأبرزت المعنى جلياً، ولكننا رأينا لأسباب منهجية، وطمعاً بكمال فنيّة الصورة أن نختمَ هذا الباب بتعريف الإمامة. ولا بد من الإشارة إلى أنّه لا يوجد تعريف جامع مانع. وسنعالج تعريفي الإمامة الشرعية وغير الشرعية.

الإمامة الشرعية

الإمامة هي عهد الله قطعاً إلى الجنس البشري كله، والإمام هو المكلف والموكل بحمل عهد الله والقيام بأعبائه ومقتضياته.

١ ـ قال تعالى مخاطباً إبراهيم: **﴿إنِّي جاعِلُكَ للناس إماماً، قالَ ومن ذرِّيَّتي قال لا ينالُ عَهدي الظالمينَ﴾** فالله سبحانه وتعالى وصف الإمامة بأنها عهده «لا ينال عهدي» وأعلن أنَّ إمامة ابراهيم للجنس البشري كله، فلا ينبغي أن يكون لهذا الجنس إلا إمام واحد، لتوحيد التدبير والتوجيه والتوجه، ومنعاً للتصادم والتعارض، فلو كُلف إثنان لكان أحدهما الإمام، وأبرز مهام الإمام والغاية من وجوده تتلخص: بهداية الناس لأمر الله «يهدون بأمرنا» فالإمام هو همزة الوصل بين المكلِّف (بكسر اللام) والمكلَّف (بفتح اللام) بين الله الخالق وبين المخلوقات، لأن الإمام استناداً لإعداد الله له وتأهيله هو الأعلم والأفهم بالأمر الإلهي «يهدون لأمرنا» وهو وحيد زمانه في هذا المجال، وهو يفهم الأمر الإلهي

فهماً قائماً على الجزم واليقين، بينما غيره ربما فهم الأمر الإلهي، ولكن فهم هذا الغير قائم على الظن والتخمين.

٢ ـ قال الإمام الرضا عليه السلام في معرض حديثه عن الإمامة: «الإمام أمين الله في أرضه وخلقه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذاب عن حريم الله، وقال أيضاً: الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد له بدل ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب»[١].

٣ ـ وقال الرضا عليه السلام: «الإمامة منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء إن الإمامة خلافة الله وخلافة رسوله ومقام أمير المؤمنين وخلافة الحسن والحسين عليهما السلام.

إن الإمام زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، الإمام رأس الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف، الإمام يحلل حلال الله ويحرم حرامه، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة»[٢].

٤ ـ وقال الإمام الرضا عليه السلام أيضاً: «الإمام الأمين الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، وكالأم البرة بالولد الصغير»[٣].

٥ ـ وقال أيضاً: «إن العبد إذا اختاره الله لأمور عباده شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وأطلق على لسانه فلم يع بعده بجواب، ولم يجد فيه غير صواب، فهو موفق مسدد مؤيد، قد أمن من الخطأ والزلل، خصه بذلك ليكون ذلك حجة على خلقه، شاهداً على عباده.. والإمام مطهر من الذنوب، ومبرّأ من

(١) راجع تحف العقول عن آل الرسول ٣٢٤.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٤.

العيوب، مخصوص بالعلم، موسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين، وغيظ المنافقين وبوار الكافرين»[1].

٦ ـ وقال أيضاً: «الإمام النار على اليفاع (ما ارتفع من الأرض) الحار لمن اصطلى والدليل في المهالك، من فارقه فهالك»[2].

٧ ـ الإمامة هي الرئاسة العامة للمسلمين خاصة وللجنس البشري عامة في أمور الدين والدنيا، ومعنى ذلك أن الإمام هو الرئيس الأعلى للمسلمين خاصة ولأبناء الجنس البشري عامة «للناس» في كل ما يتعلق بأمور الدنيا والدين ورئاسته للمسلمين أمر محسوس، أما رئاسته لغير المسلمين فسابقة لهدايتهم، لأن مهمة الإمام أن يخرج الناس جميعاً من الظلمات إلى النور، فالذين لم يهتدوا أسرى لدى طواغيت الكفر، ومهمة الإمام أن يخلِّصهم من الأسر، وأن يضمَّهم إلى قطيع الرب جل وعلا.

٨ ـ الإمامة هي مركز التدبير والتخطيط لإنقاذ العالم من عبودية الإنسان للإنسان إلى عبودية الله، ومن الخضوع لرأي واجتهاد المتغلب إلى الإلتزام بأمر الله، أو تخليص البشر من جحيم حكم الطغاة إلى جنة الحكم الإلهي. والإمام هو المخطط والمدبر والقائد لعملية الإنقاذ والتخليص، وكل إمام يبدأ من حيث انتهى سلفه، إنها عملية متصلة الحلقات ضمن خطة وبرنامج إلهي واحد.

٩ ـ قال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء عفوي من أدعيته المباركة: «اللهمَّ إنَّكَ أيَّدْتَ دِينكَ في كُلِّ أَوانٍ أقمتهُ، عَلَماً لعبادِكَ، وَمَناراً في بلادِكَ، بعدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بحبلِكَ وَجَعَلْتَهُ الذَّريعَةَ إلى رِضوانِكَ، وافْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَحَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وأَمَرْتَ بامتثالِ أوامرِهِ، والإنتهاءِ عند نَهْيِهِ، وألاَّ يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ، ولا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ. .»[3].

---

(١) راجع تحف العقول عن آل الرسول ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٣.

(٣) الصحيفة السجادية، من دعائه عليه السلام في يوم عرفة.

١٠ ـ قال الإمام الصادق: «لو بقيت الأرض بغير إمام ساعة لساخت»[١]. قيل له: كيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ فقال: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»[٢].

وحقيقة فإن الإمام الشرعي يمثل أمر الله ويهدي بأمره وأئمة الكفر يمثلون أمر الشيطان ويهدون بأمره، والثابت تاريخياً وعلى مستوى العالم كله أن الأرض لم تخل قط في أي زمان من أئمة الكفر!! فكيف يرتاح المقلدون إلى فكرة خلو الأرض من إمام شرعي يهدي لأمر الله!

١١ ـ العالم البشري كله «المسلمون وغيرهم» بمثابة جسد واحد متكامل، له رأس، وله قلب نابض، الإمام الشرعي محله الطبيعي في رأس هذا العالم ومن قلبه ليخطط ويدبر ويقود للتي هي أقوم وليهدي العالم لأمر الله.

لكن قوى الشر المتغلبة التي لا تخلو الأرض منها أيضاً تآمرت، وعن طريق القوة والتغلب والقهر أبعدت الإمام عن محله الطبيعي «الرأس والقلب» وحلت محله بالقوة والقهر وتولت عملية التخطيط والتدبير والقيادة وهي ليست مؤهلة لهذه العملية ولأنها تجهل الأمر الإلهي أو لا تعترف بوجوده وضعت آراءها الخاصة، واجتهاداتها لتكون قانوناً بديلاً للقانون الإلهي، وفرضت قانونها بالقوة، بعد استبعادها للقانون الإلهي وللإمام الشرعي بالقوة أيضاً.

١٢ ـ الإمام الشرعي هو ولي المؤمنين مجتمعين، وولي كل مؤمن ومؤمنة منفردين، وهو قائد المؤمنين، وسيد المسلمين، وهو خليفة رسول الله القائم مقامه في أمور الدين والدنيا، وهو نور الطاعة، وهو الهادي إلى صراط الله المستقيم، وهو نقطة ارتكاز الأمة كلها، وهو علم وجودها الشرعي، ورمز وحدتها على الحق، وهو المرجع الأعلى لها مجتمعة، ولكل فرد من أفرادها، وهو أمل أبناء الجنس البشري كله.

---

(١) راجع البحار للمجلسي، ٢٣/ ٢١/ ح٢٠.
(٢) المصدر نفسه، ٢٣/٥/ ح١٠.

تعريف الإمامة الفاجرة غير الشرعية

القرآن الكريم وبيان النبي له أكدا وأصرا على أنّ الإمامة بالضرورة تنحصر بنوعين لا ثالث لهما إحداهما إمامة برة وشرعية، وأخراهما إمامة فاجرة وغير شرعية، وقد حرصنا في البحوث السابقة على تناول النوعين تباعاً لتكون صورة الإمامة مكتملة بالذهن والقلب معاً، وبعد أن عرضنا مجموعة من الصيغ والمفاهيم لتعريف الإمامة البرة الشرعية، يغدو لزاماً علينا منهجياً أن نعرِّف الإمامة الفاجرة وغير الشرعية.

الجذور التاريخية للإمامة غير الشرعية عموماً

يبدو واضحاً، بعد استقراء واقع الرسالات السماوية، واستقراء التاريخ السياسي للمجموعات البشرية، أن مفاهيم الإمامة غير الشرعية قد اختلطت بمفهوم الدولة أو امتزجت بظاهرة السلطة طوال التاريخ. ويبدو واضحاً أن الإمامة غير الشرعية، قد أثرت وجودها ومؤسساتها بأشكال المفاهيم المرتبطة عضوياً بالإمامة الشرعية ففكرة وجود إمام يكون بمثابة مرجع وهادٍ وقائد للجماعة يسوسهم وفق الأوامر والتوجيهات الإلهية هي في أصلها وحقيقتها فكرة دينية إلهية من جميع الوجوه، أي أن أصلها ومنابعها من عند الله تعالى، وكون هذا الإمام هو الأفضل والأجدر مفهوم إلهي أيضاً وإعطاء هذا الإمام صلاحيات هائلة لإدارة الجماعة وهدايتهم لأمر الله، واعتبار الإمام هو صاحب الكلمة العليا، وتسليمه مفاتيح الأموال والنفوذ والقوة كلها مفاهيم إلهية ومن لوازم الإمامة الشرعية ومقتضياتها، فمن اللحظة التي هبط فيها آدم وحواء ولم يكن على الأرض غيرهما كان آدم هو الإمام والمرجع والقائد والهادي حيث أعده الله وأهّله لهذه المهام، ولم تختلف الصورة عندما رزق آدم بالبنين والبنات وتكاثر أولاده وأحفاده وكوّنوا مجتمعاً كبيراً، بل كانت هنالك حالة من التسليم بإمامة آدم وقيادته ومرجعيته وأهليته التامة لذلك، وأنه صاحب الكلمة العليا في أمور الدنيا والدين.

وقبل أن ينتقل آدم إلى جوار ربه، كان الله تعالى قد أعد وهيأ للإمامة ابنه هبة الله «شيث»، فأمر آدم أن يعهد له بالإمامة. وبعد فترة علم أخوه قابيل بالأمر فجاء إلى الإمام وقال له: «قد علمت أنك صاحب الأمر، وأن أباك قد أوصى إليك، واستودعك العلم، وإن نطقت أو أظهرت شيئاً من ذلك ألحقتك بأخيك هابيل». فوضع هبة الله يده على فيه وأمسك، فلزمت الأوصياء التقية والإمساك إلى أن يقوم قائم الحق، وأمر هبة الله ولده وشيعته بالحضور عنده في يوم من السنة.

وصار الملك والتدبير والأمر والنهي لقابيل، وهو الإمام غير الشرعي الذي استولى على مقاليد الأمور ومنصب الإمامة بالقوة والتغلب، وهبة الله الإمام الشرعي مغلوب على أمره ومغمور مع أنه صاحب الحق، وبقي على حاله حتى حضرته الوفاة فأوحىٰ الله إليه أن يستودع التابوت والإسم الأعظم ابنه ريان[1]. . فكان قابيل أول قاتل من بني البشر، وأول متغلب وقاهر، حيث أقصى إمام زمانه الشرعي عن الإمامة بالقوة والقهر، واستولى عليها بالقوة والقهر، ومن هنا صارت عملية إقصاء الإمام الشرعي والاستيلاء على منصب الإمامة بالقوة والتغلب والقهر سنة سنها القتلة والجبابرة والخارجون على الشرعية الإلهية. وسار عليها أولياؤهم في كل زمان.

والذي يعنينا من هذه الفقرة وبالدرجة الأولى أن قابيل:

١ ـ قد أقصى إمامه الشرعي عن حقه بالإمامة بالقوة والتغلب.

٢ ـ استولى على منصب الإمامة بالقوة والتغلب وكثرة الأتباع.

٣ ـ ساس المجتمع وفق آرائه الخاصة واجتهاداته الشخصية ضارباً بعرض الحائط الأمر الإلهي، الذي يجهله ويتجاهله.

٤ ـ ولأن أفراد المجتمع قد عاصروا آدم أثناء إمامته، وعرفوا صلاحياته واختصاصاته الواسعة، ولأن قابيل أصبح هو خليفة أبيه والقائم مقامه وإمام المجتمع فقد ألحق بمنصب الإمامة التي استولى عليها بالقوة كافة الصلاحيات

---

(١) راجع كتاب إثبات الوصية للمسعودي، ص ٢١ ـ ٢٢.

والإختصاصات التي كانت لأبيه الإمام من قبله.

بمعنى أن إماماً غير شرعي، وغير معد ومؤهل إلهياً للإمامة صار يتمتع على سبيل الإلحاق بكافة الصلاحيات والاختصاصات التي كان يتمتع بها الإمام الشرعي. وهكذا تحوّل الغاصب إلى وحش حقيقي يملك ما لا يحصى من المخالب والأنياب.

وقفة عند الصلاحيات والإختصاصات

عندما يختار الله سبحانه وتعالى رجلاً للإمامة فإنه تعالى يعده ويؤهله للإمامة فيجعله الأعلم والأفهم والأتقى والأفضل ويعصمه تماماً من الزلل، أو بتعبير أدق يجعله أوحد زمانه لكل فضل، وإعطاء الصلاحيات والإختصاصات الهائلة لمن كانت هذه حاله لا يشكل خطراً، لأن من يمارس هذه الصلاحيات والإختصاصات رجل منزّه ومعصوم ومعد ومؤهل إلهياً لممارستها. لكن الكارثة تحل حقيقة بالناس، بحاضرهم ومستقبلهم، عندما يتم إقصاء الإمام الشرعي عن منصبه، ويتم الاستيلاء على هذا المنصب بالقوة والتغلب والقهر وعندما يصبح هذا المتغلب القاهر هو الإمام الفعلي ويدعي أن له الحق بممارسة كافة صلاحيات واختصاصات الإمام الشرعي لأنه القائم مقامه! فحال الإمام المتغلب كحال من يملك أدوات الجراحة الطبية، ويمارس جراحة العين والقلب والدماغ مع أنه لا يعرف الطب إطلاقاً ولا يملك من علمه إلا أدوات ولوازم الجراحة التي وجدها تحت تصرفه!! أو كحال طفل أعطيته قنبلة ليلهو بها.

الإمام غير الشرعي:

الإمام غير الشرعي على الغالب رجل منافق، طموح ومغامر، وحسود خرج من الشرعية الإلهية مع سبق الإصرار، وكره الترتيبات الإلهية المتعلقة بالإمامة الشرعية، فدبر بليل مع أوليائه، وجمع القوة الكافية، وكشر عن أنيابه ثم أقصى الإمام الشرعي عن منصب الإمامة واستولى على هذا المنصب بالقوة والتغلب

والقهر، وتجاهل المنظومة الحقوقية الإلهية لأنه يجهلها أو يتجاهلها وأحل محلها آراءه الخاصة واجتهاداته الشخصية، وقبض على مفاتيح أموال ونفوذ وقوة الدولة وأخرجها عن مصارفها الشرعية وسخرها لتثبيت قواعد ملكه، واستمرار حكمه ونهجه، وعندما تدنو منيته يعهد خلافته لأحد أوليائه ممن يشاركونه عقيدته الفاسدة، وتستمر عملية العهد، حتى يأتي قاهر جديد، فيسلك نهج الذين سبقوه مع اختلاف الديكور. وتنفخ وسائل الإعلام التي يملكها الغالب، وتتولى تحريف الكلم عن مواضعه، وتزيين الباطل وإظهاره بمظهر الحق وخداع العامة والتلبيس عليهم والتدليس.

القوة والتغلب والسمة البارزة

القوة والتغلب هما الطريق الوحيد للوصول إلى منصب الإمامة الفاجرة أو غير الشرعية في كل المجتمعات التي لا تدين بالإسلام حتى صارت هذه الطريقة هي السمة البارزة التي تميز زعامة الكفر ومجتمع الكفر، ولم تختلف الأمور حتى عندما توسعت مدارك الجنس البشري وولت الدكتاتوريات الفردية والجماعية، وحفلت المجتمعات بأفكار الديمقراطية وحقوق الإنسان، إذ بقيت جرثومة القوة والتغلب عالقة بالنفوس والأذهان، ولكن وسائل إبرازها قد اختلفت.

وربما تأثراً بالمجتمعات الجاهلية والكافرة انتشرت تقليعة القوة والتغلب في المجتمع الإسلامي قبيل وفاة النبي، فصارت القوة والتغلب بعد وفاته هما أيضاً الطريق الوحيد للوصول إلى منصب الإمامة، فما من خليفة إسلامي قط إلاّ وقد وصل إلى منصب الخلافة عن طريق القوة والتغلب أو بعهد من قوي متغلب.

وهذه سمة بارزة تميز الخلافة التاريخية عن منصب الإمامة الشرعية. بمعنى أن شريعة الغاب على المستوى السياسي هي التي تحكم الوصول إلى منصب الإمامة غير الشرعية وانتقالها، بغض النظر عن الإعداد والكفاءة والأهلية والجدارة، فتلك أمور ثانوية بمقاييس القوة والتغلب والقهر.

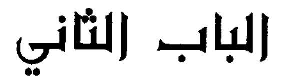
بينما الإمامة الشرعية تنبثق عن الشرعية والمشروعية الإلهية وهي ثمرة

اختيار إلهي للمعد المؤهل الذي تتوافر فيه مؤهلات الإمامة بحيث تجعله هذه المؤهلات الأوحد في زمانه بكل فضل، وهو الأعلم والأفهم بالمنظومة الإلهية المعدة لتكون القانون النافذ في المجتمع.

* * *

الباب الثاني

اختيار الإمام وتوليته وتنصيبه



الفصل الأول:

الإمامة الشرعية

الفصل الثاني:

تغيّر المعادلة السياسية وموازين القوى

الفصل الثالث:

القبول بإمامة محمد ونشوء ظاهرة النفاق في مكة

الفصل الرابع:

العلم اليقيني بالإمامة والقيادة من بعد النبي (ص)

الفصل الأول
الإمامة الشرعية

محمد رسول الله هو الإمام الأعظم

بعد أن بيّنا معنى الإمامة والإمام في اللغة والدين والتاريخ لا يماري أحد من الناس في أنّ رسول الله محمد ﷺ كان الإمام الأعظم، فقد جمع الله له النبوة والرسالة والإمامة، فقد كان هو الرئيس الأعلى لكافة المسلمين في كافة الشؤون الدينية والدنيوية معاً، وقاد الدعوة إلى الله. وعندما تمخضت الدعوة عن دولة رأس تلك الدولة وقادها، وكان هو المرجع العام للمسلمين في جميع الأمور، وكانت بيده مفاتيح أموال ونفوذ وقوة الدولة الإيمانية الفتية، يصرفها على الوجوه الشرعية ويتبع ما يوحى إليه. وكان هو الولي والمولى الشرعي لكل مؤمن ومؤمنة على انفراد ولكافة المسلمين والمؤمنين مجتمعين، وكان هو السيد فلا سيد فوقه، وهو القائد، وهو الأمير، وهو صاحب الكلمة العليا في الأمة الإسلامية كلها وتلك هي اختصاصات الإمامة وصلاحياتها وعنوان وجودها، تلك حقائق لا يقوى على إنكارها أولئك الذين عطلوا عقولهم واتبعوا التقليد وشغفوا بالتماس الأعذار للخارجين على الشرعية الإلهية طوال التاريخ.

مؤهلات الإمام الأعظم

لا يماري أحد من المسلمين بأن رسول الله كان هو الأعلم والأفهم بالدين، والأقرب والأتقى، والأفضل، والأصلح لقيادة الأمة الإسلامية خاصة، وقيادة العالم الإنساني عامة، يتبع ما أوحِي إليه ينطق بالحق والصواب، ولا ينطق عن الهوى، كان الأبعد نظراً والأرحم، لقد أعده الله تعالى وأهله، حتى الأول بكل

فضل، أو بتعبير أدق حتى صار أوحد زمانه، فلا يوجد في زمانه على الأقل من يدانيه أو يساويه علماً وتقوى وفهماً وفضلاً وصلاحاً ورحمة أو يقترب من وحدانيته الإنسانية الجامعة لكل معاني الفضل والخير والفخر.

وقفة مع المتشككين وتساؤل

هل يشك أحد من قادة التاريخ السياسي الإسلامي، أو من علمائهم بأن محمداً رسول الله كان هو الإمام الأعظم؟ وهل يشك أحد منهم بأي مؤهل من مؤهلات النبي التي ذكرناها؟ فإن استمروا بالشك فقد فارقوا دينهم، وإن دخلوا في اليقين فقد آن لهم أن ينزعوا عن سوء عملهم بتزيين الباطل وتبرير الخروج على الشرعية الإلهية، أو التماس الأعذار للخارجين عليها، والإستمرار بتضليل العامة وتعليلهم بالأماني الجوفاء!!

من الذي اختار محمداً للنبوة والرسالة والإمامة؟

الله جل وعلا هو الذي أعد محمداً وأهله واختاره من بين الناس جميعاً ليكون النبي والرسول للناس جميعاً والإمام، والله تبارك وتعالى هو عينه الذي اختار ابراهيم للنبوة والرسالة والإمامة وهو بنفسه الذي اختار الأئمة من ذرية ابراهيم من بعده وجعلهم أئمة يهدون بأمر الله ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء/ ٧٣) تلك حقائق سلمت بها الأمة تسليماً ولا يجادل بها أحد لأنها من أبجديات الدين والمنطق. والله سبحانه وتعالى هو الذي اختار الأئمة من آل محمد وأعدهم وأهلهم للإمامة من بعد النبي. هنا يجن جنون قادة التاريخ، ويجن جنون أوليائهم من بعدهم الذين يغضبون لغضب الخلفاء ويرضون لرضاهم. فليس لدى الخلفاء ما يمنع من أن يجمع الله تعالى النبوة والإمامة والحكمة لإبراهيم وآل ابراهيم. لكنه ليس من العدل أن يكون النبي من بني هاشم، وأن يكون الأئمة من بعده من بني هاشم!! وليس من العدل أن تحرم بطون قريش من هذين الشرفين

وأن ينال الهاشميون الشرفين معاً[1]!! . ويرون أنه ما كان لله أن يولي علياً بن أبي طالب الإمامة من بعد النبي وقد قتل سادات بطون قريش على الكفر والقلوب تغلي بالضغائن عليه فالذين أسلموا في ما بعد من أبناء البطون يرفضون أن يكون إمامهم هو قاتل الآباء والأجداد[2]. الخلفاء الأول كانت لديهم أسبابهم القبلية الخاصة لرفض الأمر الإلهي الذي يعطي الإمامة من بعد محمد لآل محمد، لأن الخلفاء الأول كانوا يعتقدون أن الله أعظم وأجل من أن يخص الهاشميين بالنبوة والإمامة معاً وأن يحرم بقية البطون، وإعطاء الإمامة لآل محمد من بعد محمد هو من عند محمد شخصياً ومحمد بشر يتكلم في الغضب والرضا ولا ينبغي أن يحمل كلامه كله على محمل الجد[3]!! وجاء علماء الدولة التاريخية ليبرروا فعل الخلفاء، وليخترعوا أسباباً ما خطرت ببال الخلفاء تقضي بضرورة صرف الأمر عن آل محمد، ويصواب فصل الخلفاء، وقد تمادوا بذلك فزعموا أن أئمة آل محمد لا وجود لهم إلا في أذهان آل محمد وأذهان شيعتهم الذين يناصرونهم وهي شيعة ضالة، أما الذين يناصرون الخلفاء ويتشيعون لهم فهم أهل السنة والجماعة وهم الشيعة المهتدون والفرقة الناجية!

الأئمة والشورى والانتخاب وأهل الحل والعقد

الله سبحانه وتعالى هو الذي اختار ابراهيم للإمامة، واختار الأئمة من بعده وجعلهم أئمة، وهو الذي اختار محمداً للإمامة واختار الأئمة الاثني عشر من ذريته، بعد أن أعدهم وهيأهم للإمامة بحيث صار كل واحد منهم أوحد زمانه.

لم يعيِّن الأئمة عن طريق الشورى، ولم يصلوا إلى منصب الإمامة

---

(١) راجع الكامل لابن الأثير، ٣/ ٦٣. وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٢/ ٥٣ - ٥٤، وتاريخ الطبري ٤/ ٢٢٣.

(٢) راجع الرياض النضرة للطبري ٢/ ٢١٠. نقلاً عن مسند أحمد في المناقب، والكنجي في الكفاية ص ١٤٢ والخوارزمي في مقتل الحسين ١/ ٣٦.

(٣) راجع سنن أبي داود ٢/ ١٢٦، وسنن الدارمي ١/ ١٢٥ ومسند أحمد ٢/ ١٦٢، ٢٠٧، ٢١٦ ومستدرك الحاكم ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦ وجامع بيان العلم لابن عبد البر ١/ ٨٥.

بالانتخاب، ولم يكن لأهل الحل والعقد أي دور في اختيارهم وتوليتهم، فالله تعالى هو الذي اختارهم وأهلّهم وأعدّهم وجعلهم أئمة.

لماذا حصر الله تعالى صلاحية اختيار الأئمة بنفسه؟

لأن الإمام يجب بالضرورة أن يكون أوحد زمانه بحيث يكون هو الأعلم والأفهم بالدين، وهو الأتقى والأقرب لله تعالى، وهو الأفضل والأصلح والأنسب، وهو المرجع الموثوق المحصن ضد الزلل والخطأ، وهو الأرحم والأشفق بالعباد، وهو الأول بكل فضل بحيث لا يسبقه سابق ولا يتقدم عليه متقدم، لأن هذا الإمام رجل العالم كله، فلو اجتمع الجنس البشري كله وهذا مستحيل، واستعمل أقصى ما وصل إليه العقل البشري لما توصل لمعرفة المتصف بهذه الصفات معرفة قائمة على الجزم واليقين، لذلك فإن إشراك العالم أو الأمة باختيار الإمام المتصف بهذه الصفات هو من قبيل العبث واللغو، إن عملية الاختيار الإلهي للإمام هي عملية معرفة إلهيّة فنية من جميع الوجوه، وتقريباً للذهن نقول إنها اختصاص.

الطبيب يجري عملية للقلب، بحضور الملك والوزراء والفلاحين وأرباب الصناعات والمهن وعلى مسمع ومرأى من أفراد الأمة كلها حيث نقلت وقائع العملية بالتلفزيون والإذاعة!! والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا يحتكر الطبيب شرف وفخر إنجاز العملية الجراحية دون أن يشرك معه عليّة القوم وخاصتهم، عسانا أن نكون بهذا المثل قربنا الصورة للذهن، مع أن الذي يختار ليس الطبيب إنماهو الله الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، وإذا قضى الله ورسوله أمراً ما كان للناس الخيرة، لأن الخيرة في ما اختاره الله.

موقف الناس من إمامة رسول الله محمد ﷺ

قيادة الدعوة إلى الله

أحيط النبي الكريم علماً باختيار الله تعالى له نبياً ورسولاً وإماماً، وبدأ نور الوحي الإلهي ينساب في وتين قلب الرسول، حاملاً كليات وتفاصيل الخطة الإلهية لإنقاذ الجنس البشري مبتدئةً بالعرب، وكلف رسول الله بقيادة الدعوة وبالدعوة إلى الله سراً وبصورة انفرادية، واستمر منهجه السري ثلاث سنين اهتدى على يديه قرابة أربعين رجلاً وامرأة[1] ثم تلقى رسول الله أمراً بالجهر، فجمع الهاشميين رهطه الأقربين، فأطلعهم على كليات دعوته، وطلب نصرتهم، فأعلنت الأكثرية الساحقة من بني هاشم وقوفها إلى جانب النبي، حتى أن عمه أبا طالب قال له باسم هذه الأكثرية: «يا ابن أخي إذا أردت أن تدعو إلى ربك فاعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح»[2]، وفي هذا الاجتماع أعلن النبي استمرار الدعوة، حتى بعد وفاته، حيث عين علياً بن أبي طالب، وزيراً له وخليفة ووصياً وإماماً من بعده، وبعد أن انفض الإجتماع، ذهب النبي ومن والاه إلى البيت الحرام وصعد الصفا ونادى على كل بطون قريش، ولما اجتمعوا حوله أعلن النبوة والرسالة ودعاهم إلى الله[3]. وبعد ذلك قاد الرسول أتباعه بمظاهرة سلمية مخترقاً بهم شوارع مكة وسككها، وهكذا صارت أنباء النبوة والرسالة والإمامة وولاية العهد معروفة عند سكان مكة، وأقام الرسول بالأبطح متابعاً نشر الدعوة وإعلانها[4].

الحزبان

ما أن انتهى النبي من تعميم أنباء النبوة والرسالة والإمامة وولاية العهد على سكّان مكة حتى ظهر على الساحة الوجود الواقعي لحزبين، يمثلان عقيدتين

---

(١) راجع تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٣ ـ ٢٤ وتاريخ ابن الأثير ٢/ ٦٠.

(٢) راجع تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٧.

(٣) راجع تاريخ الطبري ٢/ ٢١٧، وتاريخ بن الأثير ٢/ ٢٢.

(٤) راجع تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٤.

متناقضتين، وقيادتين متعارضتين بغض النظر عن كثرة الحزب وقلته.

١ ـ الحزب الأول: وهو الحزب الإسلامي الذي يدعو إلى عقيدة التوحيد ويقوده محمد النبي والرسول والإمام، ويتكون أعضاؤه من:

أ ـ أغلبية الهاشميين الساحقة، وعلى رأسهم عميد البيت الهاشمي رسمياً عبد مناف بن عبد المطلب (أبو طالب)، وهو واقعياً وبجدارة سيد قريش وحكيمها.

ب ـ الذين دخلوا في الإسلام من أبناء البطون والموالي والأحابيش وقد آمن أعضاء هذا الحزب بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً وإماماً، بالرضى لا بالإكراه، وعن طريق الكلمة الطيبة، والحجة البالغة، والإقناع، فلم يرو أحد قط أنّ رسول الله قد أكره رجلاً أو امرأة على القبول بولايته أو إمامته، فكان القبول بإمامة النبي وولايته ثمرة إقناع واقتناع، وهذا هو الفارق الدقيق بين الإمامة الشرعية القائمة على الرضى والاقتناع والإقناع وبين الإمامة غير الشرعية القائمة على الإكراه والرعب والتغلب والقهر. وهذا الحزب هو حزب الأقلية، وهو بمثابة جزيرة صغيرة وسط محيط الكفر والشرك. وما يميز أعضاء هذا الحزب عن غيرهم عملياً هو قبولهم بولاية النبي وإمامته، فلو قال أحد الأعضاء أنه يؤمن بالله رباً، ويؤمن بالقرآن، ويؤمن بأن محمداً رسولاً، ولكنه لا يقبل بولاية الرسول أو بإمامته فإن هذا القائل كافر، لأن العبرة تكمن بالقبول بولاية الرسول وإمامته.

ورسول الله لم يطلب من أفراد الفريق «ب» أكثر من تعميق قناعاتهم ومتابعة الوحي، والصمود على إسلامهم، وجعل الهاشميين فريق مواجهة وحماية له. تلك حقيقة لا يجادل بها إلا جاهل، فالهاشميون تولوا المواجهة وحماية النبي، وهم الذين تعرضوا للحصار وأكلوا ورق الشجر من الجوع، وخوفاً منهم أحجمت بطون قريش عن قتل النبي، ولما أفلست ورأت أن قتل النبي هو الطريق الوحيد أمامها اختارت فتية من كل البطون ليشتركوا في ذلك. حتى يضيع دمه بين القبائل ولا يقوى الهاشميون على المطالبة به حسب تعبيرها. هذا قبل الهجرة، ولم تختلف الصورة كثيراً بعد الهجرة. فأبو بكر وعمر أبرز المسلمين تاريخياً بعد النبي، ولكن لم يثبت قط أن أحد هذين الرجلين قد قتل أو جرح أو أسر مشركاً،

ولم يجدا غضاضة بالفرار إذا حمي الوطيس. كما حدث في أحد.

٢ ـ الحزب الثاني: وهو حزب الكفر والشرك حيث يتبنى عقيدة الشرك ويدافع عنها ويقول: الحزب مجلس رئاسة يتكون من زعماء بطون قريش الـ٢٤ بقيادة أبي جهل وأبي سفيان. وبموت أبي جهل استقرت قيادة هذا الحزب لأبي سفيان وأولاده وزعماء البطن الأموي.

ويتكون هذا الحزب من أبناء بطون قريش الـ٢٤ ومواليهم وأحابيشهم، أو بتعبير أدق من سكان مكة جميعاً عدا الهاشميين والقلة التي أسلمت مع محمد.

وتدعم هذا الحزب وتتعاطف معه كافة القبائل العربية، لأن لبطون قريش مكانة خاصة عند العرب، فهم حماة البيت وسدنته، ولهم فضل متواصل على قوافل الحجيج بحيث يمكنك القول إن العرب كانت تمدد مواقفها السياسية على ضوء موقف زعامة البطون في مكة، ألم ترَ كيف سلمت جيوب المقاومة العربية للإسلام بعد استسلام زعامة بطون قريش.

ويميز أعضاء هذا الحزب من غيرهم كراهيتهم لمحمد ولآل محمد وللبطن الهاشمي، وعدم قبولهم بولاية النبي وإمامته، وتبعاً لذلك كرهوا الدين الذي جاء به محمد.

المواجهة بين الحزبين

إن موضوع المواجهة بين رسول الله وآله بحث طويل، حتى أنني ألَّفتُ كتاباً عن هذه المواجهة، لكن الذي يعنينا هنا ينصب على إعطاء صورة وجيزة عن المواجهة بين محمد الإمام الشرعي، وبين زعماء بطون قريش الأئمة غير الشرعيين.

ملخص موقف الإمام الشرعي محمد رسول الله

يريد أن يحدث تغييراً سلمياً يوظفه لمصلحة البشرية، وذلك بتبديل عقيدة الشرك التي تتنافى مع الفطرة والعقل بعقيدة الإسلام المتفقة مع الفطرة والعقل،

لتحل الأوامر الإلهية محل الاجتهادات والآراء الشخصية التي تستند إلى الهوى. ويوصفه الرجل المؤهل للإمامة والأعلم بالعقيدة يريد بالضرورة أن يقود عملية التبديل والتغيير بالرضى والإقناع والإقتناع وبالكلمة الطيبة المجردة. يبني مجتمعاً إنساناً مثالياً وجديداً تكون الأوامر الإلهية هي القانون النافذ فيه، وتكون قيادته هي الأصلح والأعلم والأفضل حيث تتعاون الأمة الجديدة مع القيادة لتكون المثل الأعلى الحي المتحرك للمجتمعات البشرية، ليسهل تبليغ وهداية الناس جميعاً لأمر الله، وقلب محمد مفتوح، فعنوان الدعوة النبوية التوحيد والإهتداء لأمر الله والقبول بولاية محمد وإمامته، لا لأن محمد عاشق للسلطة ولكن لأن الله قد اختاره لذلك، ولأنه الأعلم والأفهم بالعقيدة والأقرب لله والأفضل بشهادة الله وكفى بالله شهيداً. ومطلب محمد ينصب على أن تخلي زعامة الشرك في مكة بينه وبين السكان، وأن تتوقف عن ممارسة ضغوطها على الناس، وأن تتركهم ليختاروا الدين الجديد، عن قناعة ورضاً أو يبقوا على دينهم برضا وقناعة وأن تتوقف زعامة البطون عن ممارسة ضغوطها الأدبية على العرب لتصدهم عن دين الله، وعن ممارسة إعلامها الفاسد الموجه لنشر الأكاذيب، وتحريف الكلم عن مواضعه، وتزيين الباطل وتشويه الحقائق استغفالاً للعامة، وطمعاً بالتضليل والتدليس والتلبيس. لذلك فإن النبي ماض قدماً في دعوته، ولن يتوقف حتى يظهره أو يموت دون هذه الدعوة.

ملخص موقف أئمة الكفر

أئمة الكفر في مكة، أو زعامة بطون قريش، تدرك أن عقيدة الشرك فاسدة، ويتعذر الدفاع عنها، وتدرك سوء الأوضاع العامة في مكة وفي بلاد العرب، وتدرك حاجة الناس للتغيير، ولكنها لا تملك البديل، وهي تعلم علم اليقين أن محمداً بن عبدالله صادق ولا يكذب وحكيم، ومؤهل للقيادة والرئاسة، فقد كانوا يسمونه الأمين، وقد خلص البطون بحكمته من مذبحة عندما اختلفوا على رفع الحجر

الأسود، ووضعه في موضعه[1]، لكن أئمة الكفر أو زعامة البطون محكومة بمجموعة من الثوابت غير القابلة للمناقشة أهمها:

١ ـ الصيغة السياسية الجاهلية القائمة على مبدأ توازن القوى وانقسام مناصب الشرف بين البطون، والعقيدة الجديدة تنسف الصيغة من أساسها وتخص الهاشميين بالقيادة والمرجعية العامة.

٢ ـ زعماء البطون وصلوا إلى مرتبة الزعامة بجهد جهيد مع ما يلحق بهذه المرتبة من امتيازات، ومن المستحيل أن تتخلى زعامة البطون عن مكتسباتها وأن تسلم هذه المكتسبات إلى رجل مغمور كمحمد بن عبدالله.

٣ ـ إن محمد بن عبدالله رجل هاشمي وبطون قريش ترفض رفضاً قاطعاً أن يكون الدين عن طريق هاشمي، وترفض أصلاً النبوة الهاشمية، ولا تقبلها بأي شكل من الأشكال.

٤ ـ إن الدين القديم، دين الشرك، هو تركة الآباء والأجداد، ومن البر والوفاء لهم التمسك بمعتقداتهم.

لهذه الأسباب مجتمعة ومنفردة أجمعت بطون قريش الـ٢٤ على رفض: ١ ـ دين الإسلام. ٢ ـ نبوة بني هاشم. ٣ ـ قيادة النبي وإمامته. ٤ ـ فكرة التغيير الإجتماعي، وصممت على مقاومة محمد والنبوة الهاشمية والدين الجديد الذي جاء عن طريق هاشمي بكل السبل والأساليب. حتى لو اضطرها ذلك لقتل محمد بن عبدالله ومحاصرة الهاشميين والدخول بحرب مسلحة معهم كوسائل وأساليب احتياطية، وكان أكثر البطون اندفاعاً لمعاداة النبي البطن الأموي بقيادة أبي سفيان وبنيه وبني عمومته، وبطن بني مخزوم بقيادة أبي جهل والوليد بن المغيرة والد خالد بن الوليد، والعاص بن وائل والد عمرو بن العاص. هذا لا يعني أن بقية البطون كبني تيم وبني عدي لم تكن مندفعة في مد العداء ضد النبي، لقد اندفعت جميع البطون الـ٢٤، لكن اندفاع البطنين الأموي والمخزومي بعداوة النبي وآله

(١) راجع تاريخ الطبري، ٢/ ٤١.

كان ظاهراً وملموساً ومشهوراً، ومعروفاً لدى العامة والخاصة.

وسائل المواجهة

وسائل الإمام الشرعي محمد رسول الله

لقد أعلن محمد رسول الله ،بوضوح تام، أن بطون قريش لو وضعت الشمس في يمينه والقمر في يساره ما تراجع عن دعوته إلى الله، وسيمضي في هذه الدعوة قدماً حتى يظهره الله أو يموت دون ذلك، وهو يعلن بالعشي والإبكار أنه رجل سلم وسلام، يكره العنف والإرهاب والقهر، وأنه لن يكره أحداً على الدخول في دينه، وأنَّ سلاحه الوحيد هو الكلم الطيب المستند إلى الحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة، واستنفار الطاقات الفكرية والروحية في الإنسان أي إنسان بغض النظر عن لونه أو عرقه أو مكانته الاجتماعية، فإذا اقتنع هذا الإنسان أو ذلك بدعوته صار مسلماً وأحد أتباع النبي وأحد رعايا الإمام محمد يتبعه بولاية الدين، ولا تثريب على أئمة الكفر ولا لوم لو بقوا على دينهم، إنما يقع عليهم اللوم والتثريب عندما يستعملون نفوذهم النابع من مكانتهم كأئمة للكفر فيعدون عن سبيل الله وعن صحوة العقل ويعوّقون مسيرة التغيير العادلة.

لذلك انصب جهد النبي على متابعة الدعوة وقيادتها وعرض نفسه ودعوته على التجمعات والأفراد، خاصة وفود الحجيج التي كانت تفد بصورة دائمة إلى مكة حاجة ومعتمرة، وكانت حجة النبي متكاملة ومنطقية مدعومة بكلام الله المعجز، مما يجعلها نقطة استقطاب. لو رفعت ضغوطات البطون أو وجدت الحريات الفردية للإختيار. إن منهج الرسول متحضر، وكفى به فخراً أنه المنهج الرباني بالدعوة.

وسائل أئمة الكفر

إمامة الكفر قائمة بطبيعتها على الرعب والإرهاب والتغلب والقهر، ومعادية للمنطق والعقل والفطرة، وخارجة بوضوح صارخ عن إطار الشرعية والمشروعية

الإلهية، لا تحترم إرادة التغيير، ولا يعنيها رفع المعاناة عن الناس، تفتقر إلى بعد النظر، معنية بدنياها ومصالحها وحبها للسيطرة والتحكم، لقد تجاهلت إدراكها لواقع يتطلب التغيير، ومعرفتها بالعقيدة الفاسدة التي يدين بها مجتمع الشرك، وتجاهلت حكمة محمد بن عبدالله وصدقه، وأهليته للقيادة، وصممت نهائياً على رفض الدعوة ومقاومتها وسخرت نفوذها وقوتها ومالها ومكانتها عند العرب للصد عن سبيل الله، وتفشيل النبوة الهاشمية وإحباطها، ومارست مع العلم وسبق الإصرار الكذب والخداع والتضليل والتدليس والإرهاب والقهر وقطيعة الرحم لتنال من محمد ودعوته ورهطه الهاشمي، وأشاعت وسائل إعلامها الفاجرة أنَّ محمداً كاذب، وساحر، ومجنون، وكاهن، وشاعر، وهي تعلم أن ما حملته وسائل إعلامها عن النبي مجرد أكاذيب، مثلما أشاعت وسائل إعلامها أن القرآن الذي جاء به محمد ما هو إلا أساطير الأولين، وما هو إلا أقاويل كهنة ونفثات ساحر، وأنه ليس كلام الله كما يدعي محمد، مع أنها لتعلم علم اليقين أنه ليس بالسحر، ولا بالشعر، ولا بالكهانة. وتقليلاً لمكانة النبي وعظمة القرآن خصصت فرقة من فجارها مهمتها الاستهزاء بالنبي والسخرية منه ومن كتاب الله، ومن أبرز رجالات هذه الفرقة الوليد بن المغيرة والد خالد بن الوليد والعاص بن وائل والد عمرو بن العاص، وعقبه بن أبي معيط والد الوليد بن عقبة، والحكم بن العاص جد ملوك بني أمية ووالد مروان باني المملكة الأموية وعم عثمان الخليفة الثالث في ما بعد[1]. وخصصت فرقة حاولت جذب الناس عن النبي بتحديثها عن أخبار الأمم السابقة كما فعل النضر بن الحرث الذي كان يحدث قريش عن ملوك فارس. هذا على صعيد الإعلام.

ثم عذبت المستضعفين من الذين أسلموا إذ ثارت كل قبيلة بمن أسلم من أفرادها فعذبوهم وسجنوهم وأرادوا فتنتهم عن دينهم كما فعلوا ببلال، وبالمسلمة زنيرة التي عميت من التعذيب، وبالمسلمة لطيفة التي عذبها عمر بن الخطاب حتى

(١) راجع السيرة الحلبية، ٣١٨/١ وما بعدها.

مل، والخباب بن الأرت وياسر وعمار وأخوه عبدالله وسمية أم عمار[1]. ولم تتوقف محاولاتهم لعزل النبي وقتله[2].

وعندما اكتشفت جدية بني هاشم في حماية النبي أجمعت بطون قريش الـ٢٤ على محاصرتهم في شعب أبي طالب، لا تبيعهم ولا تشتري منهم لا تُنكحهم ولا تنكح منهم، وبالفعل حاصروا الهاشميين ثلاث سنين حتى اضطر الهاشميون أن يأكلوا ورق الشجر من الجوع، ومع هذا رفضوا تسليم النبي، أو أن يخلوا بينه وبين بطون قريش لتقتله[3].

وقررت بطون قريش أن تحاصر من يريد الهجرة، لتمنعه منها، كما فعلت مع المهاجرة الأولى إلى الحبشة، وكما فعلت يوم حاولت منع الرسول من الهجرة إلى يثرب، وحاولت أن تطرد المهاجرين من مهاجرهم كما فعلت يوم أرسلت عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى ملك الحبشة محاولة منها لرد المسلمين إلى مكة[4].

الصمود المذهل

لا تثريب على أي رسول أو إمام لو أحبط واستسلم أمام المقاومة الضارية التي أبدتها بطون قريش الـ٢٤ مجتمعة له ولدينه، ولا تثريب على البطن الهاشمي لو أنه سلم محمداً أو خلى بينه وبين بطون قريش أمام إرهاب عجيب وحصار وضغط متواصل دام ١٣ عاماً أو ١٥ عاماً، وكان قدر محمد وقدر الهاشميين أن يعيشوا مع الإرهابيين في بلدة واحدة!!

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ والسيرة الحلبية ١/ ٢٤٣ و٢٩٨ ـ ٣٠٠، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣. وتاريخ الطبري ٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٨ والسيرة الدحلانية ١/ ٣٢٢ بهامش السيرة الحلبية.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩، والسيرة الحلبية ١/ ٣٣٦ ـ ٣٣٨ وتاريخ الطبري ٢/ ٢٤٥.

(٤) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام، ص ٢١٩.

لكن محمداً مؤهل إلهياً للصمود والتحدي، أما الهاشميون فقد أهلوا لحماية نبي واحتضان دعوة. أليسوا هم شرعاً خير بطون البشر قاطبة لقد صمد محمد وصمد الهاشميون في وجه المقاومة والحصار والإرهاب طوال ١٣ عاماً في ظروف ما كان لغيرهم فيها أن يصمد معشار هذه الحقبة أمام موجة العداء العاتية.

تقدير الموقف وقرار الهجرة

أدرك الرسول الإمام أن بقاءه في مكة أمر لا طائل تحته ولا فائدة ترتجى منه، وبهذه الظروف فإنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، وأن الكلمة المجردة قد أدت دورها كاملاً، وأن زعامة بطون قريش لن تفهم غير لغة القوة أو الكلمة المسلحة بالقوة.

أثناء استعراض الرسول لقوافل الحجيج اجتمع مع ستة من أهل يثرب وعرض عليهم دعوته، فآمنوا بها، ووعدوه بنشرها في يثرب، وفي السنة التالية رجع من هؤلاء خمسة ومعهم سبعة آخرين، وأرسل معهم الرسول مصعب بن عمير، وفي السنة الثالثة جاء مصعب ومعه ٧٣ رجلاً وامرأتان، ولما فرغوا من أداء مناسكهم اجتمعوا مع الرسول وبايعوه واحداً واحداً على الطاعة وعلى أن يحموه وذريته كما يحمون نساءهم وأولادهم.

وبهذا الوقت بالذات وصلت الدعوة في مكة إلى طريق مسدود فكان قرار الهجرة هو الطريق الأوحد، وهو المنهج الأقوم، لقد عثر النبي على الإقليم المناسب والمقر الدائم له وهو يثرب. خاصة وأن أموره منظمة فيها، وأتباعه لهم الكلمة العليا في يثرب، وقد طلبوا منه أن يهاجر إليهم، وأن يتولى الأمور فيقود الدعوة والدولة. معاً وأذن الله لنبيه بالهجرة المباركة، وبالرغم من التكتم الشديد إلا أن شائعات الوفاق بين محمد وبين أهل يثرب، وقرار بالنبي بالهجرة انتشرت على نطاق واسع في مكة ويثرب معاً.

هجرة الإمام ونجاته وقيام الدولة

إذا استطاعت زعامة بطون قريش أن تحاصر الدعوة محلياً فقد فشلت بمحاصرة الدعوة ووقف نشاطها خارج مكة، وما يجري في يثرب البرهان الساطع على ذلك. إذ استطاع محمد أن ينشر دعوته رغم القيود والإرهاب، فكيف تكون الحال عندما يتحرر ويصبح سيد يثرب وحاكمها المطاع!! هذا ما وصلت إليه زعامة بطون قريش من تحليلها للموقف، لذلك قررت أن تقتل محمداً، ولكنها تريده قتلاً بلا ويلات وبلا ثارات، ولا حل برأيها سوى أن تشترك كل بطون قريش وقبائلها في قتله فيضيع دمه بين البطون والقبائل ولا يقوى الهاشميون والمطَّلبيُّون على المطالبة بدمه وقد ارتاحوا لهذه الحل، واختاروا من كل قبيلة رجلاً، حتى إذا دخل محمد بيته ليلة الهجرة، أحاطوا بالبيت إحاطة السوار بالمعصم لينتظروا خروجه مهاجراً ثم ينقضُّوا عليه، ويضربوه ضربة رجل واحد، حتى إذا وقف النجم وقفة الحيران ـ كما يقول شاعرهم ـ ولم يخرج محمد بدأت الشكوك تساورهم، وكم دهشوا عندما رأوا علياً بن أبي طالب نائماً في فراش محمد، ليفديه بنفسه، وأن محمداً قد خرج دون أن يروه، فجن جنونهم، وأحاطوا زعامة البطون علماً بما حدث فاستنفرت خيلها ورجالها، وخصصت الجوائز لمن يقبض على محمد حياً أو ميتاً قبل وصوله إلى يثرب. وفي الجانب الآخر كان محمد يشق طريقه إلى يثرب عاصمة الدولة الجديدة، منشرح الصدر واثقاً من حفظ الله تعالى له[1]. مطمئناً بنور الوحي «نجوت من القوم الظالمين». وما أن وصل إلى أطراف يثرب حتى وجد كل سكانها وقد خرجوا عفوياً وانبهاراً وبدون إكراه ليستقبلوا الإمام محمداً استقبال الفاتحين، وبدأت الأيدي تصافحه وتبايعه نبياً ورئيساً وإماماً للمسلمين، ورئيساً لغير المسلمين باستفتاء عفوي بدءاً من عبدالله بن أُبَي ـ زعيم المنافقين ـ ومروراً بزعامة الأوس والخزرج وزعماء المهاجرين وعامة الأنصار والمهاجرين، وكافة أتباع الديانات الأخرى المتواجدين في يثرب وما حولها.

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٢/٢٤٣ ـ ٢٤٤، والطبقات لابن سعد ١/٢٣٨.

وصارت الهجرة عنوان الإيمان، ورمز الولاية، وتتابعت نداءات النبي إلى كافة المسلمين بضرورة الهجرة، ومن لم يهاجر فليس لمحمد من ولايته شيء.

مقومات دولة النبي وأركانها

مجرد وصول النبي إلى يثرب شرع بإبراز مقومات الدولة الإيمانية التي تمخضت عن الدعوة الإسلامية وجاءت كثمرة كبرى من ثمراتها.

الركن الأول: الولاية أو الإمامة أو القيادة

محمد رسول الله ﷺ بالضرورة هو الإمام ورأس السلطة وهو القائد وهو المرجع، فقد اختاره الله نبياً ورسولاً وعينه ولياً وإماماً وجعل طاعته والقبول بشرعية إمامته وقيادته جزءاً لا يتجزأ من دين الإسلام، ولأنه هو المكلف ببيان القرآن وهو الأعلم والأفهم بالدين، والأتقى والأفضل، أو لأنه أوحد زمانه فمن الطبيعي جداً أن يكون هو الإمام أو القائد، أو المرجع الأعلى، ومن الطبيعي أن يتولى الإمام توزيع الأدوار، وأن يستعين بمن يراه لتحقيق الغاية من ظاهرتي الإمامة والسلطة.

الركن الثاني: الشعب أو الأمة

تكوّن شعب الدولة الجديدة من سكان يثرب وما حولها، وهم بضرورة الواقع أربعة أصناف:

١ ـ المسلمون الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، وهم «المهاجرون».

٢ ـ المسلمون الذين آمنوا من أهل يثرب ومهدوا لقبول النبي وأعدوا المجتمع اليثربي وهيأوه لقبول إمامة النبي، وهم «الأنصار».

٣ ـ المسلمون الذين تظاهروا بموالاة النبي رغبة أو رهبة وأبطنوا الكفر والكراهية لمحمد ولآل محمد ولمن والاهم، وهم «المنافقون».

٤ ـ أصحاب المصالح الذين كرهوا إمامة محمد وكرهوا قيادته وكرهوا دينه

ولكن حرصاً على مصالحهم، وحتى لا يسبحوا بمواجهة التيار العام تظاهروا بقبولهم لقيادة محمد وإمامته، وهم اليهود.

٥ ـ عناصر مشركة أخفت شركها، وأمام حالة الإنبهار بقدوم محمد لم تجد مفراً من التظاهر بموالاته وقبول إمامته وهم في الواقع فرقة من المنافقين.

الركن الثالث: الرضى والإقتناع

كان القبول بإمامة الرسول محمد وولايته ثمرة رضى واقتناع الشعب أو الأمة، وهذا ما يميِّز الإمامة البَرَّة الشرعية عن الإمامة الفاجرة وغير الشرعية، فالإمامة البرة الشرعية تتسلَّم القيادة برضى المحكومين واقتناعهم، أما الإمامة الفاجرة فتتسلم القيادة وتصل إليها عن طريق القوة والتغلب والقهر وتجبر الشعب والأمة على التظاهر بالرضى والإقتناع بقيادتها الجبرية.

١ ـ فكافة المسلمين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة «إقليم الدولة» آمنوا بمحمد كنبي وكرسول، وأعطوه القيادة وقبلوا به ولياً وإماماً، وعاهدوه على الطاعة، كل ذلك بمحض اختيارهم وعن قناعة تامة، وبدون إكراه، ولا ضغط ولا إرهاب، وعقلاً يستحيل تصديق أية ادعاءات مناقضة إذ كيف يستطيع رجل أعزل ومطارد ومحاصر من قبل أئمة الكفر كمحمد ﷺ أن يجبر الناس بالقوة والإرهاب على الإيمان بنبوته ورسالته وإمامته، وأن يحملهم على ترك وطنهم وأموالهم وذرياتهم والسير على أقدامهم مئات الأميال للإلتحاق به في موطنه وقاعدة دولته الجديدة ليضعوا أنفسهم تحت تصرفه!!! فليس في الدنيا كلها عاقل يمكنه أن يشكك برضى واقتناع المهاجرين بإمامة محمد وولايته.

٢ ـ وكافة المسلمين الصادقين من أهل يثرب آمنوا بمحمد كنبي وكرسول وقبلوا به إماماً وولياً لهم وعاهدوه على الطاعة وعلى حمايته وحماية ذريته تماماً كما يحمون أنفسهم وأموالهم وذراريهم بمعنى أن محمداً لم تكن له قوة عندما عاهدهم، وإلا فكيف يطلب منهم أن يحموه!! ومن كانت هذه حالته فكيف يتسنى له ممارسة القوة والقهر للوصول إلى منصب الإمامة وممارسة اختصاصاتها

وصلاحياتها!! ومن جهة ثانية فإن أكثر الصادقين من الأنصار قد آمنوا بمحمد نبياً ورسولاً ورضوا به ولياً وإماماً قبل أن يروه وساروا على أقدامهم مئات الأميال ليعلنوا له ذلك، وليبايعوه على ذلك، وهذا كله يؤكد أن إمامة النبي وولايته على الصادقين من الأنصار كافة ثمرة رضى تام واقتناع مؤكد بشرعية إمامة النبي محمد وولايته، وحال الأنصار تماماً كحال المهاجرين الأولين.

٣ ـ المسلمون الذين تظاهروا بالإسلام من أهل المدينة وتظاهروا بالتصديق بنبوة ورسالة محمد والقبول بإمامته وولايته، وقد عرفوا بالمنافقين حيث أظهروا الإسلام والإيمان وأبطنوا الكفر والعصيان والكراهية التامة لمحمد ولآل محمد ولمن والاهم، ظاهرهم مع النبي ومع إمامته وولايته للمجتمع، وباطنهم كاره لذلك، حاقد عليه يتربص الفرص لنقضه، وإبطال كلمة الإسلام من أصولها إن استطاعوا. ومع هذا هم لا يظهرون للنبي إلا وداً، وقبولاً بإمامته وولايته، ورضى بها. وقد بايعوا الإمام فعلاً على الطاعة وعلى القبول بإمامته وولايته بدون ضغط ولا إكراه!! ماذا تقترح على الرسول محمد أن يفعل بهذه الحالة؟! هل سيقول لكل واحد من المنافقين: أنا لا أقبل بيعتك، لأنك منافق، وتنطق عكس ما تظهر!! وأنا لا أقبل دينك ولا إسلامك ولا عملك هذا. إن محمداً كإمام وكولي ليس مخولاً أن يطلع على نوايا شعبه، بل عليه أن يتعامل مع الظاهر، وأن يترك أمر البواطن له، ثم إن المنافقين ليسوا بالقلة التي يتصورها البعض لقد كانوا يشكلون أكثر من نصف مجتمع المدينة، ومواجهة النبي لهم بحقيقتهم قد تترك آثاراً مدمرة، وقد تفسد عليه الأمر كله، فهنالك شبكة هائلة من علاقات القربى والأرحام والمصالح بين مسلمي المدينة ومنافقيها التي كانت قائمة قبل قدوم النبي يصعب تجاهلها بموازين العقل والمنطق والفطرة. فعبدالله بن أُبَي كان زعيم المنافقين بلا خلاف ومات على حاله وابنه كان مسلماً صالحاً ومات على حاله، وعندما أشيع أن النبي قد يقتل عبدالله بن أُبَي جاء الابن الصالح إلى النبي وتمنى عليه أن يكلفه بقتل أبيه إن أراد ذلك!! حتى لا يقتله آخر، ويكابد الابن الصالح لتحمل رؤية قاتل أبيه!! فيجيبه الرسول الإمام «لنحسنن حجته، إن محمداً لا يقتل أصحابه».

بمعنى أن كافة المنافقين قد أظهروا الإسلام، وأعلنوا إيمانهم بنبوة محمد ورسالته، وقبولهم بولاية محمد وإمامته أو قيادتهم وبايعوه على ذلك وبدون إكراه وتظاهروا بالرضى التام والإقتناع المؤكد بذلك.

٤ ـ اليهود: ويشكلون شريحة كبرى من سكان يثرب وما حولها وقد بهر اليهود بالسرعة التي انتشر فيها دين الإسلام في يثرب وعدم قدرة أحد من الأوس والخزرج على المعارضة فالكل مسلم أو متظاهر بالإسلام، وقد ذهلوا من السرعة التي تتابعت بها الأحداث، فأسلم منهم القليل أما الفئات الأخرى فقد رأت أن تحتفظ بدينها «اليهودية» وأن تقبل بإمامة محمد وولايته للمجتمع، أو تتظاهر بذلك وأن تتعايش كسابق عهدها في المجتمع اليثربي ولكن في ظل إمامة محمد وولايته وهكذا كان، فكافة اليهود من سكان يثرب أظهروا رضاهم وقبولهم بولاية النبي وإمامته مع الاحتفاظ بدينهم، ولم يتطرق النبي لنواياهم وبواطنهم ولم يجبرهم على اعتناق الإسلام، لأن الإكراه في الدين غير وارد في شرع الله، وتقبل النبي رضاهم بإمامته وولايته، وقرارهم بالإستمرار بالتعايش مع النبي الإمام والولي.

التعاقد الخطي والعقد الاجتماعي

كانت مؤسسة البطن، أو القبيلة هي المؤسسة التي تمنح الإنتماء والحماية لأفرادها. كافة الأفراد الذين كانوا منتمين لبطون الأوس والخزرج آمنوا بمحمد كرسول وكنبي، وبالإسلام كدين، أو تظاهروا بهذا الإيمان، وأعلنوا قبولهم ورضاهم بإمامة محمد وولايته للمجتمع الجديد، أو تظاهروا بهذا القبول والرضى، أما اليهود فقد أعلنوا تمسكهم بالدين اليهودي، وبنفس الوقت أعلنوا قبولهم ورضاهم بإمامة محمد وولايته للمجتمع الجديد، إمعاناً من الرسول بالتأكيد على ظاهرة الرضى والقبول، وإشراكاً للناس بصنع القرار وضع مسودة إتفاق، أو مشروع تعاقد اجتماعي، أو دستور خطي ومكتوب وافقت عليه كل المؤسسات «بطون وقبائل يثرب» ومن مواد هذا الاتفاق، أن أهل يثرب أمة من دون الناس وأن الرسول هو الحاكم والحكم، أو الولي والإمام، وقد احترم الرسول كافة

التحالفات السابقة بين هذه المؤسسات، واتفق أطراف التعاقد على أن بطون قريش عدوة للجميع، ولا ينبغي لأحد أن يجيرها ولا أن ينصرها.. الخ. بمعنى أن رسول الله قد حرص على تسجيل الرضى والقبول بإمامته خطياً، ووقع الجميع على ذلك، وقد فصلنا ذلك في كتابنا المواجهة[1]. مما يعنى أن الرسول، أصر على فكرة الرضى والإقتناع، وإقامة الدولة بعقد اجتماعي حقيقي بين الإمام والولي الذي اختاره الله وبين الأمة التي قبلت بالاختيار والتولية الإلهية، وهذا الإصرار على الرضى والقبول اختفى نهائياً من المسرح السياسي بعد وفاة النبي، ولم يحفل به إلا الإمام علي عندما تولى الخلافة وفق مقاييس الخلفاء المتغلبين، فقد أصر على أن يبايعه الناس في المسجد وعلناً، وبغير ذلك فإنه لن يتولى إمامة الناس وولايتهم ولن يوافق على قيادته لهم.

الركن الرابع: المنظومة الحقوقية أو القانون النافذ

لقد قبل الجميع أو تظاهروا بالقبول برضاهم واختيارهم وبدون إكراه على القبول بإمامة وولاية محمد أو قيادته للمجتمع، وقبلوا بأن ما يشجر بينهم من خلاف مرده لله ولرسوله، مما يعني أن الجميع قبلوا بإمامة محمد ومرجعيته أو قبلوا به كسلطة، وقبلوا بالقرآن الكريم وبفهم النبي لهذا القرآن «سنته» كقانون نافذ على الجميع أي أن الله اختار محمداً الأعلم والأفهم بالدين والأفضل، والأقرب إلى الله ليكون الإمام والولي والمرجع، ونزل أوامره ونواهيه «أمرنا» لتكون القانون النافذ في المجتمع، فجاء المجتمع بمحض اختياره ورضاه التام واقتناعه المؤكد فقبل الإمام والولي ورضي به، كقائد ومرجع أوحد، وقبل الأوامر الإلهية كقانون نافذ، وتمت المبايعة بين الإمام والولي وبين أفراد المجتمع على ذلك. وهذا إصرار عجيب على مبدأ الرضى والقبول والقناعة لا نجد له مثيلاً في الشرائع البشرية قاطبة.

---

(١) راجع مراجع هذه الوثيقة أو الدستور في سيرة ابن هشام ١/ ٥٠١ ومجموعة الوثائق السياسية محمد حميدالله ص ١٥، والرسول العربي وفن الحرب لمصطفى طلاس نقلاً عن سيرة ابن إسحاق، ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ لظافر القاسمي ص٣١ وما بعدها.

الركن الخامس: إقليم دولة الإمام أو الولي

يثرب وما حولها كانت هي بقعة الأرض الأولى التي قامت عليها دولة النبي، فهي بمثابة إقليم الدولة، ثم توسع هذا الإقليم حتى شمل أرض الجزيرة العربية بحدودها الطبيعية.

والخلاصة

أنه بعد هجرة النبي تكونت دولة حقيقية بالمعنى الدستوري المعاصر، إمامها ووليها محمد رسول الله، وقانونها أوامر الله «يهدون بأمرنا» وشعبها سكان يثرب وما حولها، وإقليمها أرض يثرب وما حولها، وأن هذه الدولة نشأت بالرضى والقناعة وبمبايعة، وبموجب تعاقدات وتعهدات شفهية وخطية، وهذه ظاهرة عجيبة من حيث الإصرار على مبدأ الرضا والقبول بغير ضغط ولا إكراه ولا إرهاب.

* * *

الفصل الثاني

تغيُّر المعادلة السياسية وموازين القوى

قبل قيام الدولة الإسلامية في يثرب، وتسلُّم النبي لإمامتها كانت الكلمة العليا للشرك والكفر، وكانت دول الكفر، وأئمة الكفر يتقاسمون السيادة على الكرة الأرضية، أو يتنازعون على هذه السيادة، في ما بينهم. ولم يكن هنالك من يدعو إلى الله علناً، فالدعوة إلى الله، أو الدعوة إلى الحكم بما أمر الله، كانت معدومة، أو مخالفة للنظام العالمي السائد آنذاك. كان من غير المتصوّر ظهور إمام شرعي يمثل التيار الإلهي، أو قيام دولة تتبنى القوانين والنظم الإلهية، فالمسلمون وعلى رأسهم إمامهم محمد ﷺ كانوا بمثابة مواطنين أو رعايا يعيشون تحت حكم إمام كفر غير شرعي ويكتوون بنار عسفه وإرهابه وتغلبه وصده عن سبيل الله.

ولكن ظهور الإمام الشرعي، وجهره بالدعوة، ونجاحه بتحويل الدعوة إلى دولة، وبناء الدولة الإسلامية في يثرب غيّر المعادلة السياسية عند العرب خاصة وفي العالم عامة، وقلب موازين القوى تماماً، فقد وقفت الدعوة الإسلامية بمواجهة دعوة الكفر، ووُجد إمام شرعي بمواجهة أئمة الكفر غير الشرعيين وصار للمسلمين دولة يتجمعون في إقليمها، وتمنحهم الهوية والانتماء والحماية، وأعطيت الأوامر الإلهية فرصة لتكون القانون النافذ للمجتمع، مع ما يستتبع ذلك من إيجاد نموذج متحرك للحكم الشرعي، والإمامة الشرعية، والمواطنة الشرعية. وقبل ذلك كان سادة المجتمع العالمي والمجتمعات الإقليمية يتصورون أن دعاوى الكفر وحكم الكفر، وأئمة الكفر، ودول الكفر قدر أحادي لا مفر منه ولا محيد عنه، وقد وُجد ليفرض سلطانه على الأرض، ورسخت وسائل إعلام الكفر المملوكة لأئمة الكفر بأنه لا وجود لإمام شرعي إلهي، ولا لحكم شرعي إلهي إلا في عالم المثل والأوهام.

وجاء قيام الدولة الإسلامية ليعيد التوازن إلى ثنائية العالم وليفضح إعلام الكفر واستغفاله للعقل البشري، فقد كان الخير بمواجهة الشر، والحق بمواجهة الباطل، وللخير نظمه وللشر نظمه أيضاً، وللحق مظهره، وللباطل مظاهره، فمن نظم الشر ومظاهره وجود أئمة كفر، ونظام كفر، وقوانين كفر تسوق الناس بالقهر والتغلب وتفرض إرادتها على إرادتهم، ومن نظام الخير ومظاهر الحق وجود إمام شرعي يمثل السمو البشري، ويبشر بالحكم الإلهي، ويطبق الأوامر الإلهية، ويهدي بهديها، يسوس الناس بالرضا والقناعة، ويخضع وإياهم للأوامر الإلهية التي يهتدون بهديها. فوجود محمد الإمام وقيام دولته، وضع الناس أمام خيارين وترك لهم الحرية ليبقوا في ظلمات أئمة الكفر بمحض حريتهم واختيارهم ورضاهم، أو ليقبلوا بإمامة محمد والأئمة الشرعيين من بعده بمحض حريتهم واختيارهم ورضاهم وبدون إكراه. وقبل الإعلان عن إمامة محمد وقبل قيام دولته لم يك أمام الناس أي خيار غير القبول بالواقع المفروض بالقوة والقهر.

موقف أئمة الكفر من إمامة محمد رسول الله ومن قيام الدولة الإسلامية

مما لا شك فيه أن جميع أئمة الكفر في الأرض قد سمعوا بنبوة محمد وبظهور إمامته، وبقيام كيانه السياسي في يثرب وما حولها وسمعوا بتشكيكه بشرعية حكم أئمة الكفر في كل مكان على الكرة الأرضية، وسمعوا بإعلانات محمد المتوالية بأنه رسول الله، ورحمته إلى الناس كافة، وأنه الإمام الشرعي للجنس البشري كله، وأن مهمته تنصب على إخراج الناس جميعاً من الظلمات إلى النور. ومن المؤكد أن هذه الأنباء والإعلانات قد أزعجتهم، ولكنهم تظاهروا بعدم الإكتراث ولم يحمل أئمة الكفر العمالقة: كسرى وقيصر أمر محمد على محمل الجد، وقد استبعدوا نجاحه وقدروا أن الأمر لا يعدو كونه صراعاً داخلياً بين قبائل العرب، وفي وقتٍ يطول أو يقصر ستحسم قبائل العرب هذا الصراع لصالحها.

أئمة بطون قريش تبرعوا بمحاربة محمد نيابة عن أئمة الكفر

عندما أقام النبي كيانه السياسي في يثرب، كانت هنالك كيانات سياسية هزيلة منتشرة في جزيرة العرب، يقود كل كيان من تلك الكيانات إمام مشرك وغير شرعي، ولكن أهم هذه الكيانات إطلاقاً الكيان الذي كان قائماً بمكة بقيادة مجموعة متحالفة من أئمة الكفر، وهم زعماء بطون قريش، ونظراً لمركز زعامة بطون قريش ونفوذها عند العرب، بوصفهم حماة البيت الحرام وسدنته وجيرانه، ولأن هذه البطون قد تطرفت بعداوتها لمحمد وآله، ولأنها ترفض أن يكون النبي من بني هاشم، وترفض أن يأتي الدين الجديد عن طريق رجل من بني هاشم، ولأن محمداً والهاشميين من قريش، ولأن أهل مكة أعلم بشعابها، لكل هذه الأسباب تولت بطون قريش قيادة الجبهة المعادية لمحمد ولآل محمد ولمن والاهم، وللدين الذي جاء به محمد.

وفي هذا السياق بدأت زعامة بطون قريش بتكوين تحالفات مع الكيانات العربية المشركة، ومع أئمة المشركين العرب، للتصدي بالقوة لكيان يثرب وإمامه الشرعي محمد رسول الله. وغني عن البيان أنّ زعامة بطون قريش كانت أكثر الكيانات نشاطاً واندفاعاً بمعاداة محمد وأشدهم اهتماماً بتخريب كيانه السياسي، وإسقاط نظام حكمه الشرعي. أما بقية الكيانات العربية فلم تكن لديها الحوافز الكافية لمعاداة محمد وآله، إنما اندفعت مع موجة العداء مجاملة لزعامة بطون قريش، ومن هنا رأيناها تحارب أو تشترك بالحرب رمزياً أو طمعاً بمغنم إذا حاربت بطون قريش، وتسالم إذا سالمت البطون، وتستسلم عند الإقتضاء إذا استسلمت زعامة البطون، والأبعد من ذلك أنها تسلم وتدخل بالدين الجديد أو تتظاهر بدخوله إذا أسلمت البطون أو تظاهرت بالإسلام كما حدث فعلاً بالواقع التاريخي.

والخلاصة أن زعامة بطون قريش قد تبرعت بمعاداة محمد وآله ومن والاهم والتصدي للدين الجديد نيابة عن أئمة الكفر في الأرض.

فأطلقت وسائل إعلامها الفاجر ضد محمد وآله وآذتهم ومن والاهم، وحاصرتهم، وقاطعتهم، وقاومتهم بكل أساليب المقاومة، وفكرت بقتل النبي

فعلاً، ولما قرر النبي أن يهاجر من مكة فراراً بدينه تآمرت كل البطون على قتله وشرعت بالقتل فعلاً، ولم تتمكن من ذلك لأسباب خارجة عن إرادتها، ولما نجا النبي من مؤامرة القتل طاردته بكل وسائل المطاردة وخصصت الجوائز لمن يقبض عليه حياً أو ميتاً، فنجا النبي من المطاردة كما نجا من القتل، ووصل سالماً إلى يثرب، ونجح بإقامة كيانه السياسي الإسلامي فيها، ولكن زعامة بطون قريش لم تعترف بوجود محمد، وتجاهلت التطورات التي حدثت تماماً ورفضت مفاوضته أو التحدث معه أو الإعتراف بشرعية وجوده. وطمعاً بالقضاء عليه جيشت الجيوش وحاربته في بدر، وفي أحد وفي الخندق، وطوال ٢٣ عاماً وزعامة بطون قريش تقاوم بكل فنون المقاومة، وتؤذي النبي وآله بكل وسائل الإيذاء وتحاربهم بكل طرق الحرب.

ونتيجة حروبها العدوانية التي شنتها على النبي وآله، قتل حمزة وعلي بن أبي طالب صناديد قريش فجن جنونها وجمعت مع الحسد والكراهية لمحمد ولآله الحقد عليهم، فاتخذت من صديق محمد وآله عدواً لها، ومن عدو محمد وآله حبيباً لها كائناً من كان، انظر إلى قول أبي سفيان عندما خاطب نيابة عن بطون قريش الوفد اليهودي الذي جاء ليحالف البطون على عداوة محمد: «إن أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد»[١]، ولم تتوان زعامة بطون قريش من أن تمد يدها إلى الشيطان نفسه وتتحالف معه إذا أيقنت من كراهيته لمحمد ولآل محمد.

لقد تحالفت بطون قريش مع اليهود، ودخلت وإياهم الكعبة المشرفة وتعاهدوا فيها معاً وحلفوا بأن تكون الكلمة واحدة على هذا الرجل ـ أي محمد ـ ما بقي من بطون قريش ومن اليهود رجل[٢]، وكانت بطون قريش تسيِّر الوفود من وقت لآخر لتأليب العرب على عداوة محمد[٣]، بالوقت الذي كانت تتشدقفيه زعامة البطون القريشية بصلة الأرحام!!

(١) راجع المغازي للواقدي، ٢/ ٤٤٢.
(٢) راجع المغازي للواقدي، ٢/ ٤٤٢.
(٣) المصدر نفسه، ١/ ١٩٩ و٢/ ٤٤٣.

ولما أحيط بزعامة البطون، وحصرت في جزيرة من الشرك وأغلقت بوجهها كل الأبواب إلا باب الإسلام، استسلمت، وذكرهم الرسول المنتصر بأفاعيلهم، ثم قال: ماذا تظنون أني فاعل بكم؟ فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم،!! فقال النبي: لا تثريب عليكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء، فدخلوا الإسلام مكرهين، أو تظاهروا بدخوله، وقلوبهم مثقلة بالحقد على محمد وعلى آل محمد، والحسد لمحمد ولآل محمد [1]. وعبَّرت جويرية بنت أبي جهل عن الوضع النفسي للبطون لما سمعت الأذان: «قد لعمري رفع لك ذِكْرَك! أما الصلاة فسنصلي، والله لا نُحِبُّ من قَتَل الأحبّة أبداً»[2]، ولما سمع خالد بن أسيد الأذان قال: «الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع هذا». وقال الحارث بن هشام: «واثكلاه ليتني متُّ قبل هذا». وقال الحكم بن العاص: «والله إنه لحدث عظيم أن يصيح عبد بني جمح ـ يعني بلال ـ على بنيه أبي طلحة» وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أقول شيئاً، لو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصباء!! فنزل جبريل على النبي، وأخبره بما قال القوم[3].

هذه هي طبيعة إسلام بطون قريش، وهذا هو مفهومها للدين!!

على أي حال، لقد استسلمت بطون قريش، وعفا النبي عنهم، وتركهم طلقاء، لم يجبرهم على الدخول في الدين، أو القبول بإمامته، لقد اعتنقوا الدين أو تظاهروا باعتناقه، وقبلوا بإمامة النبي أو تظاهروا بقبوله، كل ذلك برضاهم ومحض اختيارهم وبدون إكراه، تماماً كحال منافقي يثرب وأصبحوا مواطنين في الدولة الإسلامية لهم كامل حقوق المواطنة، وأخفت بطون قريش مشاعرها الكارهة لمحمد وآله، والحاقدة عليهم.

وقبيل انتقال النبي إلى جوار ربه اتحد أبناء بطون قريش: مهاجرهم وطليقهم ضد الإمام، والولي من بعد النبي علي بن أبي طالب تماماً كما اتحدوا ضد النبي. وبعد وفاة النبي استولوا على منصب الإمامة أو الخلافة بالقوة والتغلب، وغصبوا

(١) المصدر نفسه، ٢/٨٣٦.
(٢) المصدر نفسه، ٢/٨٤٦.
(٣) المصدر نفسه، ٢/٨٤٦.

الإمام الشرعي حقه بالإمامة والخلافة، وادعت البطون أنها الأولى بمحمد، لأنّه من بطون قريش، وقريش كلها قرابة له، لا فرق بين هاشمي وغير هاشمي، واحتجت البطون بأن النبي من بني هاشم، ولا ينبغي أن يكون الخليفة من بني هاشم فيجمع الهاشميون النبوة والملك معاً، والعدل يقضي بتوزيع الشرف، فتكون النبوة في بني هاشم، وتكون الخلافة في البطون تتداولها في ما بينها.

لماذا اتحدت بطون قريش على معاداة محمد ورفض نبوته وإمامته؟

كانت بطون قريش تسمي محمداً قبل النبوة بالأمين، وتعترف بحكمته، فقد حل مشكلة وضع الحجر الأسود بأيْسَر الطرق[1]، وأنقذ البطون من حرب أهلية. ووالد محمد، عبدالله، كان من أنهد فتية قريش وأكثرهم أدباً وأدمثهم خلقاً، وجده عبد المطلب كان سيد قريش ووليها وحكيمها بغير منازع[2] وهاشم بن عبد مناف كان تاج قريش وناصيتها[3]. بمعنى أن محمداً شخصياً لا غبار عليه فهو سيد سليل أسياد!!

ومع هذا فما أن أعلن محمد أنباء النبوة والرسالة والكتاب حتى وقفت بطون قريش الـ٢٣ وقفة رجل واحد، وأعلنت بلسان واحد رفضها المطلق لنبوة محمد ورسالته، ولما نجح بإقامة الكيان السياسي في يثرب رفضت بطون قريش الـ٢٣ إمامة محمد وقاومته وحاربته بكل الوسائل لإفشال النبوة والرسالة وإسقاط الإمامة فما هو السر، وما هي أسباب ذلك كله؟

١ ـ الصيغة السياسية الجاهلية:

ورثت بطون قريش الـ٢٥ صيغة سياسية جاهلية قائمة على اقتسام مناصب الشرف بين البطون، وقائمة على التوازن بين هذه البطون، وقد كرست هذه الصيغة

---

(١) راجع تاريخ الطبري، ٢/ ٤١.
(٢) راجع السيرة الحلبية ١/ ٤، وتاريخ الطبري ١٧٩/٢، والطبقات لابن سعد ١/ ٨٣ ـ ٨٥.
(٣) راجع تاريخ الطبري ١٧٩/٢. والطبقات لابن سعد ٧٩/١ وما بعدها.

مبدأ لا غالب ولا مغلوب، وعندما أعلن محمد الهاشمي نبوته ورسالته وانحاز له البطنان الهاشمي والمطَّلبي، جن جنون بطون قريش الـ٢٣، وفسرت النبوة والرسالة على أنها مؤامرة هاشمية مطَّلبية على الصيغة السياسية الجاهلية، لتعديلها لصالح هذين البطنين، واعتبرت بطون قريش النبوة الهاشمية إخلالاً خطيراً بمبدأ توازن وتعادل القوى بين البطون، لذلك أقنعت نفسها بأن اتحادها ضد محمد كان للدفاع عن وجودها وحقوقها السياسية في وجه المطامع الهاشمية!!

٢ ـ المنافسة بين البطون وكراهية التميز الهاشمي:

كانت المنافسة على الشرف، بين بطون قريش، جبلة فيها، ومظهراً دائماً من مظاهر وجود ها، لقد طبعت على المنافسة، فما من عمل يأتي به بطن، إلا وتأتي البطون الأخرى بعمل مشابهة له، طمعاً بالتوازن والتعادل بموازين قواها، وكانت البطون ترقب بحذر شديد تميز المشيخة الهاشمية وحكمتها وكرمها، وتحاول مشيخات البطون أن تقلدها، وتأتي بمثلها، أو تتصنع الإتيان بمثلها كتصنع أمية أن يأتي بمثل هاشم وما نجم عن هذا التصنع من منافرة وجلاء[1]. وأعلن محمد أنه نبي الله ورسوله!! فكيف تعمل بطون قريش بهذه الحالة!! وكيف يمكنها الإتيان بمثل النبوة الهاشمية،!! وهكذا سينفرد الهاشميون ويتميزون عن بطون قريش بشرف النبوة، ويتقدمون بهذا الشرف بدون جهد منهم ولا طاقة، وسيتكرس التميز الهاشمي على حساب البطون، وستقف البطون عاجزة عن الإتيان بمثل النبوة، ومن هنا فقدت بطون قريش الـ٢٣ رشدها تماماً أمام شرف معجز!! لذلك صبت كل طاقاتها على إلغاء النبوة الهاشمية وتفشيلها.

٣ ـ الحسد:

الحسد مرض خبيث، وقد أصيبت به بطون قريش يوم أعلن محمد أنباء النبوة والرسالة، ولم ينج من هذا المرض إلا البطنان الهاشمي والمطلبي، لقد حسدت بطون قريش محمداً وأهل بيته خاصة، والبطن الهاشمي عامة، فضل النبوة

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد، ١/٧٦، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام، ص ١٧٢ وما بعدها.

وشرف الرسالة فمحمد وأهل بيته هم المحسودون[1] ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ الناسَ على ما آتاهُمُ اللهُ من فَضْلِهِ﴾[النساء/ ٥٤].

وقد أشار ابن عباس إلى ظاهرة الحسد تلك في حواره مع الخليفة الثاني[2]. والخلاصة أن من أبرز الأسباب التي دفعت بطون قريش الـ٢٣ للوقوف وقفة رجل واحد ضد محمد وآل هو الحسد بأن يكون النبي من بني هاشم!! فكأنهم يقسمون رحمة الله!

٤ ـ الحقد على محمد وآله:

ومن الأسباب التي دفعت بطون قريش الـ٢٣، للمضي قدماً في معاداتها لمحمد وآل محمد، ومعارضتها لإمامتهم، الحقد الذي استقر في قلوب أبناء البطون على محمد وآل محمد، وتفصيل ذلك أن علياً بن أبي طالب ابن عم النبي والولي من بعده، والحمزة بن عبد المطلب عم النبي اشتركا بقتل صناديد بطون قريش في معركة بدر خاصة، فما من بطن من بطون قريش إلا وكان فيه قتيل أو قتلى قتله عم النبي، أو ابن عمه أو اشتركا بقتله، لقد لفتت طريقة علي بن أبي طالب بالقتال أنظار أهل الأرض وأهل السماء فنادى ملك من السماء يوم بدر: «لا سيف إلا ذوالفقار ولا فتى إلا علي»[3]. وقتل علي وحمزة في بدر نصف ما قتل من المشركين[4]، ويوم أحد قاتل العم وابن العم بكفاءة تفوق التصوّر، وغدرت بطون قريش بالعم حمزة فقتلته، وبقي ابن العم يقاتل دفاعاً عن رسول الله حتى قتل

---

(١) راجع شواهد التنزيل للحاكم الحنفي الحسكاني، ١/ ١٤٣، حديث ١٩٥ ـ ١٩٨، ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي، ص ٤٦٧ حديث ٣١٤ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي، ص ١٤٢ و٣٢٨ و٣٥٧ والصواعق المحرقة لابن حجر الشافعي، ص ١٥٠.

(٢) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد، ٣/ ٧٨٦ وتاريخ الطبري، ٤/ ٢٢٣ وتاريخ ابن الأثير، ٣/ ٦٣.

(٣) راجع الرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٧٢، والمرقاة لعلي بن سلطان ٥/ ٥٦٧، وكنز العمال للمتقي الهندي ٣/ ١٥٤.

(٤) راجع المغازي للواقدي معركة بدر ١/ ٩٢ وما بعدها.

حملة لواء المشركين الثمانية، وكلهم من قريش وعندما حمل اللواء عبد لهم قتله الإمام علي[1]، وفي وقت الأحزاب قتل علي بن أبي طالب عمرو بن ود، أقوى وأشجع رجال بطون قريش، وقد ثمّن رسول الله مبارزة علي لعمرو بن ود بقوله «لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة»[2]، وبالفعل لقد كفت هذه المبارزة المؤمنين القتال، لذلك كان مسعود يقرأ ﴿وكفىٰ اللهُ المؤمنينَ القتالَ ـ بعلي ـ﴾[3].

بقي أن نقول إن رسول الله، وعمه الحمزة، وابن عمه علي لم يقتلوا المشركين بطراً ولا حباً بالقتل، إنما قتلوا من قتلوا من المشركين بأمر الله، وجهاداً في سبيله، وإعزازاً بالدين، ودفاعاً عن النفس، ففي كل الحالات التي وقع فيها قتل، كانت بطون قريش هي المعتدي، وهي الغازية، وهي البادئة بالعدوان، فالدفاع عن النفس أمر مشروع أجازته كافة الشرائع الإلهية والوضعية.

ومهما يكن فإن بطون قريش لا تفهم هذا المنطق، وكلّ ما تفهمه أن عم النبي الحمزة، وابن عمه علي بن أبي طالب، وكلاهما من بني هاشم قد وتراها بأحب أبناء البطون إليها، فيتموا الأطفال، ورملوا النساء، وأن محمداً بن عبدالله الهاشمي كان هو السبب في كل هذا القتل والدمار الذي لحق بها، ومن هنا صبت كل حقدها الأسود على محمد وحمزة وعلي بن أبي طالب خاصة، وعلى البطن الهاشمي عامة وعلى كل من والاهم وأحبهم!.

---

(١) راجع سيرة ابن هشام ٣/ ١٣٤، والرياض النضرة للطبري ٢/ ١٧٢، ومجمع الزوائد للهيثمي ٦/ ١١٤.

(٢) راجع المستدرك على الصحيحين ٢/ ٣٢، برواية سفيان الثوري وتاريخ بغداد ١٣/ ١٩. وفضائل الخمسة ٢/ ٣٥٧ ـ ٣٦٠.

(٣) راجع الدر المنثور للسيوطي في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللهُ الذينَ كفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لم يَنالُوا خيراً وكفىٰ اللهُ المؤمنينَ القتالَ﴾ ـ سورة الأحزاب/ ٢٥ ـ.

طبيعة حقد البطون على محمد وآل محمد

انظر إلى قول أبي سفيان، وهو يخاطب الوفد اليهودي نيابة عن بطون قريش الـ٢٣: «إن أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد»[١] لقد تعاهدت بطون قريش مع اليهود وحلفت بالله داخل الكعبة بأن تكون الكلمة واحدة على محمد ما بقي من بطون قريش ومن اليهود رجل واحد»[٢]! وبطون قريش تعرف معنى التعاهد والحلف. وانظر إلى قول هند بنت عتبة وأم معاوية وزوجة أبي سفيان: «لو أعلم أن الحزن يذهب من قلبي بكيت، ولكن لا يذهبه إلا أن أرى ثأري من قتلة الأحبة»[٣]. ومن هم الذين قتلوا أحبة هند؟ هم النبي، وحمزة وعلي! وهند هذه لا تكتفي بقتل حمزة ولو بالغدر إنما تمثل به وتقطع أذنيه، وتشق بطنه، وتحاول أن تأكل كبده!

وانظر إلى قول أبي سفيان: «وإني لأنا الموتور الثائر قُتل ابني حنظلة وسادة أهل الوادي..»[٤] ولم يختلف ما في النفوس كثيراً حتى بعد أن أسلمت بطون قريش أو تظاهرت بإسلامها. انظر إلى قول جويرية بنت أبي جهل لما سمعت الأذان في مكة: «قد لعمري رفع لك ذكرك، أما الصلاة فسنصلي، والله لا نحب من قتل الأحبة أبداً»[٥]. ولم ينج من تأثير هذه الحالة النفسية حتى أبناء البطون الذين أسلموا وهاجروا، لقد طلب النبي من أصحابه في معركة بدر أن لا يتعرضوا لأحد من بني هاشم لأنهم قد أكرهوا على الخروج. سمع الصحابي أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة قول النبي فقال عفوياً، وبتصرف لا شعوري: «أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا، ونترك العباس عم النبي والله لئن لقيته لألحمنه السيف»[٦]. صحيح أن حذيفة على دين محمد ويحارب معه، ولكن من غير الممكن عقلاً أن

---

(١) راجع المغازي للواقدي ٢/ ٤٤٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه، ١/ ١٢٤.
(٤) المصدر نفسه، ١/ ١٢٥.
(٥) المصدر السابق، ٢/ ٨٤٦.
(٦) راجع تاريخ الطبري، ٢/ ٢٨٢.

يموت أبوه وأخوه وعمه وسادات بني أمية أمامه ولا يكون موتهم غصة في حلقه، قد يفارق الدنيا، ولكن لن تفارقه هذه الغصة!!

وانظر إلى قول عمر بن الخطاب لسعيد بن العاص بن سعيد الذي قتله علي «إني لأراك معرضاً عني تظن أني قتلت أباك يوم بدر... والله ما قتلته..»[1] فعمر ابن الخطاب يظن أن إعراض سعيد عنه يعود إلى اعتقاده بأنه قتل أباه في بدر. لذلك هو يبرىء ساحته، ويذكر ابن المقتول بطريقة ذكية بأنه لم يقتل أباه إنما قاتله هو علي بن أبي طالب، وهذا التعريض لا يصدر عن رجل من عامة الناس إنّما يصدر عن خليفة المسلمين بعد عشرين سنة من وقعة بدر وعندما استولى معاوية على منصب الخلافة بالقوة واستقر حكمه كبّر يوماً بالخضراء، فكبر أهل المسجد بتكبيرة أهل الخضراء، فسأله سائل ما هذا الذي بلغك فسررت به حتى كبرت؟ فقال معاوية: موت الحسن بن علي[2].

وعندما جيء برأس الحسين ورؤوس الطيبين من أهل بيت النبوة إلى يزيد بن معاوية بعد مذبحة كربلاء، ووضعت الرؤوس بين يديه تمثل بقول الشاعر:

قـد قتلنـا القـوم مـن سـاداتهـم ... وعـدلنـا ميـل بـدر فـاعتـدل

وأضاف:

لسـت مـن خنـدف إن لـم أنتقـم ... مـن بنـي أحمـد مـا كـان فعـل

وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد[3] إن يزيداً قد قال أيضاً:

لعبـت هـاشـم بـالملـك فـلا ... ملـك جـاء ولا وحـي نـزل

تلك هي طبيعة النفوس الكارهة لمحمد ولآل محمد ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ، وإِنْ تُصِبكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها﴾ [آل عمران/ ١٢٠]. فالخلافة وإمارة المؤمنين لم تُغيِّرا معاوية، ولم تغيِّرا ابنه ولم يغيرهما إسلامهما، ولم تهن

(١) راجع المغازي للواقدي، ١/ ٩٢.
(٢) راجع مروج الذهب للمسعودي، ٤٧٨/٢.
(٣) راجع العقد الفريد ٤/ ٣٩٠، وابن كثير في تاريخه ٨/ ٢٢٤.

مشاعرهما الحاقدة مع طول الأمد إنما عبرا عن حقيقة هذه المشاعر، وأظهرا ما كانا يحاولان إخفاءه.

أسوأ جنين

بانتهاء معركة بدر حملت نفوس أبناء البطون بأسوء جنين عرفته الخليقة، وهو الحقد، لقد امتلأت نفوس أبناء البطون بالحقد الأسود على محمد وآله، وظل هذا الحقد في نفوسهم ولم يفارقهم لحظة قط، وهكذا جمعت بطون قريش مع الحسد لمحمد وآله، الحقد الأسود على محمد وآله، وأنّى لأي دين أن يقتلع هذا الثنائي القذر من النفس البشرية، كيف يمكن لأبي سفيان أن يحب علياً بن أبي طالب وقد قتل ابنه البكر حنظلة وعشرة من أبناء عمومته!! وكيف يمكن لمعاوية بن أبي سفيان أو لأخيه يزيد أن يحب علياً، وقد قتل أخاه وخاله وابن خاله، وجده، وشقيق جده وستة آخرين من أبناء عمومته، وكيف يمكن لخالد بن الوليد أن يحب من قتل أباه وسادات بني مخزوم والمغيرة[1]، وكيف يمكن لعمرو بن العاص وعثمان بن عفان والوليد بن عتبة، والحكم بن العاص أن يحبوا قتلة آبائهم وبني عمومتهم!! كيف يمكن لعمر بن الخطاب أن يحب من قتل خاله شقيق أمه!!

يسهل التصوّر أن يحبوا النبي محمداً، لأنّهم لن يستفيدوا دنيوياً من الإسلام بدون حب النبي أو التظاهر بحبه، ويصعب التصوّر بأن يحبوا محمداً وآل محمد!! لقد لاحقهم الوتر وأورثوه لذرياتهم، وكتب على آل محمد طوال التاريخ أن يدفعوا ضريبة عالية لحسن إسلامهم وصدق انتمائهم للنبي.

قد يقول قائل: الإسلام يجب ما قبله، هذا صحيح على مستوى الحساب الإلهي، ولكن النفس البشرية ليست زراً كهربائياً تطفىء وتضيء بحركة! إنها عالم من الانفعالات، إذ يتعذر عملياً على الإنسان أن يحب ويوالي الذي قتل ابنه أو أباه أو أخاه أو جده أو ابن أخيه أو عمه أو ابن عمه أو خاله أو ابن خاله أو حتى قريبه.

---

(١) راجع المغازي للواقدي، ١/١٤٩ ـ ١٥٠.

إن ذلك فوق طاقة النفس البشرية، صحيح أن الذين قتلوهم قتلوهم على الإيمان، وجهاداً في سبيل الله، ودفاعاً مشروعاً عن النفس، وصحيح أن عنوان الإيمان موالاة الله ورسوله ومعاداة أعدائهما حتى ولو كانوا الآباء والأبناء والأخوة والعشيرة، لكن هذا كله لا يمنع ولا يوقف نظام انفعالات النفس البشرية وثورة أشجانها، فمحمد هو الآمر، وعلي بن أبي طالب وحمزة هما المنفذان اللذان نكلا بالبطون، والهاشميون هم المطلوبون والمطالبون طوال التاريخ. هذا هو فهم البطون عملياً. وهذا هو البلاء المبين. لقد عالجنا في كتابنا المواجهة هذا الموضوع باستفاضة تامة.

البطون القريشية الأكثر حقداً على محمد وآله

بطون قريش الـ٢٣ رفضت النبوة الهاشمية، وكرهت التميز الهاشمي، وحقدت على محمد وحمزة وعلي خاصة، وعلى بني هاشم عامة، ولكن أكثر هذه البطون الـ٢٣ حقداً على محمد وعلى آل محمد هم بنو أمية، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم. قال رسول الله ﷺ «إن أشد قومنا لنا بغضاً، بنو أمية، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم» رواه الحاكم وأبو نعيم[١]، هذا النص علاوة على أنه صادر ممن لا ينطق عن الهوى، فهو قراءة متعمقة لوقائع التاريخ، فأكثر قتلى بدر المشركين كانوا من هذه البطون الثلاثة، والمتنافسون على زعامة بطون قريش هم سادات هذه البطون الثلاثة، وبمعايير البطون القريشية فإن هذه البطون الثلاثة هي الأكثر تضرراً من النبوة الهاشمية، ومن إمامة محمد رسول الله، وكان لأبناء هذه البطون الثلاثة في ما بعد دور بارز في صرف الأمر عن الأئمة الشرعيين من آل محمد واغتصاب حقهم بالإمامة.

ومع أن هذه البطون الثلاثة لا تطيب نفوس بعضها لبعض لأنها تطلب الغنيمة نفسها، وتركض خلف الطريدة نفسها إلا أن كراهيتهم وحسدهم وحقدهم على محمد وآله وحدهم، أظهرهم بمظهر الفريق الواحد طوال التاريخ، لقد قادت

---

(١) راجع كنز العمال ١١/١٦٩. ومعالم الفتن سعيد أيوب ١/٤٠٣.

هذه البطون حملات الإرهاب والإيذاء والمقاطعة والحصار لمحمد وآله طوال الآونة التي قضاها النبي في مكة قبل الهجرة، وخططت هذه البطون الثلاثة واشتركت بالمؤامرة على قتل النبي ليلة هجرته، وبعد أن نجا النبي من مؤامرة القتل قادت هذه البطون الثلاثة عملية مطاردة النبي، وخصصت الجوائز لمن يقبض عليه حياً أو ميتاً قبل وصوله إلى يثرب. وبعد الهجرة تولت هذه البطون مهام استنفار العرب وتأليبهم ضد محمد وآله، وإعداد الجيوش لحرب محمد، ثم قادت حرباً دموية مسلحة ضد محمد وآله ومن والاهم.

وبعد ٢٣ سنة من الصراع المرير بين هذه البطون وبين محمد، وعندما أفلست وأحيط بها، وأغلقت بوجهها جميع الأبواب أسلمت أو تظاهرت بالإسلام، فتبعتها بطون قريش بالإسلام أو بالتظاهر بالإسلام، واندست في صفوف الأمة الناشئة وبذرت بذور الانحراف والخروج على الشرعية الإلهية، ثم مدت يدها للمنافقين وتحالفت معهم واستولت على منصب الإمامة أو الخلافة من بعد النبي بالقوة والتغلب، وحالت بين الإمام الشرعي من بعد النبي علي بن أبي طالب وبين حقه بالإمامة والولاية.

وهكذا اتحدت البطون، بعد موت النبي، ضد علي وأهل بيت النبوة للحيلولة بين أهل بيت النبوة وبين حقهم الشرعي بالإمامة والولاية، تماماً كما اتحدت ضد النبي للحيلولة بينه وبين حقه الشرعي بالرسالة والإمامة.

الرجال الأشدُّ عداوة والأكثر حقداً على النبي وآله

يمكنك القول، وبكل ارتياح، بأن زعامة بطون قريش قد نجحت بحشد الأكثرية الساحقة من أبناء البطون وتعبئتهم بالعداوة ضد محمد وآله ومن والاهم، وجاءت الحرب العدوانية التي شنتها زعامة بطون قريش على محمد وآله وما رافقها من سقوط قتلى وفجيعة البطون بصناديدها لتعبىء نفوس الأكثرية الساحقة من أبناء البطون بالحقد على محمد وآله، على اعتبار أنهم قتلة الأحبة على تعبير هند أم معاوية وجويرية بنت أبي جهل!! فكانت معاداة محمد وآله ومن والاهم هي السمة

البارزة التي تميزالأكثرية الساحقة من أبناء البطون عن غيرهم من الناس!

ولكن أشد زعماء البطون وأبنائها عداوة لمحمد وآله وحقداً عليهم كانوا هم :

١ ـ **أبو سفيان**، صخر بن حرب بن أمية، قائد البطون رسمياً حسب الصيغة السياسية الجاهلية، فهو قائد قريش في غزواتها كما ورث ذلك عن أبيه وجده. لقد كان أبو سفيان وراء وحدة بطون قريش الـ٢٣ ضد محمد وبني هاشم، ووراء تحطيم وحدة بني عبد مناف؛ إذ استهوى بني نوفل وضمهم إلى جبهة الشرك، وكان وراء عمليات تعذيب المستضعفين من المسلمين، وهو مهندس الحصار والمقاطعة التي فرضتها البطون على محمد وبني هاشم، وهو الذي اتصل بزعامة الطائف ليستقبلوا محمداً أسوأ استقبال، وهو الذي خطط لإرسال وفد إلى النجاشي مزوداً بالهدايا لرد المهاجرين إلى الحبشة، وهو أحد المجتمعين في دار الندوة على الأقل والمتآمرين على قتل النبي ليلة هجرته، وهو وراء تشكيل فرقة لمطاردة النبي بعد نجاته من القتل، وقد حاول شخصياً أن يقتل النبي وفشلت محاولته[١]، وهو الذي أجج النار ضد محمد، وأرسل الوفود لتأليب العرب واستعدائهم على محمد، وجمع الجموع وأنفق ٤٠ أوقية ذهب واستأجر أحابيش بني كنانة لحرب النبي في أحد[٢] فهو قائد المشركين في أحد ولا خلاف على ذلك. وهو الذي تحالف مع اليهود وجمع الأحزاب وقادها وسار بهم إلى يثرب للقضاء على محمد واستئصاله، وعندما أراد رسول الله أن يؤدي العمرة كان أبو سفيان على رأس الذين صدّوه عن المسجد الحرام، وبالرغم من غناه وثروته إلا أنه قد عدا على دور المهاجرين من بني جحش بن رئات وباعها لعمرو بن علقمة[٣]، وفوق ذلك فقد قتل الحمزة وعلي بن أبي طالب ابنه حنظلة، وابن عمه ووالد زوجته عتبة بن ربيعة وابن عمه شيبة، وابن عتبة الوليد وثمانية من صناديد بني أمية، مما طبع البيت الأموي كله بطابع الحقد الدفين على محمد وآله، ووما هيَّأ

(١) راجع الطبقات لابن سعد ٢/ ٩٤.
(٢) راجع الغدير للأميني ١٠/ ١٠٧.
(٣) راجع سيرة إبن هشام، ٢/ ١١٧. وما بعدها.

أبا سفيان ليكون أحد أبرز أئمة الكفر الذين لا أيمان لهم. فما شر أتت به بطون قريش إلا وأبو سفيان أُسه وأساسه. وخلال المدة التي ترأس فيها أبو سفيان جبهة الشرك رمى الإسلام وبني الإسلام بكل سهم في كنانته، وحاربهم بكل وسائل الحرب وقاومهم بكل فنون المقاومة.

٢ ـ يزيد بن أبي سفيان، ٣ ـ معاوية بن أبي سفيان. ٤ ـ عتبة بن أبي سفيان: وقفوا مع أبيهم وقفة رجل واحد طوال ٢٣ سنة وقاوموا رسول الله ودين الإسلام، بكل وسائل المقاومة، واشتركوا مع أبيهم في كيده كله، وعندما حدثت الحرب حاربوا رسول الله، وعندما فاجأهم رسول الله، واستسلم أبو سفيان، لامَهُ أولاده وشجعوه على عدم الاستسلام، وتعجب معاوية من مهادنة أبيه ونسيانه لدم حنظلة وسادة أهل الوادي الذين قتلهم محمد وآله!! ولكن أبا سفيان كان أعقل وأبعد نظراً من أولاده فقد أدرك أنه لا طاقة له بجند الله، وأن الحرب مع محمد ومع الإسلام حرب طويلة، وليست محصورة بأسلوب أو أسلوبين وأن الدنيا أكبر من أهلها.

لعنهم رسول الله

ومن الطبيعي جداً أن يلعن رسول الله أبا سفيان وولده لكشف حقيقتهم أمام الأمة، ولقد «روى الإمام الحسن أن رسول الله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن، وعدد الإمام الحسن هذه المواطن»[1]، وكرر رسول الله لعن أبي سفيان في صلاة الصبح في الركعة الثانية. قال السيوطي: وأخرج أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير والبيهقي في الدلائل أن رسول الله قال يوم أحد: «اللهم العن أبا سفيان. . . »[2]. وأخرج نصر بن مزاحم عن البراء بن عازب، قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية فقال الرسول: «اللهم العن التابع والمتبوع، اللهم عليك بالأقيص فقال ابن البراء لأبيه: ومن الأقيص؟ قال: معاوية»[3] وأخرج نصر بن

(١) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد، ٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣.
(٢) راجع الدر المنثور، ٢/ ٧١.
(٣) راجع وقعة صفين لنصر بن مزاحم، ص ٢١٧.

مزاحم قال: «نظر رسول الله إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق فلما نظر إليهم رسول الله قال: «اللهم العن القائد والسائق والراكب. قال: قلنا أنت سمعت رسول الله؟ قال نعم: وإلا فصمتا أذناي كما عميتا عيناي»[١].

وقد شاعت حقيقة لعن رسول الله لأبي سفيان وبنيه. انظر إلى قول محمد بن أبي بكر لمعاوية «وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله، وتجهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان فيه القبائل»[٢]. .

والمعنى أن عامة المسلمين وخاصتهم كانوا يعلمون أن أبا سفيان كان قائداً لجبهة الشرك، وأن أولاده وسادات بني أمية كانوا أركان قيادته طوال حقبتيّ المواجهة على صعيدي الدعوة والدولة الإسلامية، وأنهم قد دخلوا في الإسلام مكرهين.

٥ ـ **الحكم بن العاص بن أمية**: وكان من أكثر الناس عداوة لرسول الله، وبفتح مكة صار أحد الطلقاء، ومع هذا لم يتوقف عن عداوة رسول الله فنفاه الرسول وبقي منفياً خلال حياة النبي، ولما آلت الخلافة لعثمان أعاده إلى المدينة معززاً مكرماً وزوج ابنيه مروان والحارث ابنتيه واتخذهم وزراء له، ولما مات الحكم حزن عليه الخليفة وضرب على قبره فسطاطاً، وقد لعن رسول الله الحكم بن العاص وما في صلبه[٣].

٦ ـ **الوليد بن عقبة بن معيط**: كان والده من أشد أعداء الرسول وقد قتله

---

(١) راجع وقعة صفين لنصر بن مزاحم، ص ٢٢٠،وآراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي ص ٧٤ ـ ٧٦.

(٢) راجع مروج الذهب للمسعودي ٢/٥٩. وكتاب صفين لنصر بن مزاحم، وشرح النهج لابن أبي الحديد، ١/٢٨٣، وجمهرة الرسائل، ١/٥٤٢.

(٣) راجع أنساب الأشراف ٥/٢٧، وأسد الغابة ٢/٣٤، والإصابة لابن حجر ١/٣٤٥، والمغازي للواقدي ١/١٤٧ ـ ١٤٨. وتاريخ اليعقوبي ٢/١٦٤.

رسول الله في بدر صبراً، وورث الوليد عداوة رسول الله وآله من أبيه، وهو طليق وقد لمع نجمه في خلافة عثمان حيث ولاه الكوفة، وهو فاسق بنص القرآن.

٧ ـ **عبدالله بن أبي سرح**: وهو الذي افترى على الله الكذب، وأباح الرسول دمه حتى ولو تعلق بأستار الكعبة، وهو من الطلقاء وقد اصطفاه عثمان وولاه ولاية مصر.

٨ ـ **عبدالله بن عامر الأموي**: وكان من المشهورين بعداوتهم للنبي ولأنه ابن خالة عثمان ولاه البصرة وعينه أميراً على فتوحات الشرق.

٩ ـ **خالد بن الوليد**: والده الوليد بن المغيرة أحد المستهزئين والمشهورين بعداوتهم للنبي وآله، وقد قتل الإمام علي الوليد في معركة بدر، وورث خالد كراهية رسول الله وآله من أبيه، ومن الطبيعي أن تمتلىء نفس خالد بالحقد على محمد وآله لأنهم قتلة أبيه وسادات بني المغيرة وبني مخزوم أبناء عمومته، وقد قلب موازين معركة أحد لصالح المشركين، ولما أيقن أن البطون ستهزم لا محالة دخل في الإسلام بعد صلح الحديبية، واحتفظ بمشاعره نحو آل محمد، فكره ولايتهم، وتحالف مع أبي بكر وعمر، وهو أحد قادة السرية التي كلفت بإحراق بيت فاطمة بنت محمد على من فيه، وعندما قاد معاوية جبهة العصيان ضد الإمام علي انظمّ أولاد خالد، وسادات بني المغيرة وبني مخزوم إلى معاوية، وهذا أمر طبيعي، فكلهم موتور وثائر، والنطق بالشهادتين لا يلغي مشاعر أبناء البطون الذين فطروا على المطالبة بالثأر وملاحقة من يعتبرونه قاتلاً وذريته وعشيرته.

١٠ ـ **عمرو بن العاص**: كان أبوه شانئاً لرسول الله، فأبوه هو القائل إنَّ محمداً أبتر، وأمه ليلى أشهر بغايا مكة وأرخصهم أجرة، وتبنى عمرو بن العاص مواقف أبيه، ولأنه طموح وذكي صار أحد أركان جبهة الشرك، فكان أحد مبعوثي البطون إلى النجاشي لرد المهاجرين المسلمين. واختياره لهذه المهمة دليل على عمق ولائه لقضية البطون. قال الحسن بن علي بن أبي طالب لعمرو بن العاص بحضور معاوية: «لقد قاتلت يا عمرو رسول الله في جميع المشاهد، وهجوته وكدته كيدك كله، وكنت من أشد الناس له تكذيباً وعداوة. . . ثم إنك تعلم وكل

هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله بسبعين بيتاً من الشعر فقال رسول الله: «اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة، فعليك إذاً من الله ما لا يحصى من اللعن..»[1]، وقد أسلم عمرو بن العاص بعد صلح الحديبية ووقف بعد موت رسول الله ضد علي وأهل بيت النبوة حتى أدركته المنية.

استسلام زعامة بطون قريش وقبولها بإمامة محمد ﷺ

المطلب الوحيد

كانت زعامة بطون قريش وعامتها على علم تام بمطلب محمد منها، ولترفض بطون قريش نبوته ورسالته ولتمتنع عن الدخول في دينه، فهذا شأنها، وأبناؤها أحرار، وكل ما يطلبه أن تخلي البطون بينه وبين الناس، فتقف على الحياد، وتوقف إعلامها الكاذب ضده، وتتوقف عن استعمال نفوذها الأدبي عند العرب لتصدهم عنه. وهذا كل ما يطلبه محمد من خاصة البطون وعامتها. ولم يتغير هذا المطلب عندما نجح بالهجرة وبإقامة الكيان السياسي الإسلامي في يثرب، وقد عبَّر عتبة بن ربيعة عن ذلك بقوله: «خلوا بين محمد وسائر العرب، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم وإن كان غير ذلك ألفاكم»[2] وقال الواقدي في مغازيه: أن عتبة قد قال لقومه: «إن يك محمد كاذباً يكفيكموه ذؤبان العرب، وإن يك ملكاً أكلتم في ملك ابن أخيكم»[3]، وقد سمع الرسول ما قاله عتبة فاستحسنه وأقره.

فرض الحياد على البطون

التجارة عماد الحياة وعصبها في مكة، وزعماء البطون تجار بالدرجة الأولى ومن التجارة جاءت ثروتهم، وبالثروة نشأ كيانهم وقام نفوذهم، وتجارة مكة تعتمد

---

(١) راجع تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي، ص١٤ وشرح النهج لعلامة المعتزلة إبن أبي الحديد، ٢/١٠٣. وجمهرة الخطب، ٢/١٢. والغدير للأميني، ٢/ ١٦٠.

(٢) راجع تاريخ الطبري، ٢/٢٧٩.

(٣) المغازي للواقدي، ١/٦٣.

على رحلتي الشتاء إلى اليمن، والصيف إلى بلاد الشام. ويثرب هي الطريق الوحيد لتجارة البطون إلى بلاد الشام، وهذا يعني أن طريق مكة التجاري الوحيد إلى بلاد الشام قد أصبح تحت سيطرة محمد تماماً، ومحمد من حيث المبدأ لا يعترض على المرور من بلاده، ولكنه يطالب بأن تخلي زعامة البطون بينه وبين العرب، وأن تقف على الحياد، فإن فعلت ذلك كان بإمكان قوافلها أن تمر وقت ما تشاء بسلام وأمان، وإن أبت بطون قريش ذلك فمعناه أنها عدوة له، ومحمد لن يسمح لعدوه باستعمال مرافق دولته. ومع هذا فإن كان لدى زعامة بطون قريش ما تقوله، فقلب محمد مفتوح، وآذانه مفتوحة، وهو على استعداد لأي حوار أو مفاوضات بأي زمان ومكان، فهو معني بتجنب العنف، وسفك الدماء، وتطبيع العلاقات بينه وبين زعامة البطون. ومطلب محمد شرعي ومنطقي وكذلك إجراؤه وفق أحدث النظم الدولية.

بطون قريش ترفض المطلب والتفاوض

أعلنت زعامة بطون قريش رفضها مجدداً لمطلب محمد، وأعلنت أنها ماضية بعداوتها له، وهي ترفض الاعتراف بوجوده، ولن تتفاوض معه، والأهم من ذلك أنها أعلنت بأنها ستمر بالقوة دون رضا محمد، وإن اعترضها ثانية، فإنها ستقرنه وأتباعه بالحبال، وتجعلهم عبرة للآخرين!! عندئذٍ أعلن محمد أن الطريق التجاري إلى بلاد الشام قد أصبح تحت سيطرته وأنه لن يسمح لتجارة البطون أن تمر إلا بعد أن تستجيب زعامتها لمطلبه، أو تدخل في مفاوضات معه.

المواجهة المحتومة

بعد إعلان الموقفين، صارت المواجهة محتومة، لقد اختارت زعامة البطون الصدام والعنف والاعتباط، ورفضت المفاوضة والتفاهم، والمنطق. ولم تعط نفسها فرصة للتراجع بل جهزت جيشاً بقيادة أبي جهل وقررت أن تغزو محمداً وتقرنه وأصحابه بالحبال كما أعلن ذلك قائد جيش البطون. وزحف جيشها بالفعل وسار قرابة ٣٠٠ ميل، وفي بدر كان محمد وأصحابه بالانتظار، وبدأت زعامة

البطون بالعدوان، واضطر النبي محمد لمواجهة هذا العدوان والدفاع عن نفسه، وانجلت معركة بدر عن مقتل قائد جيش البطون وصناديدها وأسر ٧٠ رجلاً منها وهزمت البطون هزيمة ساحقة، وفجعت بصناديدها، كانت قبل المعركة تكره محمداً وآله وتحسدهم، وبعد أن فجعت بصناديدها صارت تحقد على محمد وآله أيضاً.

بعد عودة البطون، اجتمعت في دار الندوة وعينت أبا سفيان قائداً لجيشها، وخصصت حمولة العير لتجهيز الجيش، واستأجرت الأحابيش، فجمعت ٣٠٠٠ مقاتل، وزحفت للإنتقام من محمد وآله وأصحابه فالتقت به في أحد، وتمكنت من هزيمة المسلمين الذين خالفوا أمر نبيهم وعصوه، وتصوّرت البطون أن محمداً قد انتهى بالفعل، وأن كيان يثرب في طريقه إلى التفكك والانهيار!

فتحالفت مع اليهود، وجمع الحليفان قرابة ١١٠٠٠ مقاتل وسارت الأحزاب إلى يثرب لإسقاط إمامة محمد، والقضاء على كيان يثرب، وفوجئت الأحزاب بالخندق، وفشلت كل محاولاتها لاجتيازه، وبالمبارزة قتل علي بن أبي طالب أقوى رجل في تحالف الأحزاب، وعصفت الريح، وأرسل الله جنوداً غير مرئية وانسحبت الأحزاب تجرُّ أذيال الخيبة والفشل، وخرج محمد من وقعة الأحزاب أكثر قوة، وكيانه أكثر تماسكاً.

عندئذٍ أدركت زعامة البطون أنَّ القضاء على محمد أمر مستحيل لقد واجه تجمعات اليهود وهزمهم تجمعاً بعد تجمع، وبسط سلطانه على الجزء الشمالي من جزيرة العرب، وإن بطون قريش لن تجمع أكثر من تجمع الأحزاب، ومع هذا فشل هذا التجمع وإن بطون قريش لن تقوى على احتمال حالة التعبئة العامة ومع إحكام محمد لسيطرته على طريق تجارة البطون إلى بلاد الشام. فمن المشكوك فيه أن تتمكن حتى من الصمود، لقد حارت في أمرها، فلم يعد أمامها من خيار غير المفاوضة مع محمد!! ولكن الموت أحبّ لزعامتها من أن ترسل لمحمد وتطلب مفاوضته!! إن كبرياءها يأنف ذلك!! وهي حائرة ماذا تفعل!!

في هذا المناخ النفسي الذي تعيشه زعامة البطون، قرر محمد رسول الله أن

يتوجه لأداء العمرة، فزيارة بيت الله الحرام حق لكل إنسان ولا تملك زعامة البطون أن تحول بين أي إنسان وحقه بزيارة بيت الله الحرام، وبيت الله الحرام يقع في مكة عاصمة زعامة البطون، وقد تكون العمرة مناسبة معقولة لإنقاذ البطون من حيرتها ودفعها للتفاوض، فإذا تفاوضت البطون مع محمد وعقدت معه معاهدة ما فستزول نهائياً حالة الحرب الباردة بين القبائل المترددة وبين محمد، وتفتح قنوات المفاوضات والعقل والمنطق التي أغلقتها البطون، وبالمفاوضات والعقل والمنطق يخلق أمام الناس مناخ حرية الاختيار. وبالفعل أمر النبي أصحابه بالمسير إلى مكة لأداء العمرة، وسار النبي ومعه أصحابه حتى وصلوا إلى منطقة الحديبية وسمعت زعامة البطون بذلك فجن جنونها، وصممت أن تحول بين محمد وأصحابه وبين أداء العمرة، وأحاط النبي زعامة البطون علماً وبكل الوسائل أنه ما جاء إلا لأداء العمرة، يؤدي العمرة ويذبح الهدي وينصرف. وجرت مفاوضات لأول مرة، أسفرت عن معاهدة بين محمد ومن والاه وبين زعامة بطون قريش من شروطها:

١ ـ وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض. ٢ ـ من أحبَّ أن يدخل في عقد محمد وعهده فعل ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها فعل. ٣ ـ أن يرجع محمد هذا العام على أن يدخل مكة العام القابل. وقعت المعاهدة وأخذ رسول الله نسخة منها، وأخذت زعامة البطون نسخة أخرى، وبعد تبادل نسخ المعاهدة دخلت خزاعة في عهد النبي، ودخل بنو بكر في عهد قريش.

لقد أعطى صلح الحديبية محمداً كل ما يريده، «من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل»، ومعناه أن قريشاً تترك الحرية لأي مجموعة بشرية لتدخل في عهد محمد وعقده، وهذا بحد ذاته انقلاب، لأن إعلام البطون كان يصوّر محمداً وكأنه ابن عاق من أبنائها خرج عليها. وجاء اعتراف البطون بحق محمد باستقطاب العرب حوله ليقلب كل المفاهيم، وليلغي دفعة واحدة آثار إعلام البطون، وليخلق مناخاً جديداً للدعوة والإقناع، فدين محمد قائم على السلام والكلمة الطيبة والإقناع واحترام العقل وتقديس الحوار الجدي الباحث عن الحقيقة المجردة، فإذا وجدت الحرية، ورفع الجرح، وسمع الناس حجة محمد، وقارنوها مع حجة

البطون فسيدخلون بالضرورة في عهد محمد وعقده، وبوقت يطول أو يقصر ستجد بطون قريش نفسها معزولة، فليس لديها ما تقدمه، ولذلك اعتبر هذا الاتفاق فتحاً مبيناً، وهزيمة ساحقة للبطون ونصراً مؤزراً لدبلوماسية الرسول التي حصدت ثمار المواجهة المسلحة مع البطون أفضل حصاد، وبأقرب الطرق.

ومن المفجع حقاً أن بعض مراكز القوى عند المسلمين عارضت هذه الإتفاقية بشدة، وأخذت تزايد على الرسول، فالله تعالى يعتبر الإتفاقية فتحاً مبيناً، ورسول الله راضٍ عنها ومغتبط بها، وعمر بن الخطاب يعتبرها دنيّة! وحاول أن يجد أعواناً له ليلغي الاتفاقية[1].

لم يمض وقت طويل حتى نقضت بطون قريش عقدها وعهدها مع النبي، واعتدت على خزاعة حليفة النبي وقتلت منها ٢٣ رجلاً بطريقة غادرة، عندئذٍ جهز النبي حملة كبرى قوامها عشرة آلاف مقاتل وزحف سراً لاحتلال مكة، وإنهاء وجود زعامة الشرك وعقيدة الشرك، وبالفعل دخل مكة سلماً واستسلم قادة البطون، وترك لهم الحرية، وعفا عنهم، وباستسلام قادة البطون هزم الشرك، فلم يعد بوسع أحد أن يعلن عن شركه أو يجاهر بمعارضته لعقيدة التوحيد، فإذا أسلم قادة البطون وأعطوا القيادة لمحمد وهم ألد أعدائه فما هي مصلحة الآخرين بمعارضة محمد!! ومن الذي يقف بوجه محمد الذي قضى على كافة الحركات اليهودية بكل قوتها ومكرها، ودوَّخَ القبائل العربية وأذهب ريحها مع كثرتها ثم ركع قادة البطون بكل فخرها وشرفها، لقد كان فتح مكة إعلاناً وبخط عريض بأن محمداً هو سيد الجزيرة وإمامها والمالك الحقيقي لخيراتها، والمخول بتوزيع الأدوار على سكانها، وأن دين الإسلام هو الدين الرسمي[2].

***

(١) راجع كتابنا: الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية، ص ٦٤٤. والمغازي للواقدي، ٦٠٦/٢ و٦٠٨. وشرح النهج لابن أبي الحديد، ٣/ ٧٩٠ ـ ٧٩٣، شرح حسن تميم.

(٢) راجع المغازي للواقدي، وتاريخ الطبري.

الفصل الثالث

القبول بإمامة محمد
ونشوء ظاهرة النفاق في مكة

دخل الجيش الإسلامي مكة سلماً، وبدون مقاومة، واستسلم زعماء البطون بدون قيد ولا شرط، وعفا النبي عنهم، وقال لهم كلمته المشهورة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». لم يجبرهم على الدخول في دينه أو القبول بإمامته، لكن من الواضح أن مكة قد أصبحت فعلياً أحد أقاليم الدولة الإسلامية، وأن زعماء البطون وأبناءها قد صاروا من رعايا الدولة الإسلامية، فأعلن زعماء البطون إسلامهم أو تظاهروا بذلك، وتبعهم أبناء البطون ومواليها وأحابيشها، وقبل سكان مكة بإمامة محمد، ونشأت ظاهرة النفاق في مكة سريعاً، فبعد أقل من أسبوع واحد خرجت بطون قريش كلها تحت راية محمد لتقاتل حلفاءها بالأمس «أهل الطائف»!! إنه أمر لا يُصدق!! صحيح أنهم خرجوا طمعاً بالمغانم، ولا يهمهم من ينتصر محمد أو غيره، وهم على استعداد ليأكلوا المغلوب وينهبوه حتى ولو كان حليفهم بالأمس، ولكن المثير حقاً هو المبالغة بقبول إمامة محمد، وإخفاء مقاصدهم الحقيقية.

زعامة البطون تبرىء النبي محمداً وتضع تصوراً جديداً لمواجهته

أدركت بطون قريش أن محمداً قد بنى ملكاً عظيماً بالفعل، وجمع العرب حوله على مبدأ النبوة والرسالة، ودان العرب له بالإمامة، وهذا ما لم يحدث طوال التاريخ، وبطون قريش تعلم علم اليقين أن محمداً منها، وأن البطن الهاشمي هو ناصية بطونها، وقد أثبت تاريخ صراع البطون مع محمد ومع الهاشميين استحالة القضاء عليهم وفق الأساليب القديمة، وكل هذا يقضي بضرورة تطوير كيد البطون ونظرتها للمواجهة مع محمد ومع الهاشميين!! وليس من مصلحة البطون إلغاء

مبدأ النبوة والرسالة، فهو طريق الملك، وطريق وحدة العرب تحت قيادة قريش، فمحمد من قريش، وأهله وعشيرته أحق بميراثه على حد تعبير صاحبيه أبي بكر وعمر في ما بعد، لذلك أصرت البطون على نبوة محمد ورسالته، وقبلت بإمامته وبرأته من كل ما ألصقته به ظلماً من تهم، فلم يعد محمد هو قاتل الأحبة فهو لم يقتل بيده، إن حمزة وعلي وبني هاشم هم قتلة الأحبة، ولا علاقة للنبي محمد بقتل الأحبة!! ألا يستطيع علي بن أبي طالب أن يكون كأبي بكر أو كعمر؟ إذ لم يثبت إطلاقاً أن أحداً منهما قد قتل مشركاً أو جرحه!! ولكن علياً خاصة والهاشميين عامة ولغوا في دم البطون ووتروها بفلذات أكبادها، فليس على البطون من حرج إن اعترفت بنبوة محمد ورسالته وقبلت بإمامته ورفضت بالوقت نفسه إمامة علي بن أبي طالب أو أيٍّ هاشميٍّ آخر من بعد النبي! إنّها قضية عائلية بين بطون قريش أقارب النبي جميعاً!! فبعد موت النبي ـ بعد عمر طويل ـ تجتمع بطون قريش الـ٢٣ وتتوحد مرة أخرى ضد بني هاشم وتضطرهم إلى القبول بأن تكون النبوة للهاشميين لا يشاركها بها أحد من البطون، والخلافة للبطون تتداولها في ما بينها لا يشاركهم فيها أي هاشمي قط! هذه التصورات كان تُطبخ بالخفاء، وتختمر وتتعمق في نفوس أبناء البطون: مهاجرهم وطليقهم، وهي بمثابة ثورة مضادة وقلب وانقلاب للمفاهيم الدينية كلها! وعلى أساس هذه الحسابات قبلت البطون بإمامة محمد، واعترفت بنبوته ورسالته على اعتبار أنهما طريق الملك والسيادة على العرب! وانتهى الصراع رسمياً بين محمد وآله من جهة وبين زعامة بطون قريش وبنيها من جهة أخرىٰ.

أساليب محمد رسول الله في مواجهة الكيانات الكافرة

كانت مواجهة النبي مع بطون قريش ومن والاها أكبر المواجهات وأخطرها. لقد دامت هذه المواجهة ٢١ عاماً تتراوح بين الحرب الباردة والصدام المسلح، وقد عرضنا مفاصل هذه المواجهة من بدايتها وحتى استسلام البطون، متجنبين السرد التاريخي، وباستقراء تاريخ هذه المواجهة يتبيَّن ما يأتي:

١ ـ الحرب الدفاعية: لم يثبت لدينا وبكل المعايير الموضوعية أن محمداً قد بدأ بالعدوان قط فقد كانت زعامة البطون هي البادئة دوماً بالعدوان، وهي البادئة بالمبارزة وهي البادئة بالهجوم، وكانت هي التي تفرض حالة الحرب على رسول الله، فكانت كافة حروب الرسول مع بطون قريش حروباً دفاعية وعادلة. محكومة بمبادىء الرحمة والخلق، ومحاولات الترشيد وضبط المواجهة، وتجنب سفك الدماء ما أمكن، وغاية ما كان ما يتمناه ترك الناس أحراراً وخلق مناخ الحرية ليختار الناس الدين الجديد، أو يثبتوا على دينهم القديم، وفق قواعد الحرية، بعد إقامة الحجة عليهم.

٢ ـ الحرب الوقائية: الجزء الأكبر من جزيرة العرب صحارى، والموارد شحيحة لا تكفي السكان حتى مع السلطة النافذة والعدالة بالتوزيع مما جعل الكثير من القبائل تعتمد بسد الكثير من حاجاتها على الغزو، ولما نجح النبي بتكوين كيانه السياسي في يثرب، وهزم خصومه، وغنم أموالهم، ولأن المدينة واحة وسط صحراء فقد فكرت بعض القبائل بغزوة لا كراهية لمحمد أو لدينه، ولا انتقاماً منه ولكن طمعاً بالغنيمة، وقد فكرت الكثير من القبائل بغزو المدينة وشرعت بالغزو فعلاً، واستعمل معها الرسول أسلوباً لم تعهده العرب من قبل وهو الحرب الوقائية، فعندما كانت تتوفر لديه المعلومات بأن هذه القبيلة أو تلك تستعد لغزوه كان النبي يسارع فيجهز حملة، ويغزوها قبل أن تغزوه، وكان يعتمد على عنصر المفاجأة، وبهذا الأسلوب ربح المواجهة مع القبائل الطامعة بغزوه، ونزع من أذهانها نهائياً فكرة التفكير بغزو المدينة، وهذا ما فعله في غزوة قرقرة الكدر بجمع ثعلبة ومحارب، ومثل حملته على تجمع بني سليم، ومثل غزوة ذات الرفاع على جموع أنمار وثعلبة، وغزوة دومة الجندل وغزوة المريسيغ وحملته على القرطاء من بني بكر... الخ[١].

٣ ـ قتال المعتدين: هنالك فئات اعتدت على النبي إما تشهياً أو كردة فعل

(١) راجع طبقات ابن سعد ٢/ ١٥٧ ـ ١٦٣، والمغازي للواقدي، ١/ ٤١٥ ـ ٥٧١.

فواجههم النبي، ودفعهم ثمن عدوانهم، ومن أمثلة ذلك يوم قاد بنفسه حملة لمعاقبة كرز بن جابر الفهري الذي أغار على سرح المدينة واستاقه، وتعقبه الرسول حتى وادي بدر ولم يدركه، ومثل ذلك أبو سفيان الذي حلف أن يثأر من محمد قبل أن يغتسل فجاء وأحرق تبناً وبيوتاً في المدينة وقتل أنصارياً وأجيراً له، فتعقبه النبي في غزوة السويق ولم يدركه.

ومثل غزوة الغابة التي قادها الرسول للانتقام من عُيَيْنَة بن حصن الذي هاجم ضاحية الغابة وقتل ابن أبي ذر وما زال الرسول يلاحقه حتى انتقم من المعتدين، ومثل سرية غالب بن عبدالله التي أرسلها إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد فصبحهم[1].

٤ ـ **الموادعة**: وكما عرف النبي المواجهة فقد عرف الموادعة، فوادع القبائل الواقعة بين مكة والمدينة، كما فعل مع بني ضمرة، إذ اتفق مع سيدهم محشي بن عمرو الغمري أن لا يغزوه ولا يكثروا عليه جمعاً ولا يعينوا عليه عدواً وتعهد الرسول أن لا يغزوهم، وكما فعل مع كلب بدومة الجندل، ومع حي من جهينة مما يلي[2].

٥ ـ **المواجهة مع الخائنين والناكثين لعهده**: هنالك كيانات أو قبائل وجماعات أعطت الرسول العهد والعقد ثم نقضت عهدها وغدرت بالرسول فتصدى لهم النبي وعاقبهم كما فعل مع أبناء قبيلة لحيان الذين غدروا بأصحابه، وكما فعل مع الذين اعترضوا زيد بن حارثة أثناء سفره إلى الشام، ومع النفر الذين قدموا المدينة وأسلموا ثم قتلوا مسلماً وفروا، ومثل سرية مؤتة التي أرسلها لمعاقبة قتلة الحارث بن عمير وهم من بني غسان[3].

٦ ـ **المواجهة مع يهود خيبر**: لقد تحالفت قبائل اليهود الموجودة في يثرب

---

(١) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ٢٣٩ وما بعدها، والطبقات لابن سعد ٩/٢ و٣٠ و٨٠ و٤٨ و٤٩ والمغازي للواقدي ج١، ج٢.

(٢) راجع طبقات ابن سعد ٨/٢ و٨٩ و١٣٢.

(٣) راجع كتابنا النظام السياسي ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ تجد المراجع.

مع رسول الله، ثم غدرت به قبيلة بعد قبيلة، وتآمرت عليه وتحالفت مع بطون قريش، فتعامل معهم الرسول على هذا الأساس، وبقيت خيبر أعظم التجمعات اليهودية في الجزيرة وأكبرها، واستعدت خيبر لحرب النبي، وجندت عشرة آلاف مقاتل كان يتم استعراضهم يومياً. وبعد صلح الحديبية رأى رسول الله أن الفرصة مواتية للتخلص من خطر خيبر فزحف إليها، وبعد لأيٍ تمكن رسول الله من فتحها واستسلم أهلها. وأثناء عودته من خيبر اعترضه يهود أم القرى وقاتلوه فهزمهم واستسلموا، ولما علم يهود تيماء بما أصاب خيبر وأم القرى صالحوا رسول الله على الجزية[1].

٧ ـ **توجيه السرايا والدعاة:** وبعد استسلام زعامة البطون جهز رسول الله السرايا والدعاة ليتعاملوا مع جيوب الشرك القليلة المتبقية، وبيسر استسلمت تلك الجيوب وأسلمت أو تظاهرت بالإسلام.

٨ ـ **قدوم الوفود:** وأخذت الوفود تفد على رسول الله لتعلن إسلامها وقبولها بإمامته طوعاً.

نصر الله والفتح، إمام الجميع، ودولة الجميع

لقد جاء نصر الله والفتح حقاً، ودخل الناس في دين الله أفواجاً بعد أن بسط محمد رسول الله سلطانه على أرض الجزيرة، ونقل سكانها من دين الشرك إلى دين التوحيد، ووحد العرب، وبنى لهم دولة لأول مرة في التاريخ، في مدة لا تتجاوز التسع سنين، وبكلفة بشرية لم تتجاوز ٤٠٠ قتيل، وصارت الدولة الإسلامية دولة الجميع، وصار محمد رسول الله إمام الجميع ومرجع الجميع، وانصب جهد النبي على الإعداد لمرحلة ما بعد النبوة، والتركيز المكثَّف على الإمامة أو الخلافة من بعده، والتنبيه للأفكار والفتن الفاتحة أشداقها تتربص موت النبي، لتنقض على الشرعية فتهدمها، وتبني على أنقاضها شرعية هزيلة ليس لها من الدين إلا اسمه ورسمه.

(١) راجع المغازي للواقدي ٢/٧٠٩ ـ ٧١٠.

المخاطر التي تهدد بهدم ما بناه محمد رسول الله ﷺ

صحيح أن رسول الله قد بسط سلطانه على الجزيرة العربية كاملة، وصحيح أيضاً أنه قد حوّل العرب من دين الشرك إلى دين التوحيد، وجمعهم في ظلال دولة واحدة لأول مرة في التاريخ، وصحيح أيضاً أن سكان الجزيرة العربية هم رعايا الدولة التي يرأسها محمد الإمام، وصحيح أيضاً أن كل رعايا الدولة الإسلامية قد قبلوا بالرضا أو تظاهروا بقبول إمامة محمد.

ولكن محمداً الذي يرى بعين الوحي وبصيرة العصمة، موقن بأنه قد أوشك على لقاء ربه، مثلما هو موقن بأن الإمامة والأئمة الشرعيين من بعده في خطب ماحِق. وتبعاً لذلك فإن الإسلام نفسه في خطر، فقد يُفرغ من مضمونه، ويبقى طريقاً للملك، وينهدم تبعاً لذلك كل ما بناه محمد.

منابع الخطر ومصادره

١ ـ **المنافقون**: لقد ابتلي الإسلام بظاهرة النفاق، والمنافقون أكثرية، تنطق بالشهادتين، وتعلن بأن القرآن كلام الله وتسبح وتصلي وتصوم وتزكي وتنفق وتتصدق وتعتمر وتحج وتخرج للجهاد، أو تعتذر رسول الله وتبالغ بالاعتذار وتقوم ظاهرياً بكل ما هو مطلوب من المسلم بل ومن المؤمن، وأفرادها، في قرارة نفوسهم كافرون بكل ما جاء به محمد، ويكرهون محمداً ويكرهون قيادته للمجتمع ويحقدون عليه وعلى أهل بيته وعلى من يحبهم ويواليهم، ويحبون المنافقين الذين عادوا ويعادون محمداً وأهل بيته، ويتخذونهم أولياء، ويتربص المنافقون الفرص لينقضوا كلمة الإسلام من أصولها. لقد ترسخت ظاهرة النفاق، وصارتْ مشكلة من أعظم المشكلات التي واجهت النبي ومن والاه، حيث عمت هذه الظاهرة المدينة وما حولها ﴿**ومِمن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مَرَدُوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم**﴾ [التوبة/ ١٠١] لقد تحوّل المنافقون إلى قوة رهيبة، حيث شكلوا الأكثرية الساحقة في مجتمع المدينة، ولكن فاعليتهم كانت ملجومة بقيادة النبي الحكيمة المدعومة بالوصي، وبوجوده

المبارك، وكم حاول النبي أن يهديهم سواء السبيل، ولكنهم اختاروا العمى على الهداية، وذهبت كل المحاولات أدراج الرياح. وعندما فتح النبي ظهرت ظاهرة النفاق فيها على نطاق واسع، ولأن المدينة هي مركز الدولة ومقر النبي ولأن النبي من قريش هرعت زعامة البطون التي أسلمت أو تظاهرت بالإسلام، وأكثرية أبناء البطون إلى المدينة، فنشأت قنوات اتصال بين منافقي المدينة ومن حولها من الأعراب وبين منافقي البطون ومن حولهم من الأعراب.

وما يميز المنافقين من غيرهم، أنّهم يكرهون ولاية محمد وآل محمد، ويحقدون على محمد وعلى آل محمد ويتخذون أعداء محمد وآل محمد أولياء. وهكذا وعملياً صار لمنافقي المدينة وما حولها، ومنافقي البطون ومَن والاهم هدف مشترك، وهو إقصاء آل محمد عن الولاية، وإذلالهم وإبعادهم نهائياً عن التأثير على مسيرة الأحداث السياسية. لقد اقتنع المنافقون أن محمداً ميت لا محالة، فأخذوا يعدون العدد للانقضاض على آل محمد بعد موته، واتخاذ الدين مطية للملك الذي سيؤول إليهم وإلى أوليائهم ورسول الله كان يعلم ذلك علم اليقين!

لماذا لم يقتلهم النبي؟

لماذا تركهم حتى يهدموا كلَّ ما بناه؟

النبي رجل شرعية يحكم بالعدل، ويهمه بالدرجة الأولى أن يتفق حكمه مع الأوامر الإلهية تماماً، وقد سأل أسيد بن حضير رسول الله هذين السُّؤالين اللذين وضعناهما عنواناً لهذه الفقرة، فأجابه: «إني أكره أن يقول الناس إن محمداً لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه! فقال أسيد: يا رسول الله فهؤلاء ليسوا بأصحاب! قال رسول الله: أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله؟ قال أسيد: بلى، قال الرسول: أليس يظهرون أني رسول الله؟ قال أسيد: بلى ولا شهادة لهم! قال الرسول: إني قد نهيت قد قتل أولئك..»[1]. ومع هذا

(١) راجع المغازي للواقدي، ٢/١٤٣ ـ ١٤٤.

فقد كان أسيد بن حضير أحد قادة السرية التي كلفها عمر بن الخطاب بحرق بيت فاطمة بنت محمد على من فيه وفيه علي والحسن والحسين وفاطمة وبني هاشم![1].

قالت أم سلمة لرسول الله بعد غزوة حنين: «أرأيت هؤلاء الذين أسلموك وفروا عنك وخذلوك، لا تعف عنهم إن أمكنك الله منهم فاقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين؟ فقال رسول الله يا أم سلمة قد كفى الله، عاقبة الله أوسع»[2].

إن قتل المنافقين غير ممكن من الناحية العملية، فهم أكثرية المجتمع، وقتلهم سيكون مجزرة حقيقية، ثم إن صلات القربى والرحم والمصالح بينهم وبين أفراد المجتمع متشابكة لدرجة يصعب فكها وفصلها، فعبدالله بن أُبَيْ زعيم المنافقين بلا خلاف وابنه أحد المؤمنين الصادقين بلا خلاف، فقتل المنافقين علاوة على أنه غير ممكن عملياً، فقد يخلق موجة من الاستنكار والندم والتعاطف قد تجرف الدين كله.

والأهم أنه لا سلطان للنبي على بواطنهم، لأن البواطن اختصاص إلهي، فمن نطق بالشهادتين وأظهر الإسلام فقد عصم دمه ولا يجوز لأحد قتله إلا بسبب شرعي ظاهر، والنبي ليس وكيلاً على الناس، فمهمته البلاغ والبيان، ويخرج عن اختصاصه أن يجر الناس بالقوة إلى الحق جراً.

والخلاصة أن رسول الله كان موقناً بأن أعظم خطر يتهدد الإمامة والأئمة الشرعيين والإسلام والأمة من بعده كان خطر النفاق، لذلك ركز تركيزاً خاصاً على ظاهرة النفاق، وكشف المنافقين، وكان له أصحاب سر، يعرفون المنافقين ليجنب الأمة خطرهم بعد موته.

٢ ـ **بطون قريش**: ومنبع الخطر الثاني ومصدره يكمن في بطون قريش. لقد

---

(١) راجع تاريخ الطبري، ٢/٤٤٣ و٤٤٤ وأبو بكر الجوهري في السقيفة حسب رواية ابن أبي الحديد، ١/ ١٣٠ و١٣٤ و٢/١٩.

(٢) راجع المغازي للواقدي، ٣/ ٩٠٤.

تعقدت نفوس أكثرية أبناء بطون قريش من نبوة محمد الهاشمي ورسالته وما صاحبها من صراع استمر ٢٣ عاماً اضطرت بطون قريش في نهايته للاستسلام والإسلام، كانت البطون تحسد محمداً وبني هاشم، وبعد أن قتل الهاشميون صناديد البطون جمعت البطون مع الحسد لمحمد ولآله الحقد عليهم بالإضافة إلى ما تتركه حالة الهزيمة من الشعور بالمرارة والإحباط، ثم وجدت البطون نفسها مضطرة للإسلام، فأسلمت، أو تظاهرت بالإسلام، ولكن هذا الإسلام، أو التظاهر به لم يكن قادراً على إنقاذ البطون من أمراض الحسد والكراهية والحقد وشعورها بالمرارة والإحباط، إن البطون مستعدة لتبرئة محمد من آثار الصراع، والإعتراف بنبوته، ولكن يتعذر عليها أن تبرىء آل محمد؛ إذ الثابت عندها بأنهم قتلة الأحبة، لذلك أظهرت البطون الإسلام والقبول بإمامة محمد وأخفت الحقد على آل محمد، وتربصت الفرص، وأخذت تعد العدة للقيام بانقلاب من الداخل يحقق مطامعها:

أ ـ إن الاعتراف بنبوة محمد ورسالته أمر ضروري، لأن النبوة والرسالة صارتا طريقاً للملك، ولزعامة البطون على العرب، وأولى العرب بميراث محمد هم عشيرته بطون قريش!

ب ـ التصدي الخفي «لإفشال» مخطط محمد الرامي إلى حصر الإمامة في أهل بيت النبوة، بدءاً من علي بن أبي طالب وإقناع الناس بأن هذا المخطط وضعه محمد حسب رأيه الشخصي، ولا علاقة لا لله ولا للدين به، ومحمد بشر يتكلم في الغضب والرضى ولا ينبغي أن يحمل كل كلامه على مَحْمَل الجد[1]!

جـ ـ الفصل التام بين القرآن الكريم وبين محمد، فكلّ ما قاله محمد مما يتعلق بالأمور العامة، أو بشؤون السياسة والخلافة أو حكمة على الأشخاص هو مجرد آراء شخصية لا قيمة لها وهي غير ملزمة للمسلمين، لأنها تؤدي للفرقة والاختلاف، ولماذا يحتاج الناس لمحمد بن عبدالله وعندهم كتاب الله «القرآن

---

(١) راجع سنن الدارمي، ١/ ١٢٥. وسنن أبي داود، ٢/ ١٢٦. ومسند أحمد، ٢/ ١٦٢ و٢٠٧ و٢١٦. ومستدرك الحاكم، ١/ ١٠٥ و١٠٦.

الكريم»!! وقد عممت بطون قريش هذا المبدأ سراً، وعندما استولت البطون على الخلافة بالغصب والقوة والقهر صار هذا المبدأ سياسة عامة لدولتهم. انظر إلى قول أبي بكر في أول خطبة له: «إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديثاً تختلفون فيها.. فلا تحدثوا عن رسول الله، فمن سألكم عن شيء فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله!»[1] ولم يكتف أبو بكر بذلك إنما أحرق الأحاديث التي كتبها عن رسول الله، ولما آلت الخلافة لعمر بعهد من أبي بكر جمع كل الأحاديث التي كتبها الناس عن رسول الله وقام بتحريقها[2]، وروى الذهبي في تذكرة الحُفّاظ أن عُمر قد حبس ثلاثة بجرم الإكثار من التحديث عن رسول الله ﷺ[3]، ولما آلت الخلافة لعثمان بعهد من عمر كان أول مشاريعه أن أمر بعدم جواز رواية أي حديث للرسول لم يسمع به في عهدي أبي بكر وعمر[4]، فواضح أن سياسية البطون كانت منصبة على إخفاء الأحكام الشرعية المتعلقة بالإمامة لطمس آثار جريمة اغتصاب الإمامة والخلافة من بعد النبي. لقد كان معاوية أكثر وضوحاً، فقد أعلن عن براءة الذمة ممن روى شيئاً بفضل أبي تراب وأهل بيته[5].

د ـ القسمة العادلة: كانت بطون قريش تروج لفكرة القسمة العادلة فمحمد قد أعلن أنَّ الله قد اختار علياً بن أبي طالب للإمامة والخلافة من بعد النبي، وأن الإمامة محصورة بأشخاص محددين من ذريته وذرية علي!! وهكذا يخطط محمد لتكون النبوة والملك في بني هاشم، وهذا ليس عدلاً أن يجمع الهاشميون بين النبوة والملك وأن تحرم البطون من الشرفين معاً، والعدل حسب معايير البطون يتمثل بقسمة جديدة وعادلة يأخذ بموجبها الهاشميون النبوة لا يشاركهم فيها أحد من البطون، بينما تأخذ البطون الملك تتداوله في ما بينها ولا يشاركهم فيها أي

---

(١) راجع تذكرة الحفاظ، ١/٢ ـ ٣.
(٢) راجع الطبقات لابن سعد، ٥/١٤٠.
(٣) راجع تذكرة الحفاظ، ١/٢ ـ ٣.
(٤) راجع منتخب الكنز هامش مسند الإمام أحمد، ٤/٦٤.
(٥) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد، ٣/٥٩٥ ـ ٥٩٦، تحقيق حسن تميم.

هاشمي قط! وقد ظهرت هذه الحقيقة في ما بعد علناً على لسان عمر بن الخطاب[1]!

هـ ـ التشكيك بكل ما قاله الرسول حول الإمامة والخلافة من بعده، وحول رؤية الرسول المستقبلية، وبث الشائعات التي تخدم غايتهم كقولهم إن الرسول بشر يتكلم في الغضب والرضى وقد وثقنا ذلك قبل قليل، وكقولهم إن الرسول كان يفقد السيطرة على أعصابه فيسب ويشتم ويلعن ولا يستحق ذلك، ونقدهم إبطال حكم الرسول على أعداء الله[2]. وكقولهم «إن النبي يخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله»[3]، وكقولهم إن الرسول كان يسقط من القرآن دون أن يدري[4]. ثم واجهوا النبي علناً في مرضه، وقال عمر بن الخطاب للنبي: أنت تهجر ولا حاجة لنا بكتابك[5]، ووصلوا إلى نتيجة مفادها أن القرآن وحده يكفي ولا حاجة لرسول الله ولا لحديثه أو وصاياه!![6].

و ـ واستكمالاً لخطط البطون قررت فتح قنوات الاتصال مع الجماعات المعروفة بحقدها على محمد وعلى آل محمد ومعارضتها لولايتهم:

١ ـ كالمنافقين، بهدف إقامة تحالف معهم، يفرض وبالقوة عند اللزوم كافة تصورات البطون، وقد نجحت بطون قريش نجاحاً ساحقاً باتصالاتها مع المنافقين، فقد تحالف معها المنافقون، وأخلصوا لقيادتها كل الإخلاص، فلم يروِ راوٍ قط أن أحداً من المنافقين قد خذل البطون، أو عارض خلفاءها. لقد كان

---

(١) راجع الكامل لابن الأثير، ٣/ ٢٤ وشرح النهج لابن أبي الحديد، ٣/ ١٠٧. نقلاً عن تاريخ بغداد. وكتابنا النظام السياسي في الإسلام، ص ١٤١ ونظرية عدالة الصحابة، ص ٩٠.

(٢) راجع صحيح البخاري كتاب الدعوات، باب قول النبي: من آذيته، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة، باب من لعنه النبي.

(٣) راجع صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس، وصحيح مسلم كتاب السحر..

(٤) راجع صحيح البخاري، وصحيح مسلم في كتاب فضائل القرآن، الأمر بتعهد القرآن.

(٥) راجع سر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي، ص ٢١. وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص ٦٢.

(٦) راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ٢٨٧ تجد تفصيل ذلك ومراجعه، وراجع كتابنا المواجهة.

المنافقون جنداً مجندة للبطون طوال العقود العشرة التي تلت وفاة النبي، ومن غير المعقول أن يكون موقف المنافقين هذا عفوياً وبدون اتفاق!

٢ ـ وكالمرتزقة من الأعراب، هنالك قبائل عربية، لا يهمها من الدين إلا المغانم، وقد كرهت حالة الانضباط والأمن التي رافقت عصر انتصار النبوة، هؤلاء المرتزقة ولاؤهم محصور بمن يدفع، وبمن يعطي، وقد أدركت زعامة البطون أهميتهم باعتبارهم كثرة تصلح للتكثير وتأييد مطالب البطون وتصوراتهم، نجحت البطون نجاحاً ساحقاً بضمّ المرتزقة إلى صفوفها، باللحظة المناسبة حضرت المرتزقة وأعلنت وقوفها إلى جانب البطون وساعدت بفرض تصوراتها. في اللحظة الحاسمة قال عمر بن الخطاب: «ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر»[1]. وقال الزبير بن بكار فقوي بهم أبو بكر[2]. وأنت تلاحظ أن هذه القبيلة من الأعراب، وأنها جات لتمار قبيل وفاة النبي، وأن عمر بن الخطاب كان في سقيفة بني ساعدة مشغولاً بالاستيلاء على منصب الخلافة، وبحاجة ماسة لمزيد من المؤيدين، فلما شاهد جموع أسلم «أيقن بالنصر» أي باستيلاء البطون على منصب الإمامة والخلافة من بعد النبي! والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما الذي أدرى عمر بأن جموع أسلم ستؤيد بطون قريش، وستقف ضد آل محمد وأوليائهم؟ هل يعلم الغيب عندما جزم بأن جموع أسلم معه؟ قد تساعد الفراسة على معرفة ما في نفس شخص أو شخصين، لكن الفراسة لا تساعد على معرفة ما في نفوس المئات؟ ومن الذي دعا قبائل أسلم حتى تقبل وتؤيد بيعة أبي بكر طالما أن الخواص لا يعرفون عن أمر هذه البيعة؟ فالمعقول الوحيد هو أن بطون قريش قد رتبت الأمر مع المرتزقة، وأعدّتهم لتأييدها، وأحضرتهم عندما أيقنت بأن النبي ميت لا محالة!!

ز ـ إعطاء القادة أو قيادة خطة البطون لأناس مغمورين في الجاهلية، وبرزوا

---

(١) راجع: تاريخ الطبري، ٢/٤٥٨.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة، ٦/٢٨٧. وقال المفيد، في كتابه «الجمل»: «إن هذه القبيلة جاءت لتمار من المدينة». الجمل، ص ٤٥.

في الإسلام لقربهم من النبي، أو بتعبير معاوية: «لم يكونوا أصلاً من معدن الملك» ولكن لهم اتصال مع النبي كأبي بكر وكعمر وكعثمان وعبد الرحمن بن عوف فالثلاثة الأول أصهار النبي، ويمكنهم الدخول إلى بيت النبي بأي وقت ومعرفة ما يجري حوله، فضلاً عن ذلك فأبو بكر هو والد عائشة زوجة النبي المشهورة بعدائها وحقدها على الإمام علي وذريته، والمشهورة بتظاهرها على النبي، وحفصة هي بنت عمر، وهي مشهورة بصداقتها لعائشة وبتظاهرها معها على النبي.

على أي حال فقد كان رسول يدرك خطورة وحدة البطون، ويعلم حقيقة تفكير زعامتها وأبنائها، وعلى يقين من خططها الرامية إلى إبعاد الأئمة الشرعيين ونيتها المؤكدة بالاستيلاء على منصب الإمامة أو الخلافة بالقوة والتغلب والقهر وكثرة الأتباع، وعلى علم بخططها الرامية لاستبعاد آل محمد، وتشريدهم، وإذلالهم وتقتيلهم. لذلك اعتبر رسول الله توجهات البطون أحد أكبر وأشهر منابع الخطر على الدين والإمامة الشرعية من بعده.

٨ ـ مواجهة حكم رسول الله والوحي، بالرأي والضغط لتغليب الرأي الشخصي على الوصي وعلى حكم رسول الله! واعتبار حكم رسول الله مجرد رأي ولا حرج على من يخالفه.

فقبيل وقوع معركة أحد، ولما تأكدت أنباء خروج بطون قريش لمحاربة النبي قال النبي للمسلمين: إني رأيت كأني في حصن منيعة، وفسرت الحصن المنيعة بالمدينة فعلينا أن نبقى بها، ونحصّنها ونقاتل. لكن مراكز القوى الخفية في المجتمع المسلم استخفت بالمسلمين، فقالت أكثريتهم: إن علينا أن نخرج حتى لا يتهمنا العدو بالجبن، وهكذا ضغطوا على الرسول ووجد نفسه وحيداً مع قلة تؤيد ما يرى، فاضطر للموافقة على الخروج وملاقاة العدو خارج المدينة[١]، وعندما حمي الوطيس فرت مراكز القوى الخفية وهربت من المعركة وتركت

---

(١) راجع المغازي للواقدي ١/٢٠٩ ـ ٢١٠، و٢٢٤ ـ ٢٢٥.

المسلمين الذين أغوتهم يكتوون بنار الهزيمة وهذه القوى، هي نفسها التي كانت تتحدث قبل الخروج عن الجبن والشجاعة وتزايد على النبي نفسه!

واستجاب الرسول لضغط الأكثرية واختار موضع المعركة. فقد جعل ظهره جبل أحد، واستقبل المدينة، ورتب على الجبل خمسين من الرماة وأخذ منهم موثقاً بالله ألاّ يتركوا الجبل حتى يأمرهم بتركه، وبعد فترة من نشوب المعركة نسي الرماة الموثق الذي أخذه رسول الله عليهم، وتركوا الجبل فجاء العدو وحول نصر المسلمين إلى هزيمة!

ففي الحالتين السابقتين، اعتبر المسلمون أوامر رسول الله مجرد آراء شخصية له، لا تختلف عن رأي آراء غيره من الناس!

في الحديبية كان الوحي مرافقاً للنبي، يقوده حسب التوجيهات الإلهية خطوة خطوة حتى تم التوقيع على المعاهدة مع بطون قريش، ولما أخذ رسول الله نسخة المعاهدة اعتبرها الله سبحانه وتعالى فتحاً مبيناً، وامتلأ قلب النبي الشريف رضى عن هذه المعاهدة، فهي ثمرة الصراع المسلح، وأعظم المكاسب لأنها حققت كل ما يريده.

في هذا الوقت بالذات نهض عمر بن الخطاب ووصف هذه المعاهدة «بأنها دنية من الدين» وأخذ يحرض المسلمين على رفض الاتفاقية، وعدم القبول بها، ويدعو للحرب! وأخذ يزايد على رسول الله! ومع هذا استخف الكثير من المسلمين!! مع أن المسلمين يعلمون أن عمر بن الخطاب لم يجرؤ على نقل رسالة من رسول الله إلى بطون قريش مفادها «أن رسول الله لم يأت لقتال أحد إنما جئنا زواراً للبيت الحرام، فاعتذر عمر وقال للرسول: إني أخاف قريش على نفسي وليس فيها من بني عدي من يمنعني[1]. وهو عمر نفسه الذي اشترك في معركة بدر ولم يثبت أنه قد قتل مشركاً أو جرح آخر! وهو عمر نفسه الذي هرب من معركة أحد يوم حمي الوطيس! فذكره رسول الله إذ أقبل عليه فقال له: «أنسيتم يوم أحد إذ

(١) راجع المغازي للواقدي، ٢/ ٦٠٠.

تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم»[1].. وهو الرجل نفسه الذي لم يك له دور مميز في أي معركة من معارك الإسلام التي سبقت صلح الحديبية! ومع هذا يزايد على الرسول ويصف المعاهدة التي رضي الله عنها ورسوله «بأنها دنية من ديننا» وأعلن عمر أنه وجد أعواناً ما سمح بنفاذ هذه الإتفاقية[2]، والأنكى أنه قد استخف نفراً من المسلمين فغضبوا لغضبه[3]!! فقال الرسول للناس: انحروا هديكم، فلم يستجيبوا له، وبالرغم من مخالفة عمر لله ولرسوله، ورده على رسول الله إلا أن أولياءه الذين كتبوا التاريخ يسجلونه شاهداً على الصلح الذي عارض[4]. لقد برع القوم باختلاق دور البطولة وإعطائه لعمر بن الخطاب في كل موقف حتى وإن خالف الله ورسوله أو اختلف معه! فمخالفته للرسول كانت لحكمة رآها عمر وخفيت عن رسول الله! إن هذا لهو البلاء المبين. مع أن عمر نفسه يشعر بالخجل والخوف كلما تذكر فعلته، انظر إلى قوله: «لقد دخلني يومئذٍ الشك، وراجعت النبي مراجعة ما راجعته مثلها قط وإني لأذكر ما صنعت خالياً فيكون أكبر همي»[5]. لقد صارت معارضة رسول الله ومخالفته بطولة! واعتبر التيار العام الإسلامي أن التصدي لرسول الله مظهر من مظاهر القوة والبطولة، وارتفعت أسهم الذين تصدوا لرسول الله، حتى جعلتهم قادة.

ونسوق مثالاً آخر: الرسول قال لمن حوله: قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فيتصدى عمر بن الخطاب للرسول ويتجاهله، ويقول لمن حوله: إن الرسول يهجر، ولا حاجة لنا بوصيته، لأنَّ عندنا القرآن وهو يكفينا! فيردد الحاضرون خلف عمر: إن رسول الله قد هجر، ولا حاجة لنا بوصيته، حسبنا القرآن، ويُترك أمر الرسول وينفذ قول عمر[6]! ماذا فعل المسلمون الصادقون

---

(١) المصدر نفسه، ٢/٦٠٩.
(٢) راجع كتابنا الخطط السياسية، ص ٦٧ وما بعدها.
(٣) راجع المغازي للواقدي، ٢/٦٠٦ و٦٠٨.
(٤) المصدر نفسه، ٢/٦١٢.
(٥) المصدر نفسه، ٢/٦٠٧.
(٦) راجع تنظيرنا لهذه المأساة في كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ٢٦٩ وما بعدها. وكتابنا المواجهة.

الذين اعترضوا على جرأة عمر على رسول الله، لقد جعلهم حزب عمر نسياً منسياً.

هذه الظاهرة كانت من أشد منابع الخطر على الإمامة الشرعية، وعلى مستقبل الدين ومصير الأمة ويجب التصدي لها.

الخطة النبوية لترشيد المخاطر وتجنب شرورها

بعد أن سلمت الجزيرة وأسلمت، وقبلت بإمامة محمد رسول الله، وبعد أن خير رسول الله فاختار ما عند الله، كانت تلك المخاطر مجتمعه ومنفردة ماثلة أمام الرسول، تؤرق مضجعه، وتملأ قلبه الشريف بالأسى والحزن والألم، ونُعنى بالمخاطر تلك التي أشرنا إليها قبل قليل وتتمثل «بالمنافقين وبنفسية أبناء بطون قريش وزعامتها، وبالمرتزقة، والخشية من اتحادهم ضد الشرعية والمشروعية الإلهية، وتفكك المسلمين الصادقين وانتفاضهم من حول الأئمة الشرعيين من بعد النبي، وعجزهم عن مواجهة أحابيل وعبث هذا الثلاثي. لقد كانت صورة المستقبل واضحة أمام النبي الذي كان ينظر بعين القدرة الإلهية المدعومة بالوحي.

لقد حمل القرآن الكريم حملات شديدة الوطأة على المنافقين وتزامنت مع حملات القرآن حملات البيان النبوي، وتيقن الجميع أن ظاهرة النفاق قد انتشرت على نطاق واسع في مكة وما حولها، لقد تم وصف المنافقين وصفاً موضوعياً دقيقاً، حتى ليسهل على المؤمن أن يعرفهم بلحن القول. وتاريخ الصراع مع زعامة بطون قريش كان ما زال حياً وماثلاً بوضوح أمام كل أفراد المجتمع الإسلامي، وكراهية أبناء البطون وحسدهم لمحمد ولآل محمد وحقدهم عليهم أمر يعرفه كل أفراد المجتمع الإسلامي، فإذا ادعت البطون أنها أن مشاعرها قد تغيرت نحو رسول الله، وأنها برأته من قتل الأحبة، وأنها تعترف بالفعل بنبوته على اتبار أن هذه النبوة طريقاً للملك ووسيلة للزعامة الواسعة على العرب فليس ما يمنع من تصديق ادعائها هذا، لكن لا أحد يصدقها إذا ادعت أنها غيرت من مشاعرها نحو آل محمد عامة ونحو علي بن أبي طالب وذريته خاصة، لأن علي بن أبي طالب هو قاتل

الأحبة المشركين، وهو مطلوب لزعامة البطون، وذريته مطلوبة أيضاً إلى يوم الدين! وقد أثبتت وقائع التاريخ الإسلامي ذلك وبكل وسائل الإثبات. ويقيناً فإن شفاء المنافقين من مرض النفاق، وشفاء زعامة بطون قريش وأبنائها من أمراض كراهية آل محمد وحسدهم والحقد عليهم، أمر غير وارد، لقد حق القول على أكثرهم، وسواء استغفر لهم الرسول أم لم يستغفر لهم، فلن يغفر الله لهم، لقد صاروا ظاهرة طبيعية في المجتمع الإسلامي، كطلوع الشمس من المشرق، وكفصول السنة الأربعة، وعلى هذا الأساس ينبغي أن يتعامل معهم النبي والذين آمنوا. هم في حقيقتهم كفرة، وعذابهم أشد من عذاب الكفرة، فهم في الدرك الأسفل من النار، ومع هذا ووفق قواعد العدل الإلهي لا سبيل لمحمد رسول الله ولا للذين آمنوا عليهم ما داموا يظهرون الإسلام وينطقون بالشهادتين.

ومع هذا، يجب أخذ الحيطة والحذر واتخاذ التدابير اللازمة التي تبطل كيدهم، خاصة وأن قنوات الاتصال أصبحت مفتوحة بين منافقي المدينة وما حولها، ومنافقي مكة وما حولها وهم في طريقهم إلى التحالف لمواجهة عصر ما بعد النبوة، فهم يتربصون، وينتظرون موت النبي، يوماً بيوم، ولا يتحالف المنافقون إلا على الشر والفتنة!

لقد عرف رسول الله المنافقين فرداً فرداً، وعرف زعاماتهم وعرّف بهم صفوة أصحابه، وكان له أبناء سر يعرفونهم، ولا خلاف بين أحد من أمناء الملة بأن حذيفة كان أحد أبرز أمناء سر رسول الله على المنافقين، وقد عبَّر حذيفة عن هذه الحقائق بقوله: «والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة، إلى أن تنقضي الدنيا، بلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته»(١)، وهذا يَعني أن رسول الله قد عرّف المؤمنين برؤوس النفاق، وقادة الفتن والشقاق ليحذرهم، فتعريف الرسول بهم، وتحذيره منهم، يفيان بالغرض لو أطيع الرسول!

---

(١) رواه أبو داود، الحديث ٤٢٤٣، في عون المعبود حديث ٤٢٢٢، عن معالم الفتن، ٤٠٦/١. سعيد أيوب.

المعيار الموضوعي لتمييز المنافق من المؤمن في عهد رسول اللّه

لقد أسفرت حملتنا القرآن الكريم والبيان النبوي على ظاهرة النفاق عن:

١ ـ كشف الخطورة البالغة لهذه الظاهرة. ٢ ـ وضع أوصاف ومعايير موضوعيّة ومجردة لمعرفة المنافقين، حتى ليسهل على الخاصة والعامة استعمال هذه المعايير ومعرفة المنافقين بموجبها وبلحن القول. وهذا المعيار ينحصر بالموقف الفردي من الولاية والإمامة أو من القيادة.

المنافقون جميعاً يكرهون ولاية رسول الله وإمامته وقيادته للأمة، ويرون أن محمداً غير مؤهل للقيادة، وغيره أحق بها منه، ولا يقبلون قيادة الرسول وولايته وإمامته إلا وهم كارهون. فمن توفرت فيه الصفات فهو منافق كائناً من كان.

أما المؤمنون فيتولّون رسول الله ويقبلون إمامته وقيادته للمجتمع ويؤمنون إيمانا راسخاً بأنه خيرة الله من خلقه، وأنه الأعلم والأفهم والأتقى والأصلح والأفضل وأنه أوحد زمانه لقيادة الأمة. وتأسيساً عليه فإن الذين يتولون رسول الله يقبلون إمامته وقيادته للمجتمع هم حزب الله، وهم المؤمنون حقاً والذين لا يتولون رسول الله ولا يرضون بإمامته وقيادته هم حزب الشيطان، وهم الكافرون حقاً من حيث المآل وآية الولاية، وسورة المجادلة، وروح الدين وحكم الصفا، شهود على حجة هذا المعيار.

المعيار الموضوعي لتمييز المنافق من المؤمن في عصر ما بعد النبوة مباشرة

الثابت أن رسول الله، وبأمر من ربه، قد أعلن نبأ ولاية علي بن أبي طالب وإمامته وخلافته للنبي في الوقت نفسه الذي أعلن فيه نبأ النبوة والرسالة والكتاب، وطوال عهد النبوة الزاهر المبارك ورسول الله يؤكد وبكل وسائل التأكيد أنه الولي والخليفة والإمام من بعده هو علي بن أبي طالب. لقد وضح ذلك بمختلف أساليب

التوضيح، وأبرز تأكيدات النبي وتوضيحاته كانت يوم غدير خم عندما رجع من حجة الوداع، وأعلن أمام جمع من المسلمين يزيد على مائة مسلم أن الإمام هو علي بن أبي طالب، وأن ولاية علي كولاية النبي، فمن كان النبي وليه فعلي وليه، ومن كان النبي مولاه فعلي مولاه، وعندما فهم الجميع أن علياً بن أبي طالب هو الولي، وهو الإمام من بعد النبي، توجَّه رسول الله بعمامته السوداء، وأمره أن يتلقى البيعة والتهاني، وطلب من الناس أن يبايعوا علياً بإمارة المؤمنين، فبايعوه بالفعل، وكان من جملة من بايعه بإمارة المؤمنين وولايتهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح ومعاوية وغيره كما سنرى، وبعد أن تمت البيعة أنزل الله تعالى آية الإكمال ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً**﴾ [المائدة/ ٣].

والخلاصة أن معيار التفريق بين المؤمن والمنافق، بعد وفاة النبي أو في عصر ما بعد النبوة، أو خلال حياة علي بن أبي طالب، يكمن في أنَّ من والى علياً بن أبي طالب وقبل بإمامته وولايته وقيادته للأمة فهو المؤمن كائناً من كان، ومن رفض ولاية علي بن أبي طالب وقيادته للأمة وإمامته فهو المنافق كائناً من كان.

تعليل مختصر

لأن عليّاً هو الإمام الشرعي المعين من الله ورسوله، وهو القائم مقام النبي، فهو علم الهدى، ولايته كولاية النبي، وإمامته كإمامة النبي وطاعته كطاعة النبي كما هو ثابت بالنصوص الشرعية، انظر إلى قول رسول الله مثلاً: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه...»[1]، وقوله ﷺ «من كنت مولاه فهذا وليه..»[2]، وانظر إلى قول النبي لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي

---

(١) راجع صحيح الترمذي ٥/ ٢٩٧، ح٣٧٩٧. وسنن ابن ماجه ١/ ٤٥، ح١٢١.

(٢) راجع خصائص النسائي ص ٩٣.

بعدي»[1] . . وهذا أمر سلّم به أفراد الأمّة جميعهم بمن فيهم المنافقين. أنظر إلى رسالة معادية لمحمد بن أبي بكر إذ جاء فيهاما يلي وبالحرف: «وقد كنا وأبوك معنا، في حياة من نبيّنا نرى حق آبن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا. . . فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه، وعلى ذلك اتفقا واتسقا. . .»[2] وانظر إلى قول عمر بن الخطاب: «يا ابن عباس، والله إن صاحبك هذا «يعني علياً» لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله[3] . . . وقال عمر يوماً: «إنَّ الأمر كان لعلي بن أبي طالب فزحزحوه عنه لحداثة سنة وللدماء التي عليه»[4] .

والخلاصة

يبقى القبول بولاية علي وإمامته الشرعية وقيادته للمجتمع أو عدم ذلك هو المقياس الموضوعي لمعرفة المؤمن من المنافق، فالمؤمن قبل بولاية الإمام علي وقيادته وإمامته، والمنافق رفضها.

المعيار الموضوعي لتمييز المنافق من المؤمن في أي زمان

بيّن رسول الله أنَّ الأئمة من بعده إثنا عشر إماماً وكلهم من أهل بيت النبوة، فأولهم علي بن أبي طالب، وآخرهم المهدي، وهم صفوة الله من خلقه، وهم عمداء أهل بيت النبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهم آل محمد الذين لا تجوز صلاة أي مسلم قط إذا لم يصلِّ عليهم، وهم سفن النجاة، ومصابيح الهدى، وهم أحد الثقلين وأعدال الكتاب وقد سماهم رسول الله للأمة، فاعتبر نفسه إماماً فقال: «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين

---

(١) راجع صحيح البخاري، ١٢٩/٥ غزوة تبوك وصحيح مسلم ٢/ ٣٦٠. وصحيح الترمذي ٣٠١/٥. .

(٢) راجع مروج الذهب للمسعودي ٣/ ١١. ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ١١٨ و١١٩.

(٣) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/ ٢٠.

(٤) راجع الطبقات لابن سعد ٣/ ١٣٠.

مطهرون معصومون»[1]. قال جابر بن عبدالله الأنصاري لما أنزل الله ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم**﴾ [النساء/ ٥٩] قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن هم أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعته؟ فقال الرسول: هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين. . . حتى يكتملوا الاثني عشر[2]. ولا يخلو زمن من إمام[3].

والخلاصة أن القبول بولاية الإمام الشرعي وإمامته وقيادته، في زمانه، هو المعيار الموضوعي لتمييز المؤمن من المنافق، ولتمييز أعضاء حزب الله من أعضاء حزب الشيطان، ففي زمن الحسن من يواليه ويقبل بإمامته وولايته وقيادته فهو المؤمن، وهو من حزب الله، ومن يرفض إمامته وولايته وقيادته فهو المنافق وهو من حزب الشيطان. وهكذا في زمن الحسين، وزمن علي بن الحسين. . الخ حتى يكتمل الاثنا عشر إماماً.

* * *

---

(١) راجع ينابيع المودة للقندوزي، الحنفي، ٢/ ٤٤٥. وسيرة الرسول وأهل بيته، ٢/ ١٨٩.

(٢) راجع سيرة الرسول وأهل بيته، ٤/ ١٩٠.

(٣) راجع كتابنا المواجهة، ص ٤٧٠ وما بعدها.

الفصل الرابع

العلم اليقيني بالإمامة والقيادة من بعد النبي ﷺ

عندما جلس النبي على فراش الموت كانت الأمة كلها على علم بالبيان النبوي لعصر ما بعد النبوة وحتى قيام الساعة، وكانت على علم بأن علياً بن أبي طالب هو الإمام من بعد النبي، وأن الحسن هو الإمام من بعد علي، وأن الحسين هو الإمام من بعد الحسن، . . الخ. كانت على علم بالدّور المميز لأهل بيت النبوة في قيادة الأمة من بعد النبي، وكانت على علم بعمق الارتباط والتصوّر الشرعي بين الله ورسوله والقرآن الكريم من جهة وبين أئمة أهل بيت النبوة من جهة أخرى، كان من غير المتصوّر نجاح أي قوة بتقطيع شبكة الترابط أو تعكير شاشة هذا التصوّر، فحتى معاوية كان يرى «أن حق علي بن أبي طالب لازمٌ لنا، وفضله مبرَّز علينا. . . فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه. . .»[1] وانظر إلى اعتراف عمر بن الخطاب: «إن الأمر كان لعلي بن أبي طالب فزحزحوه عنه لحداثة سنة والدماء التي عليه»[2].

النبي يحذر من وقوع الانقلاب

بعد أن ترك رسول الله أمَّته على المحجة البيضاء، وبيَّن لها رؤوس النفاق وقادة الفتن والشقاق، وسمى الأئمة من بعده بأسمائهم، حذر من وقوع الانقلاب، ومن هلاك الذين يؤيدون الانقلابيِّين، فبين أن مفارقة علي هي مفارقة لله

---

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي، ٣/ ١١ ووقعة صفين لنصر بن مزاحم.
(٢) راجع الطبقات لابن سعد، ٣/ ١٣٠.

ولرسوله[١]. وأن بغض علي هو بغض لله ولرسوله[٢]. وأن الذي يسب علياً يسب الله ورسوله[٣]، وأنّ الذي يؤذي علياً يؤذي الله ورسوله[٤]. وأعلن الرسول أن الفئة الباغية ستقاتل علياً فمن لم ينصر علياً فليس من الرسول[٥] وأبعد من ذلك أن الرسول قد قال لعلي أمام أصحابه: «إن الأمة ستغدر بك بعدي»[٦] وقال النبي أمام أصحابه: «إنه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد..»[٧].

وقال النبي يوماً لأصحابه: «إن أهل بيتي سيلقون من بعدي قتلاً وتشريداً، وأن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية، وبنو المغيرة وبنو مخزوم»[٨]، والأهم من ذلك فقد حذر النبي بأن علياً سيقتل، وأن الحسن سيقتل، وأن الحسين سيقتل ويقتل معه الطيبون من أهل بيته في كربلاء[٩]، ولم يكتف النبي بهذه التحذيرات إنما فصَّل ذلك تفصيلاً، وحدَّد المكان الذي تنطلق منه شرارة الإنقلاب، فقام خطيباً في أصحابه، وأشار نحو مسكن زوجته عائشة بنت أبي بكر، وقال: «هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان»[١٠]، وأوضح الرسول الأمر لأصحابه فقال لهم، عندما خرج من بيت عائشة: «رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان»[١١]، ومن يستقرىء وقائع التاريخ، والتحذيرات النبوية من

---

(١) راجع المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم، ٣/١٤٦.
(٢) راجع ميزان الاعتدال للذهبي، ٢/١٢٨.
(٣) راجع المناقب للخوارزمي، ص ٨١ و٨٢.
(٤) راجع المستدرك للحاكم، ٣/١٢٢ ومسند أحمد، ٣/٤٨٣.
(٥) راجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر، ط. مؤسسة المحمودي ـ بيروت ٣/٢١٥ ح١٢٢٠.
(٦) راجع شرح النهج، ٦/٤٥ والبداية والنهاية لابن الأثير، ١/٢١٨.
(٧) رواه ابن ماجه في صحيحه، ص ٣٠٩، باب خروج المهدي.
(٨) راجع المستدرك على الصحيحين، ٤/٤٨٧، وكنز العمال،٦/ ٤٠، وفضائل الخمسة، ٣/٣٤٩ ـ ٣٥٤.
(٩) راجع فضائل الخمسة، ٣/ ٣٥٢ وما بعدها.
(١٠) راجع صحيح بخاري كتاب الجهاد والسير باب ما جاء في بيوت أزواج النبي، ٤/٤٦ و٤/ ١٠٠، وملحق المراجعات، ص ٢٥١.
(١١) راجع صحيح مسلم، كتاب الصلاة، ٢/ ٦١.

وقوع الإنقلاب لا يبقى لديه أدنى شك من أن الانقلاب قد انطلق من بيت عائشة بالفعل. فلا خلاف بين اثنين من أبناء الملة من أن رسول الله قد مرض في بيت عائشة، وأنه قد ضرب موعداً لكتابة توجيهاته النهائية للأمة في هذا البيت، ليلخص للأمة الموقف. ومن المؤكد والثابت لدينا أن عائشة قد عرفت مضمون هذه التوجيهات قبل كتابتها، فسارعت وأخبرت أباها وعمر بن الخطاب بالموعد والمضمون، عندئذٍ جمع عمر بن الخطاب أعداداً كبيرة من حزبه وجاء بهم إلى بيت رسول الله ليحولوا بين رسول الله وبين كتابة توجيهاته النهائية، وبالفعل نجحت عائشة، ونجح عمر وحزبه في الحيلولة بين رسول الله وبين كتابة توجيهاته النهائية وتلخيصه للموقف، وصدموا خاطره الشريف، وتكلم عمر وحزبه بكلمات نابية أمام النبي، ونعتوه النبي بنعوت، تخرج من قالها من دائرة الإسلام والإيمان كما سنرى.

الإمام الأعظم يستعد للموت

أدى رسول الله الأمانة، وبلغ الرسالة كاملة غير منقوصة، وبَيَّن القرآن ونصب الإمام من بعده في غدير خم، وبايعه المسلمون بالإمامة والولاية وإمارة المؤمنين، وبيَّن أسماء الأئمة الشرعيين الذين اختارهم الله لقيادة الأمة عبر التاريخ، وحذر من وقوع الانقلاب على الشرعية. وفي هذا السياق، سمّى للمؤمنين رؤوس النفاق وعرفهم بقادة الفتن والشقاق، ثم أعلن أنه قد خير فاختار ما عند الله، وأنه سيمرض، وسيموت من مرضه. وليسهل سير الأمور وانتقالها من بعده انتقالاً سلمياً جهز جيشاً وعبأ في هذا الجيش رؤوس النفاق، وقادة الفتن، وأصحاب الخطر، وعين الفتى أسامة بن زيد قائداً لهذا الجيش وأعلن لعنة الله ولعنة رسوله على كل من تخلف عن هذا الجيش: وكان في مقدمة الذين عبأهم رسول الله في هذا الجيش أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وعثمان، وطلب من الجيش أن يتحرك على الفور وبدون إبطاء، ويبدو أن من مقاصد الرسول إتاحة الفرصة أمام خليفته والولي من بعده لنقل منصب الإمامة والولاية بيسر وبدون تشويش.

ويبدو أن أصحاب الخطر قد فطنوا لمقصد الرسول فتباطؤوا بالخروج، وثبطوا الناس عنه، ومالوا دونه ليتمكنوا من الحضور في العاصمة عند موت النبي ومن تنفيذ خططهم المبيتة ضد الشرعية الإلهية.

الإمام الأعظم على فراش مرض الموت

بعد أن قام رسول الله بما أسلفنا، مرض كما أخبر الناس، وقعد على فراش مرض الموت، والملائكة في صعود وهبوط، وجبريل مع النبي وأهل السماء في شغل شاغل لاستقبال وتغطية نبأ موت أعظم الخلق وأحبهم إلى الله تعالى.

تلخيص الموقف والتوجيهات النهائية

لأن محمداً رسول الله ونبي وإمام وقائد أمة، ولأنه محب ورحيم ومشفق وناصح أراد أن يلخص الموقف لأمته وأن يكتب ويوثق توجيهاته النهائية بحضور جبريل والملائكة المقربين، لأنه على يقين بالفتن التي تتربص بالأمة وتنتظر موت النبي، لذلك ضرب موعداً لتلخيص الموقف وكتابة توجيهاته النهائية. وهذا عرف معروف عند قادة الأمم وهو حق مكرس لكل إنسان على الإطلاق.

انتشار الخبر

لأن الرسول قد مرض في بيت عائشة، فقد ثبت لدينا أن عائشة قد علمت بموعد كتابة التوجيهات النهائية، ومضمون هذه التوجيهات، وعائشة أم المؤمنين هي ابنة أبي بكر، وكانت حليفة لحفصة أم المؤمنين وابنة عمر مثلما كان أبواهما حليفين، وقد تظاهرت الزوجتان على رسول الله[1]، وكانت عائشة طويلة اللسان،

---

(١) كما روى البخاري صحيحه في ٣/١٣٦ ـ ١٣٧ عند تفسيره آية ﴿وإن تظاهرا عليه...﴾ وراجع تفسير الكشاف للزمخشري ٤/٥٦٦. وتفسير الرازي ٨/٣٣٢، والدر المنثور للسيوطي ٦/٢٣٩ و٢٤٢. وتفسير القرطبي ١٨/١٧٧ ـ ١٧٨. وفتح القدير للشوكاني =

وجريئة على رسول الله فقد قالت للنبي يوماً «أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟»[1]، وإذا تذكرنا أن رسول الله قد قام خطيباً وأشار نحو مسكن عائشة قائلاً: «هاهنا الفتنة وكررها ثلاثاً»[2]، وقوله عند بيت عائشة: «رأس الكفر من هاهنا»[3]، وإذا أخذنا بعين الاعتبار اتفاق أهل الملة على مرض الرسول في بيت عائشة، وعلى أن عائشة كانت تكره الإمام علي وتحقد عليه ولا تطيق أن تلفظ حتى اسمه[4] لذلك حاربته[5]. ولما مات الإمام علي سجدت لله شكراً، وطوال حياتها وهي تناصب الإمام علي وذريته العداء. ونظراً للدور البارز الذي كان لها في إدارة شؤون دولة الخلافة في عهد أبيها وعمر فإننا نجزم أنها هي التي أخبرت والدها وعمر بموعد ومضمون التوجيهات الإلهية التي ضرب الرسول موعداً لكتابتها، ومن عمر ومن أبيها شاع الخبر بين حزبهما.

اقتحام عمر وحزبه للحجرة المقدسة

المفترض أن أبا بكر وعمر وأفراد حزبهما في جيش أسامة لأن الرسول عبأهم في هذا الجيش بإجماع المسلمين، ومن المفترض ألاّ يتخلّفا عن هذا الجيش، ولا يرجعا من معسكرهما حتى لا تنالهما لعنة الله ورسوله، ولكن عمر كان يعرف ما يريد، ويتابع الأحداث دقيقة بدقيقة فما أن سمع خبر كتابة التوجيهات حتى جمع ثلة كبيرة من حزبه الذي كان بحالة استنفار تام، وتوجه بهم إلى بيت رسول الله، ومع الموعد المحدد لكتابة التوجيهات كانت غرفة النبي المقدسة

= ٥/ ٢٥٠، وتفسير ابن كثير ٤/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨.

(١) راجع إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ٢/ ٣٥، آداب النكاح، وذكره في مكاشفة القلوب باب ٩٤ ص ٢٣٧.

(٢) راجع صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير. باب ما جاء في أزواج الرسول.

(٣) راجع صحيح مسلم كتاب الفتن ٢/ ٥٦٠، و١٨/ ٣١ ـ ٣٣ بشرح النووي.

(٤) راجع الطبقات لابن سعد ٢/٢٩، وصحيح البخاري ١٣٩/٥ ـ ١٤٠. والسيرة الحلبية ٣/ ٣٣٤. ومسند الإمام أحمد ٦/ ١١٣.

(٥) راجع تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٥٢. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦/ ٢١٥ ـ ٢١٦، تذكرة الخواص ص٦١ و٦٤.

تغص بعمر وحزبه. كان دخولهم مفاجأة لمن حول النبي، ولا يملك النبي أن يتراجع عن كتابة توجيهاته النهائية على ضوء هذه التطورات، فتجاهل النبي وجود عمر وحزبه وقال لمن أعدهم لهذا الغرض: «قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً».

فتجاهل عمر وجود النبي وقوله وقال للحاضرين: «إن النبي يهجر وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله»[1].

وما أن أتم عمر كلامه حتى قال أعوانه بصوت واحد متجاهلين وجود النبي، وموجهين كلامهم للحضور: القول ما قال عمر «هجر رسول الله، إن رسول الله يهجر، ما شأنه أهجر! استفهموه ماله أهجر! ومع كل جملة ردد حزب عمر قافية القول ما قاله عمر!

الحضور من غير حزب عمر

صعق الحضور من غير حزب عمر من هول ما سمعوا، وطالبوا بأن تتاح الفرصة لرسول الله لكتابة توجيهاته، ولكن عمر ردد ما قاله وردد حزبه من خلف القافية التي علمهم إياها.

النسوة يتدخلن في الأمر

قال ابن سعد: «قالت النسوة. ألا تسمعون رسول الله قربوا. . فقال عمر: إنكن صويحبات يوسف. . فقال الرسول: إنهن خير منكم»[2].

نتيجة تصرفات عمر وحزبه

كثر اللغط، وكثر اللغو، وكثر الاختلاف، وارتفعت الأصوات، وتنازع الفريقان «أكثرية ساحقة أحضرها عمر مع أقلية كانت موجودة عند رسول الله».

---

(١) راجع تذكرة الخواص لسبط الجوزي ص ٦٢ وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ٢/٢٤٣ ـ ٢٤٤.

وصارت الكتابة، في هذا الجوّ، مستحيلة، لأن عمر وحزبه كانوا على استعداد لفعل أي شيء للحيلولة بين رسول الله وبين كتابة ما أراد. وقد أدرك الرسول ذلك، ورأى الكثرة التي أعدها عمر لهذه الغاية. ولو أصر الرسول على كتابة ما أراد لأصر عمر وحزبه على إثبات الهجر، مع ما يجره هذا الادعاء من عواقب مدمرة للتشكيك بكل ما قاله الرسول، لذلك رأى أن يصرف النظر عن كتابة توجيهاته النهائية معتمداً على عهوده وتأكيداته السابقة. فقال النبي: قوموا عني ما أنا فيه خير مما تدعوني إليه[1].

لماذا استمات عمر وحزبه ليحولوا بين الرسول وكتابة ما أراد؟

لقد اعترف عمر، في ما بعد، بأنهم لم يحولوا بين الرسول وبين كتابة ما أراد لأنه قد هجر كما زعموا، أو لأن المرض قد اشتد به كما حاول أولياؤهم أن يلطفوا من الكارثة أو لأن القرآن يكفي ولا حاجة للرسول ولا لكتبه وتوجيهاته! إنما صدوا رسول الله عن كتابة ما أراد حتى لا يجعل الأمر لعلي بن أبي طالب![2].

أسوأ وداع لأعظم إمام عرفته البشرية

لم يصدف، طوال التاريخ البشري، أن عومل ولي الأمر سواء أكان خليفة أم ملكاً، وهو مريض، بالقسوة والجلافة التي عومل بها رسول الله، ولم يصدف أن اعترض المسلمون على خليفة إذا أراد أن يكتب توجيهاته النهائية أو يستخلف من

---

(١) راجع صحيح البخاري ٤/ ٣١، و٧/ ٩ ـ كتاب المرض، باب قول المريض قوموا عني ـ، وصحيح مسلم ٢/ ١٦ و٥/ ٧٥ ـ آخر كتاب الوصية ـ و١١/ ٩٥ ـ بشرح النووي ـ ومسند أحمد ١/ ٣٥٥ و٣/ ٢٨٦ و٤/ ٣٥٦، وتاريخ الطبري ٢/ ١٩٢، والكامل لابن الأثير ٢/ ٣٢٠، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص ٦٢، وسر العالمين لأبي حامد الغزالي ص ٢١.

(٢) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٣/ ١١٤. الطبعة الأولى مصر، و٣/ ٨٠٢ طبعة مكتبة الحياة و٣/ ١٦٧ طبعة دار الفكر، وراجع تنظيرنا لذلك في كتابنا نظرية عدالة الصحابة بحث (الانقلاب).

بعده، بل على العكس. قال ابن خلدون في مقدمته: إن الخليفة ينظر للناس حال حياته وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته ويقيم لهم من يتولى أمورهم[١]، لقد مرض أبو بكر مرضاً شديداً قبل أن يموت وقبل وفاته بقليل دعا عثمان ليكتب له توجيهاته النهائية، وأصغى المسلمون لأبي بكر ونفذوا توجيهاته النهائية بدقة، وعاملوه بكل الاحترام والتوقير، ولم يقل أحد منهم إن أبا بكر قد هجر، ولا قالوا إن المرض قد اشتد به، ولا قالوا حسبنا كتاب الله!![٢].

وعندما كتب أبو بكر توجيهاته النهائية كان عمر يقول: «أيها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله..»[٣] فقارن بين موقف عمر وحزبه من أبي بكر وموقفهم من رسول الله! فهل لأبي بكر قيمة وقداسة عند عمر وحزبه أكثر من قيمة الرسول وقداسته! أجب كما يحلو لك فإنه الواقع المر، ثم انظر إلى موقف المسلمين عند طعن عمر وأراد أن يكتب توجيهاته النهائية وقد اشتد به المرض أكثر مما اشتد برسول الله[٤]، ومع هذا كتب عمر توجيهاته وعهد للستة نظرياً وعهد لعثمان عملياً، وأمر بضرب عنق من يخالف تعليماته النهائية[٥]، وصارت توجيهات أبي بكر وعمر شرعاً سياسياً نافذاً لم يقل أحد أن عمر قد هجر، ولم يقل أحد حسبنا كتاب الله إنما عومل عمر بكل التقديس والإحترام، ونفذت توجيهاته النهائية حرفياً كأنها كتاب منزل من عند الله وأكثر!! فهل لأبي بكر وعمر قداسة عند المسلمين أكثر من رسول الله وبأي كتاب قد أنزل بأنهما أولى بالاحترام والطاعة من رسول الله؟! أجب كما يحلو لك فإنك لن تغير الحقيقة المرة!

---

(١) راجع مقدمة ابن خلدون ص ١٧٧. وكتابنا الخطط السياسية ص ٣٨٢.

(٢) راجع تاريخ الطبري ٣/٤٢٩. وسيرة عمر لابن الجوزي ص ٣٧. وتاريخ ابن خلدون ٢/٨٥. وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ص ١٥٩.

(٣) راجع تاريخ الطبري، ١/٢١٣٨.

(٤) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/٢١ ـ ٢٢. والطبقات لابن سعد ٢/٣٦٤. وكتابنا الخطط السياسية ص ٣٦٧ ـ ٣٦٩.

(٥) راجع الطبقات لابن سعد ٣/٢٤٧، وأنساب الأشراف ٥/١٨. وتاريخ الطبري ٥/٣٣.

لقد قالوها بصراحة في ما بعد بأن الخليفة أعظم من الرسول[١].

الجنازة والعرس معاً!؟

لقد صدم الانقلابيون خاطر النبي الشريف، وأعلنوا صراحة وضمناً خروجهم على الشريعة الإلهية، وأهانوا رسول الله ولم يقدروه حقَّ قدره وحالوا بينه وبين كتابة ما أراد، وأثبتوا له بأنهم قد هدموا الجانب السياسي من الشريعة الإلهية فامتلأ قلبه الشريف بالحزن والألم، وانفض الناس من حوله ولم يبق عنده إلا آله الكرام ونفر قليل من المؤمنين، وجموع غفيرة من الملائكة المقربين، وناجى رسول الله علياً، ثم صعدت الروح الطاهرة إلى بارئها، وفجعت الضمائر البشرية النقية بأعظم مخلوق على الإطلاق فغسله أقاربه وجهزوه ودفنوه[٢].

عرس أثناء الجنازة!؟

أبو بكر وعمر وأفراد حزبهما لم يشهدوا دفن الرسول ولا تغسيله ولا تجهيزه، كانوا في شغل شاغل[٣]، وعائشة كانت مشغولة معهم لقد حرصت في ما بعد قائلة: «ما علمنا بدفن النبي حتى سمعنا صوت المساجي»[٤]!

ونجح حزب البطون بالاستيلاء على منصب الخلافة بالقوة والتغلب، «وأقبلت الجماعة التي بايعت أبا بكر تزفُّه زفاً إلى مسجد رسول الله فبايعه الناس حتى أمسى وشغلوا عن دفن رسول الله»[٥].

---

(١) راجع تاريخ ابن كثير ١٠/٧ ـ ٨، وسنن أبي داود ٤/٢١٠. والعقد الفريد لابن عبد ربه ٥/٥٢ ـ ٥٣، وتاريخ الطبري ٥/ ٦١ حوادث ٨٩!! راجع كتابنا المواجهة الباب الخامس.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ٢/٧٨.

(٣) راجع كنز العمال ٣/ ١٤٠.

(٤) راجع سيرة إبن هشام ٤/٤٤٤، وتاريخ الطبري ٢/ ٤٥٢ ـ ٤٥٥. وتاريخ إبن كثير ٥/ ٢٧٠، وابن الأثير في أسد الغابة ١/ ٣٤. وتاريخ الخميس ١/ ١٩١. وتاريخ الذهبي ١/ ٣٢٧، ومسند أحمد ٦/ ٦٢!!.

(٥) راجع الموفقيات ص ٥٧٨، والرياض النضرة للطبري ١/ ١٦٤، وتاريخ الخميس ١/ ١٨٨، =

تقديم التعازي والحريق!؟

بعد أن نجحت البطون بالاستيلاء على منصب الخلافة تذكروا محمداً وأهل بيت محمد، وقد علموا أن آل البيت ولفيفاً من المؤمنين قد دفنوا محمداً! وعادوا إلى بيت علي بن أبي طالب، فرأت الخلافة الجديدة أن الفرصة مناسبة لتقديم التعازي، فأصدر الخليفة الجديد أمراً إلى نائبه عمر «ليأتيه بآل محمد بأعنف العنف..»[1]. فجهّز عمر سرية قادها بنفسه وساعده عبد الرحمن بن عوف، وخالد بن الوليد، وأسيد بن حضير[2] فحمل عمر معه قبساً من النار ليحرق بيت آل محمد على من فيه، فلقيته فاطمة بنت رسول الله فقالت: يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟ قال عمر: نعم[3].

قال اليعقوبي في تاريخه: «فهجموا على الدار، وكسروا سيف علي ودخلوا الدار»[4] وأخرجوا المؤمنين بالقوة وساقوهم ليبايعوا الخليفة الجديد، أما آل محمد فقد قاوموا وامتنعوا عن الخروج، وهكذا قدمت السلطة الجديدة التعازي لأهل بيت محمد بمناسبة وفاة محمد بن عبدالله الهاشمي!

لقد صارت النبوة والرسالة طريقاً لملك البطون، وقد تحقق الملك فعلاً، فليكن موقف أبناء البطون من النبوة بالقدر الذي يخدم الملك!

= وكتاب السقيفة للجوهري برواية ابن أبي الحديد ١/ ٧٤ و١٣٣ (بلفظ آخر).

(١) راجع أنساب الأشراف للبلاذري ١/ ٥٨٧.

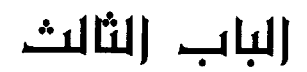
(٢) راجع تاريخ الطبري ٢/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤. وأبو بكر الجوهري برواية إبن أبي الحديد من شرح النهج ١/ ١٣٠ ـ ١٣٤ و٢/ ١٩.

(٣) راجع العقد الفريد لابن عبد ربه ٣/ ٦٤، وأبو الفداء ١/ ١٥٢، وأنساب الأشراف ١/ ٥٨٦، وكنز العمال ٣/ ١٤٠، والرّياض النَّضرة للطبري ١/ ١٦٧، وتاريخ الخميس ١/ ١٧٨. والجوهري في كتاب السقيفة برواية بن أبي الحديد ١/ ١٣٤. وتاريخ ابن شحنة بهامش الكامل في التاريخ لابن الأثير ١١/ ١١٣.

(٤) راجع تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٥.

الباب الثالث

الإمامة والولاية
من بعد النبي



الباب الثالث

الفصل الأول:

الإمامة من بعد النبي (ص)

الفصل الثاني:

الإمامة والولاية الشرعية من بعد علي بن أبي طالب

الفصل الأول
الإمامة من بعد النبي

إمامان ووليان معاً

بعد يوم واحد من انتقال الرسول الأعظم إلى جوار ربه وجدت الأمة الإسلامية نفسها أمام حالة فريدة من نوعها تتمثل بوجود إمامين ووليين حقاً، كل منهما يرى أنه الأحق بالإمامة.

١ ـ إمام وولي وقائد شرعي على شاكلة إمامة ابراهيم، والأئمة الذين من بعده، وإمامة محمد رسول الله، يستند حقه بالإمامة والولاية إلى الاختيار الإلهي، والإعداد الإلهي ولكونه الأعلم والأفهم بالدين والأتقى، والأقرب لله، والأفضل وهو علي بن أبي طالب.

٢ ـ إمام وولي وقائد مسلم، لم يختره الله ولا رسوله، إنما استند حقه بالإمامة والولاية والقيادة إلى التغلب والقهر وقدرته على توحيد بطون قريش والمنافقين والمرتزقة من الأعراب خلفه، وسيطرته بهذا التحالف على المال والنفوذ والإعلام، وهو يعلن بكل صراحة أنه ليس الأفضل، ولا الأعلم، وهو ينفي أن يكون الله أو رسوله قد اختاراه لهذا المنصب، لأنه لا علاقة لهما باختيار الإمام، فاختيار الإمام حق لأغلبية الأمة، وأغلبية الأمة معه، فكافة بطون قريش مهاجرها وطليقها معه، والمنافقون معه، والمرتزقة من الأعراب معه، وليست هنالك معارضة جدية له من المؤمنين، والمعارضون الوحيدون لإمامته وولايته هم آل محمد بزعامة عميدهم الإمام والولي علي بن أبي طالب. هذا الإمام والولي والقائد هو أبو بكر الخليفة الأول، وهو في الوقت نفسه، والد عائشة زوجة الرسول يدعمه عمر بن الخطاب، والد حفصة زوجة الرسول الثانية، وعثمان بن

عفان صهر الرسول وزوج إحدى بناته، وعبد الرحمن بن عوف، قطب المال، وسادات بطون قريش، ورؤوس المنافقين، وقادة المرتزقة، وأصحاب الخطر، كأسيد بن حضير، وخالد بن الوليد، ويزيد ومعاوية ابني أبي سفيان وعمرو بن العاص... الخ. بالإضافة إلى ابنته وزوجة الرسول عائشة، وابنة عمر وزوجة الرسول الثانية حفصة... وسنفرد بحثاً للإمامتين الشرعية، والواقعية من بعد النبي، متجنبين السرد التاريخي.

الإمامة الشرعية إمامة علي بن أبي طالب

خلال مرحلتي الدعوة والدولة أعلن رسول الله، وبكل وسائل الإعلام، وأكد وبكل طرق التأكيد، وأوضح وبكل طرق التوضيح أن الله تعالى الذي اختار محمداً للنبوة والرسالة والإمامة، اختار علياً بن أبي طالب ليكون وصي النبي، وخليفته، والولي والإمام، والقائد والسيد وأمير المؤمنين من بعده، وقد أعلن هذا النبأ، في اليوم نفسه، الذي أعلن فيه أنباء النبوة والرسالة، ولكن بطون قريش لم تحمل هذا النبأ على محمل الجد، لأنها استبعدت أن ينجح الرسول فضلاً عن أن تكون له خلافة. وبين الرسول بكل طرق البيان أنَّ الله تعالى قد أعدّ علياً وهيأه ليكون الأعلم والأفهم بالدين والأقرب لله وللرسول والأفضل، أو بمعنى أدق ليكون أوحد زمانه بعد وفاة النبي، وتتابعت إعلانات النبي بهذا الخصوص، خلال مرحلتيّ الدعوة والدولة وأثبت علي بن أبي طالب أنه معد إلهياً بالفعل والمؤهل الوحيد، وفي حجة الوداع نصبه رسول الله إماماً وولياً للمؤمنين من بعده، في غدير خم وبايعه على ذلك الناس وقدموا له التهاني بإمارة المؤمنين، ومن جملة المهنئين أبو بكر وعمر وأسيد بن حضير، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف ويزيد ومعاوية ابنا أبي سفيان وعثمان، وطلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص...!! وبعد ذلك نزل قوله تعالى ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم...**﴾ [المائدة/ ٣] وأعلن الرسول أنه قد خيّر فاختار، وأنه سيمرض وسيموت من مرضه، وحذرهم من مغبة الخروج على الشرعية، ولخص لهم الموقف بشكل لا ينسى، فالقرآن هو الثقل الأعظم، وأهل بيت النبوة هم الثقل الأصغر، وكبداية فإن

علي بن أبي طالب هو الولي وهو القائم مقام النبي، فمن كان النبي وليه فعلي وليه، ومن كان النبي مولاه فعلي مولاه. وانفض اجتماع الغدير على هذا الأساس وقبل الناس بكل هذه الترتيبات أو تظاهروا بالقبول، ومن أوائل الذين قبلوا بهذه الترتيبات أو تظاهروا بقبولها أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف... الخ.

نماذج من النصوص الشرعية

عندما أعلن رسول الله النبوة والرسالة قال، في الاجتماع نفسه، عن علي بن أبي طالب.

١ ـ «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»[١].

٢ ـ وقال الرسول لأصحابه: أوحى الله إليّ في علي ثلاث «أنه سيد المسلمين، وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين»[٢].

٣ ـ وقال الرسول لأصحابه مرة أخرى: «أوحى الله إليّ في علي أنه سيد المسلمين وولي المتقين، وقائد الغر المحجلين»[٣].

٤ ـ ودخل علي يوماً على الرسول، وهو جالس بين أصحابه فقال الرسول لعلي: «مرحباً بسيد المسلمين، وإمام المتقين»[٤].

٥ ـ وبينما كان الرسول يجلس مع أصحابه قال لهم: «أول من يدخل هذا

---

(١) هذا الحديث صحيح وقد صححه أبو جعفر الإسكافي وابن جرير الطبري كما ذكر ذلك السيوطي في جمع الجوامع ٦/٣٩٦. ورجاله كلهم ثقات، وقد أرسل أئمة الحديث هذا الحديث إرسال المسلّمات: راجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/١٠٢ ح١٣٨، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٣/٢٥١.

(٢) راجع المعجم الصغير للطبراني ٢/٨٨، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٢٣٥. وأسد الغابة لابن الأثير ١/٦٩. وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٢٥٧ ح٧٨١.

(٣) راجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٢٥٦ ـ ٢٥٧ ح٧٧٩، ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٥/٣٤.

(٤) راجع حلية الأولياء لأبي نعيم ١/٦٦، وكنز العمال ١٥/١٥٧، ح٤٤٣، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٩/١٧٠. وهامش مسند الإمام أحمد ٥/٥٥.

الباب إمام المتقين، وسيد المسلمين، ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين»، ولا أحد منهم كان يعرف من سيدخل، وبعد فترة دخل علي بن أبي طالب فنهض الرسول وعانقه. تلك آية، ودليل قاطع بأن الرسول لا يلقي الكلام على عواهنه كما يزعمون[1].

٦ ـ قال الرسول لأصحابه يوماً: «إن الله عهد إليّ في علي عهداً فقلت يا رب بيِّنه لي، قال الله سبحانه وتعالى: إن علياً راية الهدى بعدي، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين فمن أحبه أحبني، ومن أبغضه أبغضني، فبشره بذلك»[2].

٧ ـ وأعلن الرسول أمام أصحابه مرة قائلاً: «إنّ لكل نبيّ وصياً ووارثاً وإنّ علياً وصيي ووارثي»[3].

٨ ـ وقال لأصحابه: «إن وصيي وموضع سرّي، وخير من أترك بعدي، ينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب»[4].

٩ ـ وقال لفاطمة الزهراء ابنته: «يا فاطمة أما علمت أن الله عز وجل أطّلع على أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبياً، ثم اطلع ثانية فاختار بعلك فأوحى إليّ فأنكحته واتخذته وصياً»[5].

١٠ ـ وقال الرسول يوماً لأصحابه: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[6].

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦٩/٩، وحلية الأولياء ١/ ١٣، والمناقب للخوارزمي ص٤٢، وميزان الإعتدال للذهبي ١/ ٦٤، وفضائل الخمسة ١/ ٢٥٣.

(٢) راجع حلية الأولياء ٦٧/١. وشرح نهج البلاغة ٦٧/٩، والمناقب للخوارزمي ص ٢١٥ و٢٢٠. وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١٨٩/٢ ح٦٨٠.

(٣) راجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/ ٥ ح١٠٣٠ و١٠٣١، والمناقب للخوارزمي ص ٤٢. وميزان الإعتدال للذهبي ٢/ ٢٧٣.

(٤) راجع مجمع الزوائد ١١٣/٩. وكنز العمال ١٥٤/٦. ومسند أحمد ٣٢/٥ الهامش.

(٥) راجع مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٣. وكفاية الطالب ص ٢٩٦ والفصول المهمة ص ٢٨١.

(٦) راجع صحيح الترمذي ٢٩٩/٢. ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٦٤. وتاريخ بغداد ٢٠٢/١١ وكنز العمال ٦/ ٤٠١ نقلاً عن الترمذي وابن جرير.

١١ ـ وقال الرسول لعلي أمام الصحابة: «أنت تبيِّن لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي»[١].

١٢ ـ وكقوله لفاطمة: «أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلماً وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً»[٢].

١٣ ـ جاء النبي إلى فاطمة فوجدها تبكي فقال لها: مالك تبكين؟ لقد أنكحتك أكثرهم علماً وأفضلهم حلماً. .[٣].

١٤ ـ وكقول النبي لأصحابه: «أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب»[٤].

١٥ ـ وكقوله ﷺ لأصحابه: «علي بن أبي طالب أعلم الناس بالله وبالناس»[٥].

١٦ ـ وكقوله لأصحابه: «علي باب علمي، وبين من بعدي لأمتي ما أرسلتما به، حبه إيمان وبغضه نفاق»[٦].

١٧ ـ قال النبي يوماً: «. . . وأقضاهم علي بن أبي طالب»[٧].

---

(١) راجع المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٢٢. وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وذكره المناوي في كنوز الحقائق ص ١٨٨. والمتقي الهندي في كنز العمال ٦/ ١٥٦، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٤٨٨ ح١٠١٧ و١٠١٨. ومقتل الحسين للخوارزمي ١/ ٨٦. ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٥/ ٢٣؛ وكتابنا المواجهة ص ٣٩٥.

(٢) راجع كنز العمال ٦/ ١٥٣ نقلاً عن أحمد بن حنبل والطبراني، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٠١ و١١٤، وقال رواه أحمد والطبراني.

(٣) راجع كنز العمال ٦/ ٣٩٢، وقال: أخرجه إبن جرير وصححه، والدولابي في الذرية الطاهرة.

(٤) راجع كنز العمال ٦/ ١٥٦، وقال: أخرجه الديلمي وذكره المناوي في كنوز الحقائق ص ١٨.

(٥) راجع كنز العمال ٦/ ١٥٦، وقال: أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء.

(٦) راجع: الغدير في الكتاب والسُنّة والأدب للأميني ٣/ ٩٦.

(٧) راجع صحيح إبن ماجه باب فضائل أصحاب الرسول ص ١٤.

وقال ﷺ: «واقضاها علي»، أي أقضىٰ الأمة[1]، وكقوله ﷺ: «كفّي وكف علي في العدل سواء»[2].

١٨ ـ وقال الرسول لأصحابه: «أنا المنذر، وهذا ـ يعني علياً ـ هو الهادي. وبك، يا علي يهتدي المهتدون»[3].

١٩ ـ قال الرسول أمام أصحابه: «النظر إلى وجهك يا علي عبادة، أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة، من أحبك أحبني، وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، الويل لمن أبغضك»[4].

٢٠ ـ وكقوله أمام الصحابة: «أنا وهذا ـ يعنى علياً ـ حجة على أمتي يوم القيامة»[5].

٢١ ـ النص القاطع: قال الرسول لأصحابه: «علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي»[6].

٢٢ ـ وفي يوم من الأيام قال الرسول لمن حوله: «ادعوا لي سيد العرب،

---

(١) راجع الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٨.

(٢) راجع كنز العمال، ٦/ ١٥٣.

(٣) راجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤١٧ ح٩٢٣. والفصول المهمة ص ١٠٧. ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٤، وتفسير الطبري ١٣/ ١٠٨. وتفسير إبن كثير ٢/ ٥٠٢. وتفسير الشوكاني ٣/ ٧٠، وتفسير الرازي ٥/ ٢٧١، والمستدرك للحاكم ٣/ ١٢٩ ـ ١٣٠، والدر المنثور ٤/ ٤٥، وزاد المسير لابن الجوزي ٤/ ٣٠٧، وملحق المراجعات ص ٥١.

(٤) رواه أحمد في مسنده ونقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢٥٣.

(٥) راجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ح٨٠١ ـ ٨٠٣، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٥/ ٩٤، وميزان الإعتدال للذهبي ٤/ ١٢٨.

(٦) راجع سنن ابن ماجه ١/ ٤٤، ح١١٩، وصحيح الترمذي ٥/ ٣٠٠، ح٣٨٠٣، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٢٠، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩ ح٨٨٣ ـ ٨٨٦، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢٠، والجامع الصغير للسيوطي ٢/ ٥٦، ومصابيح السنة للبغوي ٢/ ٢٧٥، والأصول لابن الأثير ٩/ ٤٧١، والمشكاة للعمري ٣/ ٢٤٣.

فقالت عائشة: ألست سيد العرب؟ فقال النبي: أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب»[١].

٢٣ ـ وكقوله لأصحابه: «علي مع الحق، والحق مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة»[٢].

الولي

٢٤ ـ قال الرسول لعلي أمام الصحابة: «أنت وليٌّ في الدنيا والآخرة»[٣].

٢٥ ـ قال الرسول يوماً لعلي أمام الصحابة: «أنت ولي كل مؤمن بعدي»[٤].

٢٦ ـ قال الرسول يوماً أمام أصحابه في معرض رده على انتقاد علي بأخذ جارية: «إن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ، إنه وليكم من بعدي»[٥].

---

(١) راجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٥ ح٧٨٧ ـ ٧٩٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/ ٢٥١.

(٢) راجع تاريخ بغداد ١٤/ ٣٢١، والإمامة والسياسة ١/ ٧٣، ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد ٥/ ٣٠، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٣/ ١٥٣ ح١١٧٢

(٣) أورده الذهبي في تلخيص المستدرك وصححه، وذكره ابن حجر في صواعقه باب ١١ ص ١٠٧، وقال: إنَّ الإمام أحمد أخرجه وصححه، وفي باب ١٢، ص ١٢، والحاكم في مستدركه ص ١٠٩، وابن عبد البر في استيعابه (في أحوال علي)، وذكره الطبراني، وأخرجه البزار في مسنده، والترمذي في صحيحه، ومسلم في صحيحه ٢/ ٢٣ ـ ٢٤، والبخاري في صحيحه ٢/ ٥٨.

(٤) راجع مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٥ بسند صحيح، والإستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ٣/ ٢٨، والإصابة لابن حجر ٢/ ٥٠٩، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٦٤، والمستدرك للحاكم ٣/ ٣٤، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٤١٦ ح٤٩٠.

(٥) راجع صحيح الترمذي ٥/ ٢٩١ ح٣٧٩٦، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٩٧، والمناقب للخوارزمي ص ٩٢، والإصابة لابن حجر ٢/ ٥٠٩، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٦/ ٢٩٤، وأسد الغابة ٤/ ٢٧، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٤٠٠ ـ ٤٠١ ح٤٦٦ ـ ٤٦٨، وجامع الأحول لابن الأثير ٢/ ٤٧٠، وكنز العمال ١٥/ ١٢٤.

٢٧ ـ وكقوله لأحد أصحابه: «لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي»[١].

٢٨ ـ وكقوله للصحابة: «علي مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي»[٢].

الحدث الأعظم في غدير خم

تدرج الرسول بإعلانه ولاية علي بن أبي طالب وإمامته من بعد النبي، فأعلنها أمام الأفراد، وأعلنها أمام الجماعات، ثم أعلنها أمام مائة ألف أو يزيدون في حجة الوداع وفي منطقة يقال لها «غدير خم».

نص قرار الولاية برواية حذيفة بن أبي أسيد الغفاري

خطب رسول الله في الجمع العائد معه في حجة الوداع، وقال في مقطع من خطبته: «أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وإني أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا ـ يعني علياً ـ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»[٣].

نص قرار الولاية برواية زيد بن أرقم

قال الرسول: «كأني دعيت فأجبت... ثم قال: إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فهذا علي وليه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»[٤].

---

(١) راجع كنز العمال ٦/ ١٥٥ (ح٢٥٧٥) و٣٩٧.

(٢) راجع مسند أحمد ٥/ ١١٠، والصواعق المحرقة ص ١٠٣، وكنز العمال ٦/ ٢٩٨.

(٣) راجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر، ٢/ ٤٦ ح ٥٤٧. وكنز العمال ١/ ١٦٨ ح٩٥٨، وينابيع المودّة للقندوزي ص ٣٧.

(٤) راجع خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٢١ وص ٩٣. والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٩٣، وكنز العمّال ١٥/ ٩١، ح٢٥٥.

نص قرار الولاية برواية البراء بن عازب

خطب النبي في غدير خم فقال: . . . ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، فأخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه»[1].

نص قرار الولاية برواية سعد بن أبي وقاص

أخذ رسول الله بيد علي وخطب في غدير خم. . إلى أن قال: «أيها الناس إني وليكم، قالوا: صدقت. ثم رفع يد علي فقال: هذا وليي، ويؤدي عني ديني، وأنا موالٍ من والاه، ومعاد من عاداه»[2].

نص قرار الولاية برواية ثانية لسعد بن أبي وقاص

«كنا مع رسول الله، فلما بلغ غدير خم وقف الناس، ثم رد مع من تبعه ولحق من تخلف، فلما اجتمع الناس إليه قال: «أيها الناس من وليكم؟ قالوا الله ورسوله ثلاثاً، ثم أخذ بيد علي فأقامه ثم قال: «من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه»[3].

---

(١) راجع: ذخائر العقبى للطبري الشافعي ص٦٧، وفضائل الخمسة ١/ ٣٥. والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٣، والفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي ص ٢٤، والحاوي للفتاوي للسيوطي ١/ ٢٢، وكنز العمال ١٥/ ١١٧.

(٢) راجع خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ١٠١، وفضائل الخمسة ١/ ٣٦٥. والبداية والنهاية لابن الأثير ٥/ ٢١٢.

(٣) راجع خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ١٠١، وفضائل الخمسة ١/ ٣٦٥، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٨٢.

التهاني بالإمامة والولاية وإمارة المؤمنين

بهذا الإعلان أمام هذا الجمع الكبير، وفي حجة الوداع أصبح علي بن أبي طالب رسمياً إمام المسلمين، ووليهم، وأمير المؤمنين وتوافد الحاضرون ليقدموا التهاني للولي من بعد النبي، وكان من جملة المهنئين عمر وأبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة، وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وأسيد بن حضير.. الخ، وعبر بعضهم عن تهانيه للإمام علي بجمل مختصرة شاعت وتناقلها الناس، مثل الجملة التي هنأ يها عمر بن الخطاب؛ إذ خاطب الإمامَ علي بقوله: «بَخٍ بَخٍ لك يا ابن أبي طالب، أصبحتَ مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة»[1].

وكقول عمر بن الخطاب الذي ذهب مثلاً: «هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة»[2].

---

(١) راجع: ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٧٥ ـ ٧٨، ح٥٧٧ ـ و٥٨٠، ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص١٨ و٢٤، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٥٩٤، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨/ ٢٩٠، وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ١/١٥٨، ح٢١٣، وسر العالمين لأبي حامد الغزالي، ٢١. وفرائد السمطين للحمويني ١/ ٧٧٠ والغدير في الكتاب والسُنّة والأدب للأميني ١/ ١٣٧٢.

(٢) راجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ١/ ٤٧ ـ ٥٣ ح ٥٤٨ ـ ٥٥٢، والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٩٤، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ٤/ ٢٨١، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٢٤، والحاوي للفتاوي للسيوطي ١/ ١٢٢. ودخائر العقبى للطبري ص ٦٧، وفضائل الخمسة ١/ ٣٥٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ١٩٧، ونظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص ١٠٩، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٣٠ و٣١ و٤٩ وتفسير الفخر الرازي ٣/ ٦٣، وتذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي ص ٢٩، ومشكاة المصابيح ٣/ ٢٤٦، وعبقات الأنوار حديث الثقلين ١/ ٢٨٥، والغدير للأميني ١/ ٢٧٢ نقلاً عن المصنف لابن أبي شيبة، والمسند الكبير لابن العباس الشيباني، والمسند لأبي يعلى الموصلي، وتفسير بن مردويه، والكشف والبيان للثعلبي. وراجع الرياض النضرة للطبري ٢/ ١٦٩، والبداية والنهاية لابن الأثير ٥/ ١١٢، والخطط للمقريزي ص ٢٢٣، وبديع المعاني للأذرعي الشافعي ص ٥٧.

اية الإكمال نزلت بعد تنصيب الإمام علي ابن أبي طالب ولياً وإماماً مباشرة

بعد أن تم تنصيب الإمام علي بن أبي طالب في غدير خم خليفة للنبي وإماماً ووليّاً للمؤمنين والمسلمين من بعد النبي أنزل الله سبحانه وتعالى آية الإكمال، وأعلن رسول الله كمال الدين، وتمام النعمة، والرضى بالإسلام وتلا قوله تعالىٰ في الآية(٣) من سورة المائدة: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**[(١)].

لا ينوب عن الرسول إلا علي بن أبي طالب

إقامة للحجة، وقياماً بواجب البيان، وتوضيحاً للحكم الشرعي، وتثبيتاً لإمامة علي بن أبي طالب وولايته وخلافته للنبي أعلن الرسول أمام الصحابة، أنَّه لا ينوب عنه ولا يؤدي عنه إلا هو بالذات أو علي بن أبي طالب، فقال للصحابة بوضوح وجزم: «علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي»[(٢)].

وتعميماً للحكم الشرعي وإيضاحاً له، ذَكَّر رسول الله أصحابَه بأنه كان قد

---

(١) راجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٧٥، ح٥٧٧ و٥٧٩ و٥٨٠. وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ١/ ١٥٧، ح٢١١ ـ ٢١٥. ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص ١٩، ح٢٤، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ص ٢٩٠، والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٢٥٩. والإتقان للسيوطي ١/ ٢١، والمناقب للخوارزمي ص ٨٠ وتذكرة الخواص للسبط إبن الجوزي ص ٣٠، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٤. ومقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ص ١١٥، وفرائد السمطين للحمويني ١/ ٧٢ و٧٤ و٣١٥، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣١٥، وكتاب الولاية لابن جرير الطبري، وما نزل من القرآن في علي بن أبي طالب لأبي نعيم الأصفهاني، وكتاب الولاية لأبي سعيد السجستاني وتاريخ إبن كثير ٥/ ٢١٠، وروح المعاني للآلوسي ٦/ ٥٥، والبداية والنهاية لابن الأثير ٥/ ٢١٣ و٧/ ٣٤٩ وكتابنا: نظرية عدالة الصحابة ص ٢٥٧.

(٢) راجع سنن ابن ماجه ١/ ٤٤، ح١١٩. وصحيح الترمذي ٥/ ٣٠٠، ح٣٨٠٣، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٢٠ و٣٣. والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٧٩. والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢٥. وتذكرة الخواص للسبط بن الجوزي ص ٣٣٦، وجامع الأصول لابن الأثير ٩/ ٤٧١ ح٦٤٨١ والجامع الصغير للسيوطي ٢/ ٥٦، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٣٧٨ ح٨٨٢ ـ ٨٨٦.

أرسل أبا بكر أميراً على الحج ومعه سورة براءة، ولما سار أبو بكر هبط جبريل بأمر من ربه وأمر رسول الله أن يُلْحِق علياً بأبي بكر ليأخذ منه سورة براءة، ويبلغها للناس نيابة عن الرسول لأنه لا أحد ينوب عن الرسول ويؤدي عنه إلا هو بالذات أو علي بن أبي طالب!

الطاعة

وليحكم الرسول طوق الشرعية، وليسد الطرق أمام الطامعين ويغلق منافذ التلاعب بعواطف المسلمين وأفكارهم أعلن أمام أصحابه أنَّ طاعة الرسول هي طاعة الله، ومعصية الرسول هي معصية لله، وأن طاعة علي هي طاعة للرسول ومعصية علي هي معصية للرسول فقال: «من أطاعني أطاع الله، ومن عصاني عصى الله، ومن أطاع علياً أطاعني، ومن عصى علياً عصاني»(١).

فراق علي فراق لله

وأعلن الرسول أمام أصحابه قائلاً لعلي: «يا علي من فارقني فقد فارق الله، ومن فارقك فقد فارقني»(٢).

الرسول يعلن أنَّ علياً مع الحق دائماً

وقطعاً لدابر المزايدة، وتطويقاً للطامعين، وإمعاناً بالتضييق على الذين كرهوا ما أنزل الله، وأبطنوا التصميم على إلغاء الترتيبات الإلهية بعد موت النبي تحت شعارات الحق الباطل أعلن الرسول أمام الصحابة قائلاً: «عليٌّ، علي الحق،

---

(١) راجع المستدرك للحاكم ٣/ ١٢١ و١٢٨، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ٢/ ٢٦٨، ح٧٩٥ والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٢٠.

(٢) راجع المستدرك للحاكم ٣/ ١٤٦، ودخائر العقبى للطبري ص ٦٦، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٣٥، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٢٦٨، ح٧٩٦ والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٢٠، وميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ١٨. وملحق المراجعات ص ١٤٩ - ١٥٠.

فمن تبعه فهو على الحق، ومن تركه ترك الحق عهداً معهوداً»[1]. وهكذا حَشَر رسول الله أعداء الشريعة في زاويةٍ ضيّقة لتكون معصيتهم لله ولرسوله ثابتة ومع سبق الإصرار، وبدون عذر ولا شبهة[2].

الفهم العام والقبول العام بولاية علي بن أبي طالب وإمامته

فهمت الأمة الإسلامية أنَّ الإمام والولي والقائد والخليفة من بعد النبي هو علي بن أبي طالب، وقبلت الأمة الإسلامية بهذه الترتيبات التي أعلنها النبي، واعتبرتها إلهية وقدراً لا مفر منه، واقتنعت الأمة أو تظاهرت بالإقتناع أنَّ أهل بيت محمد وآل محمد أحق بميراث محمد وسلطانه من غيرهم، واعتبروا إمامة علي بن أبي طالب وولايته وولاية الأئمة من ولده قدر لا مفرَّ منه كالنبوة تماماً، ولم يندهش المسلمون من جمع الهاشميين للنبوة والملك معاً، **﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرةُ﴾** [القصص/٦٨]. **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾** [الأحزاب/٣٦] ثم إن الله أعطى آل ابراهيم النبوة والملك والكتاب كما ورد في التنزيل، ولم يثر هذا الجمع حفيظة أحد، خاصة وأن المسلمين قد سمعوا بأن رسول الله خير من ابراهيم عليهما وعلى آلهما السلام، كما وأنهم قد أحيطوا علماً بالدور المميز لبني هاشم عامة، ولأهل بيت النبوة خاصة في نصرة قضية الإسلام طوال عهدي النبوة في مرحلتي الدعوة والدولة، وأحيط المسلمون علماً بالدور المميز الذي قام به علي بن أبي طالب في مرحلة الصراع المسلح، وبالمكانة التي يتمتع بها علي بن أبي طالب وأهل بيت

---

(١) راجع مجمع الزوائد للهيثمي ٣/١٣٤، وميزان الإعتدال للذهبي ٤/٢١٧، وملحق المراجعات ص ١٠٠ ووردت أحاديث بمعانٍ متفقة مع هذا المعنى بالصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢٢ و١٢٤ والجامع الصغير للسيوطي ٢/٥٦، والمعجم الكبير للطبراني ١/٥٥. والمناقب للخوارزمي ص ١١٠، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/٧٣، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ١/٣٠٥، وملحق المراجعات ص ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٢) راجع كتابنا (المواجهة) الباب الرابع ـ الإمامة أو القيادة في الإسلام ص ٣٤٩. طباعة مركز الغدير للدراسات الإسلامية في بيروت.

النبوة من الناحية الدينية، فالتمسك بهم ثقل والتمسك بالقرآن ثقل آخر، ويقوم الدين من بعد النبي على التمسك بهذين الثقلين.

فسكنت بطون قريش أمام حالتي الفهم العام والقناعة والقبول العام بالترتيبات الإلهية المتعلقة بالإمامة أو الولاية أو الخلافة من بعد النبي، وتظاهرت بقبولها، لأن البطون موقنة بتعذر تغييرها أو تبديلها في ذلك الوقت، ولأنها مهزومة نفسياً ويائسة من الانتصار على محمد في أي مواجهة، ثم إنها بحاجة إلى رجل مناسب ثم إنها كغيرها تفهم أو تتفهم أنَّ محمداً رجل وأقارب الرجل ورهطه الأقربون أولى به.

الأدلة على التفهم والقبول العامَّين بولاية علي

لم يعترض أحد عندما كان رسول الله يعلن النصوص الشرعية المتعلقة بالولاية أو الإمامة من بعده، ولم يعترض أحد عندما أعلن رسول الله في حجة الوداع ولاية علي وإمامته وخلافته للنبي، على العكس لقد تقدم المسلمون في غدير خم وبايعوه، وقدموا له التهاني، ومن جملة المهنئين عمر وأبوبكر وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، ويزيد ومعاوية ابنا أبي سفيان وخالد بن الوليد، وأسيد بن حضير وغيرهم.

شهادة معاوية بن أبي سفيان

معاوية بن أبي سفيان طليق وابن طليق، قاد وأبوه الشرك والمواجهة ضد النبي طوال ٢١ عاماً، وقتَل عليّ بن أبي طالب أخا معاوية وجده وخاله وابن خاله وسادات بني أمية الأحد عشر في يوم واحد. ومع هذا يعترف بحصول الفهم العام لقرار تنصيب الإمام علي إماماً وولياً من بعد الرسول وخليفة له. وجاء هذا الاعتراف في رسالة وجهها معاوية بن أبي سفيان لمحمد بن أبي بكر فقد جاء فيها وبالحرف: «قد كنا، وأبوك معنا، في حياة من نبينا نرى حق ٱبن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا، فلما اختار الله لنبيه ما عنده وأتم له ما وعده، وأظهر

دعوته، وأفلج حجته، قبضه الله إليه فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه، على ذلك اتفقا واتسقا. . . الخ»[1].

شهادة عمر بن الخطاب

ومع أن عمر هو الذي قاد الانقلاب على الشرعية، ونسف الترتيبات الإلهية المتعلقة بالقيادة التي أعلنها الرسول وبينها بياناً كاملاً، إلا أن الله تعالى قد أظهر الحقيقة بفلتات لسانه، فقال في سقيفة بني ساعدة مخاطباً الأنصار «. . . ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم. . . لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل»[2]. أنت تلاحظ أن حجة عمر هي حجة أهل بيت النبوة، وقد وظفها عمر لصالحه، مع أنه من بني عدي، ومحمد من بني هاشم، ولكن عمر يقر صراحة بأن أهل محمد أولى بميراثه وسلطانه، وقد نقلت إقرار عمر هذا بصيغته الأكثرية من المؤرخين.

اعتراف ثان لعمر بن الخطاب

وعمر يجلس على كرسي الخلافة والولاية، ويقول لابن عباس: «أما والله، يا بني عبد المطلب، لقد كان علي بن أبي طالب فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر. . »[3].

اعتراف ثالث لعمر بن الخطاب

قال عمر لابن عباس يوماً: «يا ابن عباس، والله إن صاحبك لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله ولكننا خفنا. . . »[4].

---

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي، ٣/ ١١. ووقعة صفين لنصر بن مزاحم، ص ١١٨ و١١٩؛ حيث تجد النص الحرفي لهذه الرسالة.

(٢) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة، ١/ ٦.

(٣) راجع الراغب في محاضراته، ٧/ ١٣، وكنز العمال، ٦/ ٣٩١.

(٤) راجع شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٠.

اعتراف رابع لعمر بن الخطاب

قال عمر لابن عباس: «... ما أظن صاحبك إلا مظلوماً..»[1].

اعتراف صريح خامس لعمر

اعترف عمر يوماً بصراحة بأن الولاية والإمامة كانت لعلي فزحزحت عنه حيث قال: «إن الأمر كان لعلي بن أبي طالب فزحزوه عنه لحداثة سِنّه والدماء التي عليه»[2]. فهذا إقرار واضح بأن عمر بن الخطاب كان يعلم علم اليقين بأن الأمر كان لعلي بن أبي طالب، وكيف ينسى ذلك، وقد قدم له التهاني في غدير خم كما أسلفنا.

إقرار سادس من عمر

كان عمر بن الخطاب يقف على المنبر، فقال له الحسين بن علي: أنزل عن منبر أبي، فقال [عمر]: مَن عَلَّمَكَ هذا؟ قلت [الحسين]: ما علَّمَنيهِ أحد، قال [عمر]: منبر أبيك والله، منبر أبيك والله...[3].

عامة المهاجرين والأنصار

قال علامة المعتزلة ابن أبي الحديد، نقلاً عن ابن إسحاق: «كان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون بأن علياً بن أبي طالب هو صاحب الأمر بعد رسول الله».

---

(1) المصدر نفسه، ٢/١٨.

(2) راجع الطبقات لابن سعد ٣/١٣٠.

(3) راجع ترجمة الإمام الحسين من تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/٢٠١ تحقيق محمد المحمودي الطبعة الثانية ـ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية سنة ١٤١٤هـ.

شهادة قيس بن سعد

قال قيس بن سعد بن عبادة، بعد بيعته لعلي: «أيها الناس، إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا»[1].

شهادة المقداد بن عمر

قال المقداد بن عمر: «واعجبا لقريش ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيهم وفيهم أول المؤمنين، وابن عم رسول الله، وأعلم الناس وأفقههم في دين الله، وأعظمهم عناء في الإسلام، وأبصرهم في الطريق وأهداهم إلى الصراط المستقيم، والله لقد زوروها عن الهادي المهتدي الطاهر التقي، والله ما أرادوا إصلاحاً في الأمة، ولا صواباً في المذهب ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة، فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين»[2].

الأنصار بأسرها

الأنصار بأسرها قد تخلفت عن بيعة أبي بكر وقالت: لا نبايع إلاّ علياً أو قالت: منا أمير ومنكم أمير[3].

أبو بكر نفسه

بعد أن أقيمت الحجة على أبي بكر، قال: «أقيلوا بيعتي»[4] وقال مرّة: «أقيلوني بيعتي، فلست بخيركم وعليّ فيكم». وانظر إلى قوله: «إني قد وليت عليكم ولست بخيركم».

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٥/٢٢٨، والكامل لابن الأثير ٢/١١٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/٢٣.

(٢) راجع تاريخ اليعقوبي، ٢/١٤٠.

(٣) راجع مسند أحمد، ١/٤٠٥، وطبقات بن سعد ٢/١٢٨.

(٤) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/١٥.

مفاعيل البيان النبوي

عندما جلس النبي على فراش الموت كانت الأمة كلها على علم بالبيان النبوي لعصر ما بعد النبوة، وحتى قيام الساعة، وكانت على علم بأن علياً بن أبي طالب هو الإمام والولي والخليفة من بعد النبي وأن ابنه الحسن هو الإمام من بعد أبيه علي، وأن الحسين هو الإمام من بعد أخيه الحسن، وكانت على علم بالدور المميز لأهل بيت النبوة في قيادة الأمة من بعد النبي. وكانت على علم من عمق الارتباط والتصوّرات الشرعية بين الله ورسوله والقرآن من جهة، وبين الولي والإمام علي وأهل بيت النبوة من جهة أخرى.

كان من غير المتصوّر نجاح أي قوة بتقطيع شبكة الترابط هذه، أو تعكير شاشة هذا التصوّر، ولم تكن تدري أن الانقلابيين، وخصوم الأمس قد دبروا أمرهم بليل بهيم.

* * *

الفصل الثاني
الإمامة والولاية الشرعية
من بعد علي بن أبي طالب

ليضفي الإسلام على منصب الإمامة والولاية طابع المؤسسة والإستقرار إدراكاً منه لخطورتها، لم يكتف الرسول ببيان أنَّ الإمام والولي من بعده هو علي بن أبي طالب، بل بَيَّن للمسلمين أسماء الأئمة الاثني عشر إلى يوم الدين، فبَيَّن أن أول الأئمة وولاة الأمر من بعده هو علي بن أبي طالب، يخلفه ابنه الإمام الحسن، ويخلف الحسن أخوه الإمام الحسين، ولا خلاف بين اثنين من أبناء الملة بأن رسول الله قد سمى الحسن إماماً وسمى الحسين إماماً خلال حياته، والجميع يرسلون هذه الحقيقة إرسال المُسَلَّمات، ثم من بعد الحسين ابنه علي بن الحسين. عن عبدالله بن جعفر الطيار قال: «سمعت رسول الله يقول: إني أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أخي علي بن أبي طالب أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابني الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»(١). وفي حديث طويل أن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: «قلت يا رسول الله، ومن الأئمة من ولد علي بن أبي طالب؟ فقال الرسول: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ثم علي زين العابدين، ثم الباقر. . .الخ» حتى يكتمل عددهم اثنا عشر إماماً. وقال عبدالله بن جابر الأنصاري: لما أنزل الله على نبيّه ﴿**يا أيُّها ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولي الأَمْرِ مِنكُمْ. .**﴾[النساء/ ٥٩] قلت: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله، فمن هم أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال الرسول: هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين بعدي، أولهم علي بن أبي طالب ثم

(١) راجع اعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ للطبرسي، ص ٢٧، وسيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ١٩١.

الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين. . . الخ حتى يكتمل عددهم اثنا عشر إماماً.

وعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله يقول: «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون»[1].

وفي هذا السياق، وحين حضرت الوفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كانت وصيته للإمام الحسن بالنص التالي: «يا بني، إنه أمرني رسول الله أن أوصي إليك وادفع إليك كتبي وسلامي كما أوصى إليّ ودفع إليّ كتبه وسلامه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثم أقبل على ابنه الحسين، فقال وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين، وقال وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي فاقرئه من رسول الله ومني السلام».

الاتفاق على عدد الأئمة

الأمة الإسلامية متفقة على أن عدد الأئمة الشرعيين من بعد النبي أثنا عشر إماماً، وأن هؤلاء الأئمة، الاثني عشر، هم الصفوة[2]، هذا على صعيد أهل السنة، ولا خلاف بين اثنين من شيعة أهل بيت النبوة الصادقة حول هذا العدد، فإلى هذا العدد أشارت النصوص الشرعية، وإلى هذا العدد أشارت أحاديث الأئمة الأطهار.

---

(١) راجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٢/ ٤٤٥، والقمّي الرازي كفاية الأثر ص ١٩، وعيون الأخبار، ص ٣٨، وسيرة الرسول وأهل بيته، ٢/ ١٨٩.

(٢) وإلى العدد أشار البخاري في صحيحه ٩/ ٧٢٩ ح٢٣٤، ومسلم في صحيحه ٣/ كتاب الإمارة ح١٤٥٢، والترمذي في صحيحه ٤/ ٥٠١، وأبو داود في مسنده ٢/ ٢٠٧ - كتاب المهدي - وأحمد في مسنده ١/ ٣٩٨، والمتقي الهندي في كنزه ٦/ ٢٠١، راجع كتابنا الخطط السياسية ص ٣٥٤.

الاختلاف على من هم الأئمة

بعد أن أجمعت الأمة على أن الأئمة من بعد النبي اثنا عشر إماماً، وأنهم هم الصفوة، اختلفت على من هم الأئمة. فالحكام وشيعتهم قالوا إن الأئمة الاثني عشر من بعد النبي هو الحكام الذين حصلوا على منصب الخلافة والولاية من بعد النبي بالقوة والتغلب أو بعهد من قوي متغلب، حسب تسلسلهم الزمني بدءاً من الخلفاء الأربعة الذين عرفوا بالراشدين ومروراً بمعاوية بن أبي سفيان، وولده يزيد، ومروان بن الحكم وأولاده، وعندما اكتشفت شيعة الحكام فضائع وفضائح بعض الخلفاء، وأنه لا يمكن الإقتناع بأن من تصدر عنهم هذه الفضائح والفضائع، صفوة، لذلك انتقوا اثني عشر خليفة اعتقدوا بأنهم الأصلح وقالوا إنهم هم الاثنا عشر إماماً الذين عناهم رسول الله، ونفوا نفياً قاطعاً بأن يكون أحد آخر غيرهم، فهم ملتصقون بالواقع التاريخي، يتشبثون بكل شيء ويحرفون كل شيء عن مواضعه حتى يضفوا ستر الشرعية والمشروعية على ذلك الواقع التاريخي، لأنهم لو سلموا بالشرعية الإلهية لانهار الكهف على من فيه.

أما دعاة الشرعية، أئمة أهل بيت النبوة وشيعتهم المخلصون، فيرون أن رسول الله هو الإمام الأعظم وهو القدوة، وهو الأعلم والأفهم بالدين، والأقرب إلى الله، وأصلح الخلق وأفضلهم للقيادة والإمامة والولاية، وهو المؤتمن على الدين والدنيا ومن هنا كان إماماً لعلم الله اليقيني بامتلاك النبي لهذه الصفات وخليفته، والإمام من بعده يجب أن يكون معداً إعداداً إلهياً ومؤهلاً وممتلكاً لهذه الصفات حتى يكون مؤتمناً على مصالح المعاد والعباد ومميزاً عن غيره بها.

ومن المهازل حقاً أن يكون معاوية أحد الأئمة مع كل ما فعله، وأن يكون ابنه يزيد المشهور بفجوره وعهره إن لم يكن بكفره أحد الأئمة، مع أنه قد هدم الكعبة، وأشرف على قتل الحسين ابن رسول الله وأباد ذرية محمد وآله في كربلاء، وقتل عشرة آلاف صحابي يوم الحرة في يوم واحد، وختم أعناق من تبقى من الصحابة وأيديهم إمعاناً في إذلالهم! ومن المدهش بالفعل أن يكون مروان بن الحكم إماماً مع أنه الملعون وأبوه وما في صلبهما على لسان رسول الله!

ولكن العجب والدهشة يزولان إذا عرفنا أن وسائل الإعلام كانت مملوكة للخليفة الغالب طوال التاريخ، ومفاتيح الأموال كانت بيده، والسلطة والنفوذ رهن إشارته، وهذه أسلحة فتاكة لها القدرة على تصوير الأسود بلون الأبيض، وقلب الأبيض إلى أسود، ومع الأيام والتكرار، وبحكم العادة وسنن الخلفاء ونتيجة لاختلاط الأوراق، ألقي بروع العامة والخاصة من شيعة الحكام أن كل ما بثته وروجت له وسائل الإعلام كان صحيحاً، وأن الخلفاء ومن والاهم لا يكادون ينطقون إلا حقاً! ولم لا؟ أليس هم خلفاء الرسول! ولله عاقبة الأمور.

الأئمة الشرعيون من بعد النبي إثنا عشر إماماً

لا خلاف بين اثنين من أبناء المِلّة على أن الإمامة تعني القدوة، وتعني المثال، وتَعني المسؤولية والمرجعية، فإمام كل شيء قيِّمه والمصلح له، تلك مُسَلّمات لغوية لا مجال لإنكارها.

ولا خلاف بين اثنين من أبناء المِلَّة بأن الإمامة تَعني شرعياً خلافة الرسول في أمور الدين والدنيا. وقد أجمعت الأمة على صحة النص الشرعي القائل «بأن الأئمة من بعد النبي أثنا عشر إماماً. وقد فشلت كل محاولات علماء الخلافة التاريخية لتفصيل هذا العدد على واقع الخلافة التاريخي، لمجموعة أسباب منها أن العدد ١٢ لا يستغرق تاريخ الخلافة، وأن الخلفاء لم يكونوا قدوة، ولا كانوا مراجع وأنهم جميعاً وبلا استثناء قد حصلوا على منصب الخلافة بالقوة والتغلب والقهر أو بعهد من خليفة متغلب قاهر فسلطتهم جميعاً أساسها الغصب والقهر، ولبعض الخلفاء أعمال تخجل الشياطين منها، ولعن بعضهم رسول الله، وبعضهم تجبر وهدم الكعبة وجاهر بمعاصيه وكفره، وقتل أبناء الرسول، . الخ ومن كانت هذه صفاتهم لا يمكن عقلاً أن يكونوا أئمة شرعيين، بالمعنى السامي النبيل اللائق بخلافة النبي، وتبليغ الدين وبيانه نيابة عن رسول الله، والمتفق مع حقيقة أن محمداً آخر الرسل وخاتم النبيين وأنه ليس بعد الإسلام دين.

ويبقى بالضرورة الاعتماد على أهل بيت النبوة بوصفهم أحد الثقلين لمعرفة

الحقائق الشرعية المتعلقة بهذه الناحية، لأنهم ورثة العلم النبوي، ولأنهم سفينة نوح، وباب حطة، ونجوم الهدى وقد أكد عمداء أهل بيت النبوة «الأئمة» أن الأئمة من بعد النبي أثنا عشر إماماً أولهم علي بن أبي طالب، والثاني عشر منهم هو المهدي عجل الله فرجه، وعلىٰ الرغم من موالاة علماء دولة الخلافة للخلفاء، وعلىٰ الرغم من ملكية دولة الخلافة التاريخية لوسائل الإعلام، ومفاتيح الأموال، ونفوذ السلطة، إلا أنهم قد أوردوا آلاف النصوص الشرعية التي تؤكد صحة بيان أهل بيت النبوة لهذه الناحية وهو بيان قائم على الجزم واليقين فالأئمة الشرعيون من بعد النبي هم اثنا عشر وبالتفصيل التالي:

الإمام الشرعي الأول: علي بن أبي طالب[1]

جاءت إمامة الإمام علي من الاختيار الإلهي، فعلي بن أبي طالب أحد الخيرتين الإلهيتين، فقد اختار الله رجلين من أهل الأرض فجعل أولهما نبياً ورسولاً وهو محمد ﷺ، وجعل ثانيهما وصياً وإماماً ووليماً وخليفة للمسلمين من بعد النبي.

وجاءت إمامة الإمام علي من البيان النبوي للمسلمين طوال عهد النبوة بمرحلتي الدعوة والدولة، ومن المستحيل عقلاً أن ينفرد الرسول بقرار تعيين خليفته والإمام والولي من بعده، أو لا يصحح هذا القرار أو يُصادق عليه بالوقت الذي كان فيه الوحي الأمين يرافق الرسول كظله! وقد تدخل الوحي بأمور أقل أهمية فَنَظَّم الصيد، وَنَظَّم السفر، كما تدخّل الوحيُ بأمور شخصية جداً، فكشف زوجتي الرسول اللتين تظاهرتا عليه وحتى أن زواج ابنته الزهراء تم بأمر من الله، وتدخل الوحي حتى في أسماء أولاد النبي، فالله تعالىٰ هو الذي سمى الحسن والحسين، فهل بعد هذا يُعقل أن يعيّن النبي خليفته من تلقاء نفسه وبدون الموافقة الإلهية؟ وهل يعقل أن تصدر عن النبي مئات النصوص المتعلقة بالإمامة والولاية

---

(١) راجع الفصل الأول من هذا الباب: (نماذج من النصوص الشرعية المتعلقة بتعيين الإمام علي إماماً من بعد النبي).

والخلافة من بعده بدون الموافقة الإلهية؟ بل وهل يعقل أن يتوج رسول الله علياً بن أبي طالب في غدير خم ولياً وإماماً للمؤمنين من بعده وأمام مائة ألف مسلم، وأن يتلقى الإمام علي بن أبي طالب التهاني بدون علم الله وموافقته ورضاه؟ وكيف نوفق بين مئات النصوص التي تتضمن ولاية علي وإمامته وخلافته للنبي وبين قوله تعالى: ﴿إنْ أتّبعُ إلاّ ما يُوحَى إليَّ﴾ [الأنعام/ ٥٠]!! كل هذا يؤكد أنَّ الله تعالى الذي اختار محمداً للنبوة والرسالة والإمامة قد اختار علياً بن أبي طالب للإمامة والولاية والخلافة من بعد النبي ورتب أمور قيادة الأمة حتى قيام الساعة، وأمر الله الرسول أن يصدع بما يؤمر، وأن يبين للناس ما أوحي من ربهم. ومن هنا جاءت إمامة الإمام علي من اختيار الله تعالى له، ومن بيان الرسول لهذا الاختيار الإلهي، ومن المؤهلات الفريدة التي كانت تتوفر بالإمام علي ولم تتوفر بأقرانه، فقد أعلن رسول الله أن وصيه، وخليفته من بعده هو علي بن أبي طالب. وقياماً بواجب البيان أعلن رسول الله أن علياً بن أبي طالب هو الإمام وهو القائد وهو سيد المسلمين ولم يكتف الرسول بذلك إنما بيَّن للمسلمين أن علياً بن أبي طالب هو ولي المسلمين من بعده، وهو ولي كل مسلم ومسلمة، ومن لم يقبل بولاية علي بن أبي طالب فليس بمؤمن، وأن ولاية علي كولاية الرسول وولاية الرسول كولاية الله، «وأن طاعة علي كطاعة الرسول وطاعة الرسول كطاعة الله، ومعصية علي كمعصية الرسول، ومعصية الرسول معصية لله»[1] وحتى لا تنسى الأمة ذلك جمع الناس بعد حجة الوداع وفي مكان يدعى غدير خم، وأعلن إمامة علي بن أبي طالب وولايته من بعد النبي، وطلب من المسلمين أن يقدموا له التهاني بالإمامة والولاية واستجاب المسلمون له ومن جملة الذين قدموا التهاني أبو بكر وعمر وعثمان وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد، وأسيد بن حضير وأركان السقيفة في ما بعد[2].

---

(١) راجع ص ١٥٩ (الطاعة).

(٢) راجع ص ١٦٦ (التهاني بالإمامة والولاية وإمارة المؤمنين).

وليغلق الرسول دائرة الخلاف، وليضع الأمة أمام الحقيقة أعلن أن لا أحد في الدنيا يؤدي عن الرسول إلا الرسول بالذات أو رجل منه، وعلي بن أبي طالب هو الوحيد الذي يؤدي عنه[1]. ولقد لقن رسول الله هذا الإعلان لأبي بكر تلقينا كي لا ينساه، فقد أرسله الرسول أميراً على الحج وطلب منه أن يبلغ سورة براءة، وما أن سار أبو بكر حتى هبط جبريل بأمر من ربه وطلب من رسول الله أن يُلحق علياً بأبي بكر ليأخذ منه سورة براءة ويبلغها للناس، لأن أبا بكر أو غيره لا يؤدّون عن النبي. وبالفعل لحق علي بأبي بكر وأخذ منه سورة براءة وبلغها للناس نيابة عن الرسول، ولما عاد أبو بكر سأل رسول الله عن أسباب أخذ السورة منه فأخبره رسول الله أن جبريل قد نزل عليه وأمره بما فعل، إذ لا أحد في الدنيا يؤدي عن رسول الله إلا الرسول نفسه أو رجل منه، فكانت موعظة خاصة لأبي بكر وتلقيناً محدَّداً له لو وعاه لتغير مجرى التاريخ، وواقعة أخذ سورة براءة من أبي بكر حقيقة أجمعت الأمة على صحة حدوثها. وهكذا أعلن رسول الله إمامة وخلافة علي بن أبي طالب له بكل وسائل الإعلان، وبكل الألفاظ والمصطلحات التي تدل على منصب الإمامة أو القيادة أو الولاية من بعد النبي، ومن المحال أن تتم هذه الإعلانات بدون علم الله أو رضاه، أو موافقته.

ولم ينطلق هذا الاختيار الإلهي من فراغ، فعلي بن أبي طالب هو ابن عم النبي الشقيق، وقد تربى رسول الله في بيت عمه أبي طالب وبقي عنده حتى تزوج، وبعد فترة من ولادة علي بن أبي طالب كفل رسول الله ابن عمه علي ورباه. وبقي علي في بيت رسول الله حتى تزوج ابنته الزهراء، وبعد زواجه المبارك بقي مقيماً هو وزوجته في بيت رسول الله حتى فرق الموت بينه وبين رسول الله مما يَعني أن علياً كان أقدم اتباع النبي وألصقهم به، وأقربهم إليه، فقد ضمه النبي ورباه كابن له، وأعده إعداداً خاصاً ليخلفه، وزقَّهُ بالعلم زقّاً ليكون بجدارة الأعلم والأفهم والأقدر. ولما بلغ علي أشده زوَّجه الرسول ابنته الزهراء، فكان علي للرسول

(١) راجع ص ١٦٧ تجد مراجع الحديث (علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلاّ أنا أو علي).

بمثابة ابن العم الشقيق، والابن والأخ والصاحب والصديق والوزير، يتبع رسول الله اتباع الفصيل لأثر أمه ويرفع له الرسول يومياً من سمو أخلاقه، ويغدق عليه من ينابيع علمه اللدني.

ولما نال رسول الله شرف النبوة والرسالة، وتآمرت عليه بطون قريش الـ٢٣ احتضنه عمه أبو طالب من بطش قريش فشكل من أولاده وممَّن والاه من الهاشميين والمطلبيين فريق حماية وحضانة للنبي الداعي لدعوة الإسلام، ونسف كل مخططات بطون قريش. ومن هنا نفهم قول رسول الله: «ما نالت مني قريش حتى مات أبو طالب»[1] ونفهم لماذا سمى رسول الله العام الذي مات فيه أبو طالب بعام الحزن. وخلال عمر النبي المبارك كانت زوجة أبي طالب بمثابة أم حقيقية للرسول تحبه أكثر مما تحب أولادها[2] لقد احتضن أبو طالب وزوجته وأولاده رسول الله حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره، ولما جهر الرسول بدعوته حموه وحموا دعوته، ولما قاتل الرسول أعداءه كانوا حملة لوائه والموت الزؤام على أعدائه. ورسول الله الأولى برد الجميل جميلاً والإعداد والتأهيل الإلهي لعلي بن أبي طالب جعله أوحد زمانه فكان هو الأعلم والأفهم بالدين، والأتقى لله والأقرب لله ولرسوله والأفضل والأصلح، وهذه مقومات الإمامة الشرعية.

والدور النضالي البارز للإمام علي، فهو بطل بدر، وبطل أحد، وبطل الخندق، وبطل خيبر، وهي المعارك التي كانت فيصلاً بين الحق والباطل لقد قتل الإمام علي صناديد بطون قريش، وغرس في نفوسهم الإحباط والشعور بالهزيمة ويأسهم من الانتصار على النبي، لقد كان فارس الإسلام بغير منازع.

إننا أمام نموذج بشري فريد من نوعه، فقد كان علي بن أبي طالب هو الأعلم والأفهم بالدين، وهو الأتقى لله، وهو الأقرب لرسول الله وهو الأفضل والأصلح لقيادة الأمة، وهو الأقوى والأشجع، فلم يكن على وجه الأرض رجل له القدرة

---

(١) راجع تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٥، وسيرة الرسول وأهل بيته ١/ ٨٤ ـ ٨٥، والكامل لابن الأثير ٢/ ٩١.

(٢) راجع تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٤٠.

على الوقوف أمامه، لقد كان أوحد زمانه. وبتعبير أدق لقد أعده الله وأهَّله للإمامة من بعد النبي.

ومن هنا جاءت إمامته من الاختيار الإلهي، ومن البيان النبوي، ومن التأهيل والإعداد الإلهي الذي جعل علياً بن أبي طالب مؤهَّلاً وحيداً للإمامة والولاية والمرجعيّة وخلافة النبي بعد موته. فكان هو الإمام الأوّل المرتضى.

منزلة الإمام الأول من رسول الله

كانت منزلة علي بن أبي طالب من رسول الله كمنزلة هارون من موسى، لقد كان شريكاً بالأمر من جميع الوجوه إلا أنه ليس نبياً. لذلك أعلن رسول الله أمام المسلمين وخاطب علياً قائلاً: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» ما يَعني أن لعلي بن أبي طالب كافة المنازل التي كانت لهارون، ولم يستثن من هذه المنازل إلا النبوة، ومن المعروف أن المنازل التي كان يتمتع بها هارون مع موسى هي الوزارة وشد الأمر وخلافة موسى عند غيابه.

وقد أجمعت الأمة على صحة هذا الحديث، وعلى صدوره من رسول الله، وقد اعترف بصحته معاوية بن أبي سفيان المشهور بكراهيته للإمام علي وأهل بيت النبوة وبحقده عليهم[1].

وامتداداً لهذه المنزلة وتركيزاً لها في النفوس سمى رسول الله أولاد علي بأسماء أولاد هارون فحسن وحسين ومحسن يعادلون شبر وشبير ومشبر أولاد هارون[2].

---

(١) راجع صحيح الترمذي ٥/٣٠٤، وصحيح البخاري ٥/١٢٩. وصحيح مسلم ٢/٢٦٠، ومسند الإمام أحمد ٣/ ٥٠. والمستدرك للحاكم ٣/١٠٩، وتاريخ الطبري ٣/ ١٠٤.

(٢) راجع الأدب المفرد للبخاري ص ١٢٠، والمستدرك على الصحيحين ٣/١٦٥، رقم الحديث ٤٧٧٣/ ٣٧١، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١١٥. ومسند أبي داود ١/١٩، وسنن البيهقي ٣/ ٣٠٤.

الأئمة من بعد علي بن أبي طالب/الآباء والأمهات

لقد أعلن رسول الله بأمر من ربه بأن علياً بن أبي طالب هو الإمام وهو الولي وهو الوصي وهو السيد وهو الخليفة من بعده، لأنه منه بمنزلة هارون من موسى، وأن علياً بن أبي طالب هو أول الأئمة الشرعيين الاثنى عشر الذين اختارهم الله تعالى لقيادة الأمة الإسلامية. فأول الأئمة علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي المنتظر عجل الله فرجه.

وعلي بن أبي طالب، معروف، تظافرت النصوص الشرعية ونطقت بإمامته وخلافته ومرجعيته، ومواقفه المجيدة ومؤهلاته الفريدة شاخصة بالأذهان، وقد فشلت وسائل إعلام الخلفاء وأموالهم ومراكز نفوذهم بزحزحة الإمام من مكانه الفرد أو النيل من مكانته السامية، وأدرك الخلفاء أن حقيقة من حقائق الكون كوجود الشمس والقمر، والسماء والأرض، وإن أعلامهم وأموالهم ونفوذهم أقل وأذل من إحداث تغييرات جوهرية في حقائق الكون لذلك يئسوا، وركزوا أسلحتهم لطمس ذكر الأئمة الإحدىٰ عشر من بعد علي. وقد نجحوا إلى حد ما باستقطاب الغوغاء والعامة حولهم، وتجهيلهم بالأئمة الأعلام.

لقد أعلن رسول الله منذ البداية، أنه لن تكون له ذرية من صُلْبه. كانت ذراري الأنبياء والرسل من أصلابهم، وشاءت الإرادة الإلهية أن تكون ذرية النبي من صلب علي بن أبي طالب، إمعاناً بالتمييز النبوي، وإبرازاً لمنزلة علي، فرسول الله هو ولي وعصبة وأبو أولاد علي بن أبي طالب. انظر إلى قوله ﷺ «إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي»[1]. وقوله «كل بني أنثى ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم»[2]. وانظر

(١) راجع كنز العمال ١/ ١٥٢، حديث ٥٢١٠.

(٢) أخرجه الطبراني وهو الحديث ٢٢ من الأحاديث التي أوردها ابن حجر في الفصل الثاني من الصواعق المحرقة ص ١١٢. وراجع المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/ ١٦٤.

إلى قوله عن علي «وأما أنت يا علي فأخي وأبو ولدي»[1] وقوله أيضاً مشيراً لعلي: «هذا أخي وابن عمّي، وصهري، وأبو ولدي»[2]. ولا خلاف على صحة مضامين هذه النصوص عند أهل بيت النبوة. فمحمد هو والد الأئمة.

الزواج المبارك

فاطمة بنت محمد هي سيدة نساء العالمين بالنص[3]. وهي أحب الخلق إلى رسول الله، رضاه من رضاها وسخطه من سخطها كما يجمع على ذلك أهل الملة[4].

خطبها من رسول الله أبو بكر فرفض النبي تزويجها له، وخطبها عمر فرفض النبي ذلك، وقال إنه ينتظر الأمر الإلهي[5].

وجاء الأمر الإلهي وأعلن الرسول أمام الصحابة أجمعين قائلاً: «بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي بأن الله زوج علياً فاطمة»[6].

الاختيار الإلهي

أنت تلاحظ أن الله تعالى هو الذي اختار محمداً نبياً ورسولاً، وأن الله تعالى هو الذي اختار علياً وصياً وإماماً وخليفة من بعد النبي، وهو نفسه جلت قدرته هو

---

(١) راجع المناقب للخوارزمي ص ٢٧.

(٢) راجع الغدير في الكتاب والسُنّة والأدب للأميني ٣/١١٩.

(٣) راجع الاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ٤/٢٧٧ و٢٨٤ و٢٨٥ والإصابة لابن حجر ٤/٣٧٨، وأسد الغابة لابن الأثير ٥/٤٣٧.

(٤) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص٥، وما بعدها لتقف علىٰ حوارها مع أبي بكر وعمر واعترافهما بذلك.

(٥) راجع مجمع الزوائد للهيثمي الشافعي ٩/٢٠٥ و٢٠٦، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ١١٤، والصواعق المحرق لابن حجر ص ٣٩!، وأسد الغابة لابن الأثير ١/٣٨ وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ٢٣٩.

(٦) راجع المناقب للخوارزمي ص ٢٤٦، ومقتل الحسين للخوارزمي ١/١٠، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٣٠٤، وأسد الغابة لابن الأثير ١/٢٠٦، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٧١.

الذي اختار علياً زوجاً ووالداً للأئمة واختار فاطمة زوجة وأماً للأئمة، وهو نفسه الذي اختار أن تكون ذرية النبي من صلب علي كما أسلفنا في الصفحات السابقة، فالأئمة الكرام هم أبناء علي وأولاد الرسول حسب القرار الإلهي ولأنهم أولاد ابنته[1]. والله سبحانه وتعالى هو الذي اختار الأئمة وسماهم قبل أن يولدوا، ثم أعدهم للإمامة.

الأئمة الكرام سلالة أسياد الجنس البشري

محمد رسول الله هو سيد ولد آدم بلا خلاف، وعلي هو سيد العرب وسيد المسلمين بالنص الشرعي كما وثقنا من قبل، وفاطمة بنت محمد هي سيدة نساء العالمين، فتزوج عليٌّ سيّدُ العرب وسيّدُ المسلمين فاطمةَ سيدةَ نساء العالمين، ومن هذا القران المبارك وثمرة لهذه العلاقة الشرعية المقدَّسة جاء الإمام الحسن، وجاء الإمام الحسين، ثم تزوَّج الحسين ابنة كسرى ملك الفرس فولدت له الإمام علي بن الحسين، ومن ذرية الإمام علي بن الحسين كان الأئمة الثمانية الآخرون.

وبعد ذلك يسهل استعراضنا الوجيز للأئمة الشرعيين الذين اختارهم الله تعالى وأعدهم وأهلهم للإمامة والقيادة والمرجعية، وأمر رسولَه أن يعلنهم للأمة، وأن يبيِّن عددهم، وأن يسمّيهم بأسمائهم حتى قبل ولادتهم إمعاناً بالإعجاز وإقامة للحجة.

من هم الأئمة الشرعيون الأحد عشر المؤهلون لقيادة الأمة من بعد علي بن أبي طالب؟

يبدو واضحاً، على الرغم من سيطرة الانقلابيين على الشرعية وأوليائهم على الإعلام والمال والنفوذ أنَّ الخاصة والعامة من المسلمين كانت على علم يقيني ببيان النبي وتصريحاته بأن الإمام من بعده هو علي بن أبي طالب، وأن الإمام

---

(١) راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ٢٣٩ وما بعدها.

من بعد علي هو الحسن بن علي، وأن الإمام من بعد الحسن هو الحسين بن علي وأن الإمام من بعد الحسين هو ابنه علي بن الحسين، وأن الإمام من بعد علي بن الحسين هو ابنه محمد بن علي، ومن ذريته ستكون بقية الأئمة الاثني عشر كما سمّاهم ورتبهم رسول الله بأمر من ربه.

فقد روى عبدالله بن عباس، وأسامة بن زيد، وعبدالله بن جعفر أن رسول الله قد قال: «أنا أولى بالمؤمنين، وأخي علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابني الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابني الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وستدركه يا علي، ثم ابني محمد بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا حسين»[1]. ولا خلاف عند أهل بيت النبوة في ذلك.

ولا خلاف عندهم في وصية الإمام علي للحسن، فحين حضرت الوفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كانت وصيته للحسن... «يا بني إنه أمرني رسول الله أن أوصي إليك، وادفع إليك كتبي وسلامي، كما أوصى إليَّ ودفع إلي كتبه وسلامه، وأمرني رسول الله أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثم أقبل علي على ابنه الحسين فقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين، قال: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي فاقرئه من رسول الله ومني السلام».

ولا خلاف عند أهل بيت النبوة في قول رسول الله للحسين والوارد في الحديث الآتي: «قال الحسين بن علي دخلت على جدي رسول الله، فأجلسني على فخذه وقال لي إن الله اختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة تاسعهم قائمهم وكلهم في الفضل سواء»[2]. وعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله يقول: «أنا

---

(١) راجع إثبات الوصية للمسعودي ص ١٩٠. وأعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي ص ٢٧، وسيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ١٩١.

(٢) راجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٢/ ٤٤٥، وإكمال الدين للصَّدُوق ص ١٥٧ وسيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ١٨٩.

وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون»[1].

قال جابر بن عبدالله الأنصاري: لما أنزل الله على نبيه **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** [النساء/ ٥٩] قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن هم أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال الرسول: هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن بن علي، ثم الحسين بن علي، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم محمد بن الحسن المهدي»[2].

انتقال منصب الإمامة من إمام إلى إمام

بأمر من الله عهد رسول الله بالإمامة والولاية والخلافة من بعده لعلي بن أبي طالب.

وبأمر من الله تعالى وبيان من رسوله عهد علي بن أبي طالب بالإمامة والولاية والخلافة من بعده للحسن بن علي.

وبأمر من الله ورسوله وأمير المؤمنين علي عهد الحسن بالإمامة والولاية والخلافة من بعده لأخيه الحسين بن علي.

وبأمر من الله ورسوله وعلي والحسن عهد الحسين بالإمامة والولاية والخلافة من بعده لابنه علي بن الحسين المعروف بزين العابدين.

ووفق النسق نفسه والروى عهد علي بن الحسين بالولاية والإمامة والخلافة من بعده لابنه محمد بن علي المعروف بالباقر.

---

(١) راجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٢/ ٤٤٥، وكفاية الأثر للقُمّي الرازي ص ١٩. وإكمال الدين للصدوق ص ١٦٣، وعيون الأخبار ص ٣٨. وسيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ١٨٩.

(٢) راجع كفاية الأثر القمي الرازي ص ٧، وسيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ١٩٠ ـ ١٩١، واعلام الورى بأعلام الهدى» للطبرسي ص ٢٧.

وعهد محمد بن علي بن الحسين بالإمامة والولاية والخلافة من بعده لابنه جعفر بن محمد المعروف بالصادق.

ثم عهد جعفر بن محمد بالإمامة والولاية والخلافة من بعده لابنه موسى بن جعفر المعروف بالكاظم.

ثم عهد موسى بن جعفر بالإمامة والولاية والخلافة من بعده لابنه علي بن موسى المعروف بالرضا.

ثم عهد علي بن موسى بالإمامة والولاية والخلافة من بعده لابنه محمد بن علي المعروف بالجواد.

ثم عهد محمد بن علي بالإمامة والولاية والخلافة من بعده لابنه علي بن محمد المعروف بالهادي.

ثم عهد علي بن محمد بالإمامة والولاية والخلافة من بعده لابنه الحسن بن علي المعروف بالعسكري.

ثم عهد الحسن بن علي بالإمامة والولاية والخلافة من بعده لابنه محمد بن الحسن المعروف بالمهدي (عليهم جميعاً صلاة الله وسلامه).

فكل إمام يعيَّن بعهد ممن سبقه وحسب الترتيب الذي بيَّنه رسول الله ﷺ.

إعداد الأئمة وتأهيلهم

الإمام الأول علي بن أبي أبي طالب تتلمذ على يد رسول الله، وتربى في كنفه وعاش معه تحت سقف واحد حتى فارق رسول الله الحياة، وتم إعداد الإمام علي وتأهيله حتى صار بعد الرسول هو الأعلم والأفهم بالدين، والأتقى لله، والأقرب لله ولرسوله والأفضل والأصلح. لأنه قد ورث علم النبوة كاملاً غير منقوص وفي كنف رسول الله وكنف الإمام علي تربى الحسن والحسين، وعاشا معهما طوال حياتهما تحت سقف واحد، وتتلمذا على أيديهما، وورثا علم النبوة كاملاً غير منقوص فصار كل واحد منهما في زمانه هو الأعلم والأفهم والأتقى

والأصلح. أي أن كل واحد منهما صار أوحد زمانه وتتلمذ علي بن الحسين على يد أبيه الحسين وعمه الحسن، وورث علم النبوة كاملاً حتى صار أوحد زمانه، وكل إمام ورث علم الإمام السابق وصفاته، وكل واحد منهم كان في زمانه هو الأعلم والأفهم والأفضل والأصلح، أي كان وحيد زمانه فلا يدانيه أحد من الخليقة الإنسانية، وهم جميعاً في الفضل سواء.

الثقلان: القرآن والعترة

بعد أن اختار الله الأئمة وأهلهم، وأمر رسول الله ببيان حقيقتهم للمسلمين، وأوجب على المسلمين طاعتهم والإنقياد لهم لأنهم خيرة الله من خلقه ولأنهم مؤهَّلون ومعدون للإمامة والقيادة، ولأنهم عمداء أهل بيت النبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، كما جاء، في آية التَّطهير، [الأحزاب/ ٣٣]، ولأنهم أبناء الرسول كما جاء، في آية المباهلة [آل عمران/ ٦١]. بعد ذلك أمر الله نبيه أن يلخص الموقف للأمة وأن يبيِّن لها أنَّ الدين كله يقوم علىٰ ركنين:

١ ـ قرآن كريم وبيان النبي لهذا القرآن، وهما بمثابة القانون النافذ في مجتمع الأمة أو المجموعة أو المنظومة القانونية.

٢ ـ قيادة سياسية وتتمثل في أئمة أهل بيت النبوة، وأمر الله رسوله بأن يبيِّن للناس أنَّ الهدى لا يمكن إدراكه بعد وفاة النبي إلا بالتمسك بهذين الثقلين وأن الضلالة لا يمكن تجنبها بعد النبي إلا بالتمسك بهذين الثقلين معاً، فالقرآن ركن الدين الأعظم، وأئمة أهل بيت النبوة هم ركن الدين الأصغر، ولا يقوم الدين إلا بالاثنين معاً، ولا تدرك الهداية إلا بالاثنين معاً، ولا يمكن تجنب الضلالة إلا بالاثنين معاً.

من صِيَغ حديث الثقلين

١ ـ جاء في مقطع من خطبة الرسول، بعد عوته من حجة الوداع واجتماعه مع العائدين من الحج: «وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف

تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله عزَّ وجل وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به، ولا تضلوا، ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير، أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»، برواية حذيفة بن أسيد الغفاري[1].

٢ ـ قال زيد بن أرقم: لما رجع رسول الله من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقُممن، وبعد أن اجتمع المسلمون وقف الرسول خطيباً وقال: «كأني قد دعيت فأجبت، وإني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[2].

٣ ـ قال الرسول لأصحابه يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي[3].

٤ ـ قال الرسول لأصحابه: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[4].

٥ ـ قال الرسول لأصحابه: «إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود

---

(١) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢٤، ومجمع الزوائد للهيثمي الشافعي ٩/ ١٦٤. وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤٦ ح٥٤٧. وكنز العمال للمتقي الهندي ١/ ١٦٨د والغدير في الكتاب والسُّنّة للأميني ١/ ٢٦ ـ ٢٧، ونوادر الأصول للترمذي ص ٢٨٩ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٢٧، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ٢٥٠.

(٢) راجع على سبيل المثال خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٢١، و٩٣ والمناقب للخوارزمي ص ٩٣. وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٣٢. وكنز العمال ١٥/ ٩١.

(٣) راجع صحيح الترمذي ٥/ ٣٢٨، ح٣٨٧٤ و١٣/ ١٩٩. وكنز العمال ١/ ١٥٣. وجامع الأصول لابن الأثير ١/ ١٨٧، والمعجم الكبير للطبراني ص ١٣٧، وإحياء الميت للسيوطي بهامش الاتحاف.

(٤) راجع صحيح الترمذي ٥/ ٣٢٩، ح٣٨٧٦ والدر المنثور للسيوطي ٦/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧. وذخائر العقبى للطبري ص ١٦ ومشكاة المصابيح للعمري ٣/ ٢٥٨...

ما بين السماء والأرض ـ أو ما بين السماء إلى الأرض ـ وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[1] . .

٦ ـ وقال الرسول لأصحابه: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[2].

٧ ـ وقال الرسول لأصحابه: «أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا وإني مخلف فيكم كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي»[3] . .

٨ ـ وقال الرسول لأصحابه: «ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. . وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»[4].

٩ ـ قال زيد بن أرقم: قال رسول الله: «ألا وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي. . إلى أن قال الراوي فقلنا: مَن أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا وأيم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى بيت أبيها»[5] . .

---

(١) راجع الدر المنثور للسيوطي ٢/ ٦٠. وينابيع المودة للقندوزي ص ٣٨ و١٨٣، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٦٢. والجامع الصغير للسيوطي ١/ ٣٥٣. وكنز العمال ١/ ١٥٤، ح٨٧٣ و٩٤٨.

(٢) راجع مناقب علي لابن المغازلي الشافعي ص ٢٣٤، ح٢٨١. والمناقب للخوارزمي الحنفي ص ٢٢٣، وفرائد السمطين للحمويني الشافعي ٢/ ١٤٢ باب ٣٣.

(٣) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢٤، وينابيع المودة للقندوزي ص ٢٨٥ وعبقات الأنوار حديث الثقلين ١/ ٢٧٧.

(٤) راجع صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل علي ٢/ ٣٦٢ و١٥/ ١٧٩ ـ ١٨٠. بشرح النووي ومصابيح السنة للبغوي ٢/ ٢٧٨. وذخائر العقبى للطبري ص ١٦.

(٥) راجع صحيح مسلم كتاب الفضائل ٢/ ٣٦٢ و١٥/ ١٨١. بشرح النووي والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٤٨ على سبيل المثال.

ابن حجر يقوِّم حديث الثقلين

قال ابن حجر الشافعي: «ثم اعلم أن لحديث التمسك بالثقلين طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً»[1].

مناسبة حديث الثقلين

حديث الثقلين مقطع من خطبة الرسول التي ألقاها في غدير خم أمام مائة ألف مسلم، على الأقل، بعد عودته من حجة الوداع. وقد ورد هذا المقطع بعد قرار تنصيب الإمام علي بن أبي طالب أميراً للمؤمنين وولياً للمسلمين من بعد النبي، فربط الرسول ﷺ ولاية علي بولايته، وربط ولايته بولاية الله، ثم جعل القرآن ركناً وأهل بيت النبوة الركن الآخر، وربط بين الركنين برباط لا يقبل التجزئة، فالدين كله يتكون من هذين الركنين.

ركن شخصي، وهو ركن القيادة ويتكون من النبي حال حياته، ومن عترته أهل بيته «الأئمة الكرام» بعد وفاته.

وركن قانوني ويتكون من القرآن الكريم، ويزيد من أهمية هذا النص أنه قد جاء بعد حجة الوداع وبعد التصريح بأن الرسول يوشك أن يقبض قبضاً سريعاً.

سد باب الذرائع

١ ـ وتذكيراً للأمة بعمق الترابط بين القرآن الكريم وعترة النبي أهل بيته، قال الرسول لأصحابه: «لا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»[2].

---

(١) راجع الصواعق المحرقة ص ١٤٨، وينابيع المودة للقندوزي ص ٢٩٦.

(٢) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٤٨. ٢٢٦ ومجمع الزوائد ٩/ ١٦٣، والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٦٠. وكنز العمال ١/ ١٦٨، ح٩٤٧.

٢ ـ وقال لهم أيضاً: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من قومه، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[١].

٣ ـ وقال الرسول لأصحابه: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف.. فإذا خالفتهم قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»[٢].

٤ ـ وقال الرسول لأصحابه: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي»[٣].

٥ ـ وخطب الرسول أصحابه فقال: «يا أيها الناس، إن الفضل والشرف والمنزلة لرسول الله وذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل»[٤].

٦ ـ وقال الرسول لأصحابه: «واجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين»[٥].

الولاء لأهل بيت النبوة قضية دينية من جميع الوجوه

من أجل هذا جعل اللهُ الصلاةَ على آل محمد جزءاً لا يتجزأ من الصلاة المفروضة على العباد، فيجب على كل مسلم حتى تتم صلاته أن يصلي على محمد وآل محمد، وهكذا فسَّر رسولُ الله آية ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي،**

---

(١) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٨٤ و٢٣٤، والمعجم الصغير للطبراني ٢/ ٢٢، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٤/ ٣٠٦، ومقتل الحسين للخوارزمي ١٠٤.

(٢) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٩١. وينابيع المودة ص ٢٩٨.

(٣) راجع دخائر العقبى للطبري ص ١٧، والجامع الصغير للسيوطي ٢/ ١٦١، والصواعق لابن حجر ص ١٨٥ و٣٣٣.

(٤) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٧٤. وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ١٦٩ و٣٠٧.

(٥) راجع الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٨، ومجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ١٧٢. وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ص ١١٠.

يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليماً﴾ [الأحزاب/ ٥٦][1].

من هم أهل بيت النبوة الذين جعلهم الله أحد الثقلين؟

على الرغم من محاولات الخلفاء الأول طمس النصوص الشرعية المتعلقة بالإمامة والقيادة من بعد النبي، وعلى الرغم من أعراضهم عنها، ومنع روايتها وحرق المكتوب ـ كما وثّقنا ـ طمعاً بطمس آثار جريمة اغتصاب الإمامة إلا أن هذه النصوص فرضت نفسها، فعندما تذكر عترة النبي أهل بيته يتبادر إلى ذهنك عفوياً علي، والحسن، والحسين وزين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام. وهكذا يبقى الترابط المحكم الذي بيّنه رسول الله قائماً بينه وبين أهل بيت النبوة من جهة وبين أهل بيت النبوة والقرآن الكريم من جهة أخرى.

كمال الدين وتمام النعمة

بعد أن نصّب رسول الله علياً إماماً وخليفة وولياً للأمة من بعده، وبعد أن عيّن الأئمة الاثني عشر وسمّاهم، وبعد أن بيّن الدور المميز لأهل بيت النبوة في قيادة الأمة، وبعد أن ربط القرآن الكريم وأهل البيت برباط متين لا يقبل التجزئة فجعلهما ركنين أو ثقلين لشيء واحد، ثم أعلن استحالة إدراك الأمة للهدى من بعده بغير التمسك بهذين الثقلين معاً، واستحالة تجنب الأمة للضلالة من بعده بغير التمسك بهذين الثقلين معاً.

بعد ذلك كله نزلت آية الإكمال ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾[المائدة/ ٣].

---

(١) راجع صحيح البخاري كتاب التفسير ٦/ ٢٧. وكتاب الدعوات باب الصلاة على النبي ٧/ ١٥٦. وصحيح مسلم ٢/ ١٦. وصحيح الترمذي ١/ ٣٠١ و٥/ ٣٨، وسنن ابن ماجه ١/ ٢٩٢. وسنن النسائي ٣/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦ وسنن أبي داود ١/ ٢٥٧..

طابع المؤسسية ومنطقية هذا الترتيب

الرسول الكريم، وبأمر من ربه، أراد أن يضفي على مؤسسة الإمامة أو القيادة من بعده طابع الاستقرار والمؤسسية، فإذا انحلت مشكلة الإمامة أو القيادة واستقرت والتف الناس حولها، عندئذٍ يصبح بإمكان الأمة بقيادة إمامها الشرعي أن تنجو من كل الأعاصير، بانقطاع دابر التنافس على القيادة.

ومن حيث المنطق فليس في الدنيا كلها عاقل يمكن أن يطمع بوراثة محمد وابن عمه وزوج ابنته ووالد سبطيه وعميد أهل بيت النبوة وفارس الإسلام، وباب مدينة العلم اللدني موجود، خاصة وأن الرسول أعلن إمامته وخلافته وولايته من بعده، مثلما أعلن الرسول أن هذا التدبير إلهي، فهو يتبع ما يوحى إليه.

وليس في الدنيا كلها عاقل يطمع بأن يرث الرسول وأولاد الرسول موجودون، فالحسن والحسين هما ابنا رسول الله بالنص، وابنا ابنته بالفعل، وأولاد ابن عمه الشقيق بالفعل، وهما سيدا شباب أهل الجنة وسبطا الأمة وريحانتا النبي، فمن غير المعقول أن يتقدم عليهما أحد، أو أن يدعي بأنه أولى منهما بميراث محمد وسلطانه، فهذا الإدعاء يناقض العقل والمنطق والعرف العربي فقرار تعيين الأئمة الشرعيين الذي أعلنه الرسول يتفق مع الفطرة والعرف مثلما هو نابع من الدين، وبالتالي يخلق شعوراً بالرضى والارتياح لدى الجميع إن حسنت النية وتكافأت الفرص على اعتبار أن آل محمد وأهل بيته هم الجامع المشترك لاتباع الملة. والأهم من ذلك أن الله تعالى قد أعد الأئمة وأَهلهم لتولي الإمامة والقيادة، فقد عاشوا مع النبي تحت سقف واحد طوال حياته المباركة وعلمهم علم النبوة كاملاً، واقتنعت الأمة بأهليتهم وتميّزهم. انظر إلى قول معاوية، وهو الموتور ابن الموتور، الحاقد على علي بن أبي طالب وابن الحاقد، مخاطباً محمداً بن أبي بكر: «وقد كنا، وأبوك معنا، في حياة من نبينا، نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا

وفضله مبرزاً علينا. . . فلما اختار الله لنبيه ما عنده. . . فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه على ذلك اتفقا واتسقا»[1].

جريمة مع سبق الإصرار

لما دنت منية الرسول كان كل شيء واضحاً ومرتباً، لقد اتضحت معالم الشرعية والمشروعية، وعرفت الأمة قيادتها من بعد وفاة النبي إلى يوم الدين على وجه الدِقّة واليقين، وقبلت بالترتيبات الإلهية التي أعلنها رسول الله واستساغت واستصقلت ربطه المحكم، كانت أبواب الذرائع كلها مسدودة، فمن أراد الخروج على الشرعية والمشروعية ونقض الترتيبات الإلهية التي أعلنها النبي، فإنما يخرج بدون شبهة ولا عذر، وتكون جريمته مع سبق الإصرار.

* * *

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي ٣/ ١١، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم، ص ١١٨ ـ ١١٩.

الباب الرابع

الانقلاب الأسود وقيام الإمامة غير الشرعية

الباب الرابع

الفصل الأول:

المواجهة مع الرسول (ص)

الفصل الثاني:

الخطوط العريضة لعقيدة عمر وأركان حزبه

الفصل الثالث:

وفاة الرسول وقيام دولة الخلافة التاريخية (الإمامة غير الشرعية)

الفصل الرابع:

استقرار الأمور لصالح السلطة المتغلبة

الفصل الأول

المواجهة مع الرسول ﷺ

ربط حركة الاحداث بعد حجة الوداع

بعد أن أدّى النبي والمسلمون حجة الوداع، وقبل أن يعود المسلمون الحجاج إلى أهليهم جمعهم رسول الله في مكان يدعى غدير خم، ويأمر من ربه أعلمهم:

١ ـ أن حجته هذه هي آخر حجة له، فهو لن يراه بعد هذا العام أبداً، لأنه قد خير فاختار ما عنده وأنه سيقبض قبضاً سريعاً، وقد جاء في خطبة غدير خم: «إني قد أنبأني اللطيف الخبير أنه لن يعمر نبيٌّ، إلا نصف عمر الذي يليه من قبله وإني لأظن أني يوشك أن أدعى فأجيب»[1]... وقال أيضاً في خطبته: «كأني قد دعيت فأجبت، إنّي تاركٌ فيكم الثقلين، كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[2].

والمُسَلَّم به عند أهل بيت النبوة أن الرسول الكريم قد بيَّن للناس في غدير خم أنه قد خير فاختار ما عند الله، وأنه سيمرض بعد عودته إلى المدينة المنوّرة وسيموت من مرضه ذلك.

---

(١) راجع نوادر الأصول للترمذي ص ٢٨٩، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٤٥، ح٥٤٧ ـ خطبة رسول الله يوم الغدير برواية حذيفة بن أسيد الغفاري ـ، وكنز العمال ١/ ١٨٨ ح٩٥٨.

(٢) راجع كنز العمال ١/ ١٨٧ ح٩٥٢، والمناقب للخوارزمي ص ٩٣، وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٢١ و٩٣.

٢ ـ أن الله تعالى قد اختار علياً بن أبي طالب ليكون ولي الأمة أو إمامها، أو قائدها، أو الخليفة من بعده، وقد اختار رسول الله أكثر الألفاظ دلالة على هذا الإختيار فخاطب الناس قائلاً: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى! ثم قال لهم: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى! عندئذٍ أخذ الرسول بيد علي بن أبي طالب ورفعها وقال للمسلمين: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».. وفهم المسلمون المضمون وتزاحموا على تهنئة الإمام وكان من جملة المهنئين عمر بن الخطاب[1]...

وقد استعمل الرسول كلمة ولي لأنها تفيد الأولى، أي أن رسول الله هو الأولى بالمؤمنين وبكل مؤمن ومؤمنة، كذلك فإن علياً بن أبي طالب هو ولي المؤمنين مجتمعين من بعد النبي ـ أي الأولى بهم ـ مثلما هو ولي كل مؤمن ومؤمنة منفردين تماماً كالرسول، فمن كان الرسول مولاه فعلي مولاه ومن كان الرسول وليه فعلي وليه. انظر إلى قول رسول الله في مقطع من خطبته يوم غدير خم: فأخذ بيد علي فأقامه ثم قال رسول الله: «من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه»[2].

وهكذا حسم رسول الله بهذه التولية نهائياً موضوع الخلافة أو الإمامة من بعده، أي في العصر الذي يلي موت الرسول مباشرة، وهو عصر التأسيس أو العصر الإنتقالي. وربط ولاية الناس لعلي بن أبي طالب بولايته للرسول، وربط ولايته بالولاية لله، فمن خلع ولاية علي فكأنما خلع من عنقه الولاية للرسول، ومن خلع ولاية الرسول من عنقه، فقد خلع ولاية الله من عنقه، وهذا يفهم ببساطة

---

(١) راجع دخائر العقبى للطبري الشافعي ص ٦٧، والحاوي للفتاوي للسيوطي ١/ ١٢٢. وكنز العمال ١٥/ ١١٧، ـ وقريب منه ـ أنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ٢١٥، وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٥١ ـ ٥٢ ح٥٥٢.

(٢) راجع خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ١٠١، وفضائل الخمسة ١/ ٣٦٥، والرياض النضرة للطبري ٢/ ٢٨٢.

من مقاطع خطبة الرسول في غدير خم.

٣ ـ بعد أن أعلن الرسول تنصيب علي بن أبي طالب ليكون أول ولي وأول إمام، وأول خليفة للنبي في عصر التأسيس وهو الذي يلي موت النبي مباشرة، بعد ذلك أعلن الرسول الدور المميز لأهل بيت النبوة في قيادة الأمة حتى يوم الدين فالقيادة لا ينبغي أن تخرج عنهم أبداً، وربط الأمر بطريقة عجيبة مذهلة حقاً ويصعب نقضها إطلاقاً؛ حيث أعلن أن القرآن الكريم هو الثقل الأول والركن الأول للدين من بعده، وأن أهل بيت النبوة عترته هم الثقل الثاني والركن الثاني من بعده إطلاقاً أيضاً، بمعنى أن هذه الوحدة والرباط بين الثقلين دائمان إلى يوم الدين. وعندما نذكر مصطلح أهل البيت يقفز للذهن بصورة آلية قائد أهل البيت وعميدهم في كل زمان، ففي زمان علي بن أبي طالب تكون كلمة أهل البيت وأمرهم إلى علي، بدون معارض، وبعد موت علي تكون الكلمة لابنه الحسن بلا معارض، ويستطيع أن يضع حتى أخيه الحسين بالحديد إن خرج عن أمره!! وبعد موت الحسن تكون الكلمة لأخيه الحسين، وبعد الحسين تكون لابنه علي... أي واقعياً وفق الترتيب نفسه حتى ينتقل الإمام الثاني عشر ـ وهو المهدي ـ إلى جوار ربه، ومع هذا فحديث الثقلين يفيد بالتمسك بأهل بيت النبوة إطلاقاً إلى يوم الدين، ولكن العمادة أو إمامة أهل البيت معيار موضوعي.

والمدهش حقاً هو التضييق على أعداء الشرعية، فالرسول ربط القرآن بأهل بيت النبوة ربطاً محكماً واعتبر كل واحد منهما ثقلاً يكمل الآخر، وقطعاً لدابر التأويل أكد النبي أنَّ هذين الثقلين لن يفترقا حتى يوم الدين. وهذا يؤكد صحة تأويلنا بأن المعني من أهل البيت هم العمداء أو الأئمة الكرام. وإمعاناً بالتضييق على أعداء الشرعية وتوضيحاً للبيان أكد الرسول، بكل وسائل التأكيد اللغوية، أنَّ الأمة من بعده وبعد علي لن تدرك الهدى قطعاً إلا بالتمسك بهذين الثقلين معاً، ولن يكون بإمكانها قطعاً أن تتجنب الضلالة إلا بالتمسك بهذين الثقلين معاً، ولن يجدي الأمة التمسك بالقرآن وحده، لأن التمسك بالقرآن وحده من بعد النبي وإهمال أهل بيت النبوة، تماماً كا لتمسُّك بالقرآن حال حياة النبي وإهمال النبي!!

مقاطع من خطبة النبي في غدير خم

«... وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله، سبب طرفه بيد الله عزَّ وجل وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به، ولا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[١].

حملاً على المعنى ودفعاً للعاصفة

قياماً بواجب البيان، وحملاً على المعنى الخطير، ودفعاً للعاصفة قبل وقوعها، وتعريةً لنوايا قادة التحالف الإنقلابيين؛ قال الرسول للمسلمين: «لا تقدموهما فتهلكوا، ولا تتأخروا عنهما فتهلكوا»[٢]..

وإفحاماً للمشككين قال الرسول للمسلمين: ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق[٣]، وحذر الرسول أعداء الشرعية من حزب إبليس بعد موته، فقال للمسلمين: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من قبائل العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»[٤].

---

(١) راجع على سبيل المثال خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٢١ و٢٣، والمناقب للخوارزمي ص ٩٣، وصحيح الترمذي ٥/٣٢٨ (ح٣٨٧٤) و٣٢٩ (ح٣٨٧٦)، والدر المنثور للسيوطي ٢/٦٠ و٦/٣٠٦ - ٣٠٧، وصحيح مسلم كتاب الفضائل/باب فضائل علي ٢/٣٦٢، ومصابيح السنة للبغوي ٢/٢٧٨. والباب الثالث/الفصل الثاني (من هذا الكتاب/ من صيغ حديث الثقلين).

(٢) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٤٨ و٢٢٦ والدر المنثور للسيوطي ٢/٦٠، وكنز العمال ١/١٦٨، ح٩٥٨ وأسد الغابة لابن الأثير ٣/١٣٧.

(٣) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٨٤ و٢٣٤، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٣٠ و٣٧٠، والمعجم الصغير للطبراني ٢/٢٢، ومقتل الحسين للخوارزمي ١/١٠٤. وحلية الأولياء لأبي نعيم ٤/٣٠٦، ومسند أحمد ٥/٩٢.

(٤) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٩١، وإحياء الميت للسيوطي بهامش .... =

وأكد الرسول للأمة ولأعداء الشرعية معاً «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي»(١). ثم أعلن الرسول للمسلمين في خطبة له قائلاً: «يا أيها الناس إن الفضل والشرف والمنزلة لرسول الله وذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل»(٢).

ثم لخص النبي الموقف بعد هذا البيان فقال للمسلمين: «لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقيٌّ، ولا يبغضنا إلا منافق شقي»(٣).

إرغاماً للمجرمين وتضييقاً عليهم

وإرغاماً للمجرمين أعداء الشرعية وتضييقاً عليهم، جعل الله الصلاة على آل محمد جزءاً من الصلاة المفروضة على العباد، وألزم الله عباده بأن يصلوا على آل محمد، وبغير ذلك فإن الصلاة على النبي لن تتم، وهذا هو بيان النبي كقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً**﴾(٤) [الأحزاب/ ٥٦].

الوضوح التام وكمال الدين وتمام النعمة

بعد أن نَصَّب رسولُ الله علياً، إماماً وولياً للمؤمنين من بعد النبي، وبعد أن بَيَّن رسولُ الله أن أهل بيت النبوة هم قادة الأمة الإسلامية إلى يوم الدين، نزل قوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ [المائدة/ ٣].. فكان غدير خم عيد اًحقيقيّاً للوضوح وكمال الدين وتمام

= الاتحاف ص ١١٤ وينابيع المودة ص ٢٩٨.

(١) راجع ذخائر العقبى للطبري ص١٧، والجامع الصغير للسيوطي ٢/ ١٦١، والصواعق المحرقة ص ١٨٥ و٢٣٣.

(٢) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٧٤، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ١٦٩و٣٠٧.

(٣) راجع ذخائر العقبى للطبري ص ١٨، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٢٢٧ و٣٦٥ و٤٧٦، والصواعق المحرقة ص ١٠٣ و١٠٩.

(٤) راجع صحيح البخاري ٦/ ٢٧ و٧/ ١٥٦، وصحيح مسلم ٢/ ١٦، وصحيح الترمذي ١/ ٣٠١، و٥/ ٣٨. وسنن النسائي ٣/ ٤٥ ـ ٤٩. وسنن ابن ماجه ١/ ٢٩٢، وسنن أبي داود ١/ ٢٥٣، ومسند أحمد ٢/ ٤٧..

النعمة[1]، وتفرق المسلمون والتحقوا بأهليهم وعاد النبي ومن معه من أهل يثرب إلى المدينة المنوّرة. الكل قانع أو متظاهر بالقناعة، الكل راضٍ أو متظاهر بالرضى، تخيم على الجميع حالة من الصمت والترتب، محمد وحده كان يعلم علم اليقين أنه الهدوء الذي يسبق العاصفة الهوجاء، كان همه الأعظم منصرفاً بالكلية إلى ترشيد حركة العاصفة الهوجاء القادمة ليجنب المسلمين شرورها وأهوالها. فهو يعرف الانقلابيين ويعرف حجم التحالف الذي يقف وراءهم، ويعرف أن الأمة ستكون من بعده بدداً، وطرائق قدداً، ولكن مثل النبي لا ينحني أمام العواصف ولا يمنعه شيء، ولا يشغله حتى الموت عن محاولة إنقاذ الأمة التي بناها بالعرق والدم والدموع في ظروف ما كان بإمكان غيره أن يبني فيها مجتمعاً من سبعة أشخاص. فلو كان غير النبي للعنهم في البداية ودعا عليهم ولذهبوا للجحيم، ولكن محمداً سَيّدُ أُولِيْ العزم من الرسل.

في سبيل ترشيد العاصفة التي تنتظر موت النبي

بعد عودة النبي من حجة الوداع بلغه أن سعد بن أبي وقاص مريض فعاده، وقال أمام سعد وعواده جملة في غاية الخطورة، وهي: «اللهمّ أَمضِ لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم»[2] عملية زيارة الأصحاب واحداً واحداً طويلة، وغير مجدية، لأن البيان المحوري التاريخي المركزي في غدير خم كان شاملاً، ورأى رسول الله أو صُورِّ له أن الخطة المثلى لترشيد العاصفة، بإرسال أصحاب الخطر وقادة التحالف، ورؤوس النفاق في غزوة إلى بلاد الروم لينتقموا لمقتل زيد بن حارثة وجعفر وأصحابه الذين قتلوا في مؤتة، ورأى رسول الله أن يؤمِّر على هذا

(١) راجع ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/٧٥، ح٥٧٥ ـ ٥٧٨ و٥٨٥. وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ١/١٥٧، وتاريخ بغداد ص ٢٩٠. والدر المنثور للسيوطي ٢/٢٥٩. والمناقب للخوارزمي ص ٨٠. وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص ٣٠. وكتاب الولاية لابن جرير الطبري، وكتاب الولاية لأبي سعيد السجستاني، وتاريخ بن كثير ٧/٣٤٩. وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ٢٥٧. وما بعدها.

(٢) راجع المغازي للواقدي ٣/١١١٦.

الجيش أسامة بن زيد الفتى الصغير بالسن، وأمر الرسول الناس بالتهيؤ لغزو الروم، كان ذلك يوم ٢٦ صفر أي بعد أقل من عشرين يوماً من عودته من غدير خم، وحرص الرسول على أن يكون أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة وطلحة وأسيد بن حضير وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص، ويزيد بن أبي سفيان ومعاوية مع هذا الجيش. قال الواقدي في مغازيه: «لم يبقَ أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الفترة، عمر وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وسلمة بن أسلم»[١]. ويبدو أن رسول الله أراد أن يكون موته في غياب رؤوس النفاق وأصحاب الخطر حتى يتم انتقال الولاية والإمامة لعلي بن أبي طالب الذي أبقاه من دون الناس في المدينة وتفرق الناس وأخذوا يستعدون للغزو، وفي صباح اليوم التالي دعاه رسول الله وأعطاه التعليمات[٢]. وهنا قعد رسول الله على فراش الموت، ومرض.

الإنقلابيون يكتشفون مغزى خطة النبي

اكتشف عمر بن الخطاب وأولياؤه مغزى خطة النبي، لذلك أخذوا يروجون الدعايات، ويثبطون الناس عن الخروج، لأنهم موقنون أن النبي سيموت سريعاً في غيابهم إن غزوا، وأن الإمامة والولاية ستنتقل في غيابهم بيسر وسهولة لعلي بن أبي طالب وهذا معناه فشل خطتهم، ووأدها وهي على وشك أن تنجح، لذلك استماتوا كي لا يخرجوا، وكي لا يخرج الناس، وشككوا بسلامة اختيار الرسول لأسامة بن زيد وحكمته: «فقال رجال من المهاجرين: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين، فكثر من القالة في ذلك.. وجاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله فأخبره... فغضب رسول الله غضباً شديداً. فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة ثم صَعِدَ المِنْبَر ودافع عن قراره بتعيين أسامة لقيادة الجيش... إلى أن قال: وأيمُ اللهِ إن كان للإمارة لخليقاً ـ يعني والد أسامة ـ وإنّ ابنه من بعده

(١) راجع المغازي للواقدي ١١١٨/٣.
(٢) المصدر نفسه، ١١١٧/٣.

لخليقٌ للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ وإنَّ هذا لَمِن أحبّ الناس إليّ وإنّهما لَمُخِيلان لكلّ خير»[1].. وهكذا أصر الرسول أن يقود هذا الفتى أسامة كبارَ المهاجرين ويتأَمَّر عليهم، وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وبقية طاقم المُبَشَّرين في الجنة!! من بطون قريش، وأبعد من ذلك فإن رسول الله قد لعن من يتخلف عن جيش أسامة[2].

الانقلابيون يصرون على موقفهم

على الرغم من خروج الرسول معصوب الرأس وهو مريض، ومن دفاعه المجيد عن تأميره لأسامة، ومن حثّه المتوالي على تسيير بعث أسامة إلا أن الانقلابيين لم يقتنعوا بأهلية أسامة لقيادتهم، وتابعوا تثبيطهم للناس حتى لا يخرجوا، وحتى بعد موت الرسول كان رأي عمر بن الخطاب إلغاء الغزوة كلها وعزل أسامة لعدم أهليته، فانتبه أبو بكر لخطورة الآثار السيئة لرأي عمر ورأى أنه ليس هنالك خطر من إبقاء أسامة أميراً، لذلك وحرصاً من الخليفة على الظهور بمظهر المطيع لرسول الله وثب على عمر بن الخطاب وأخذ بلحيته قائلاً له: «ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله وتأمرني أن أنزعه»[3].

الانقلابيون يحصون على النبي أنفاسه

لقد علم الانقلابيون أن النبي مشرف على الموت وأنه قد حدد ساعة معينة ليكتب توجيهاته النهائية كما يفعل قادة الأمم وكبار الشخصيات، وكما فعل أبو بكر

---

(١) راجع المغازي للواقدي ٣/١١١٨.

(٢) راجع الملل والنحل للشهرستاني الشافعي ١/ ٢٣، وملحق المراجعات ص ٢٦٨، والطبقات لابن سعد ٢/ ١٩٠، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٩٣، والكامل لابن الأثير ٣١٧/٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٥٣ ـ وتجد إجماعاً على أنَّ أبا بكر وعمر قد عبأهما الرسول بهذا الجيش ـ.

(٣) راجع تاريخ الطبري ٢/ ٢٢٦، والكامل لابن الأثير ٢/ ٣٣٥، والسيرة الحلبية ٣/ ٢٠٩ و٢٣٦، والسيرة الدحلانية بهامش الحلبية ٢/ ٣٤٠.

وعمر نفسه وهما على فراش الموت في ما بعد، وكما فعل جميع الخلفاء التاريخيين من بعدهما وقَدَّر قادةُ الانقلاب أن النبي إذا نجح في كتابة توجيهاته النهائية وتوثيقها خطياً فسيؤدي ذلك إلى فشل الانقلاب، ومن هنا استماتت الإنقلابيون ليحولوا بين الرسول وبين كتابة ما أراد فأجمعوا كيدهم.

من الذي أطلع قادة الانقلاب على موعد كتابة الرسول لتوجيهاته النهائية؟

الذي أعلم الانقلابيين بالموعد الذي ضربه النبي لبعض أصفيائه ليكتب توجيهات النهائية إما أن يكون شخص من هؤلاء الأصفياء، وهذا غير وارد، فلو كان أحدهم غير أهل للثقة لَعَلِمَهُ الرسولُ بالوحي، وإما أن يكون هذا الشخص من المقيمين في بيت النبي. الثابت بالإجماع أن الرسول قد مرض في حجرة عائشة أم المؤمنين زوجته.

والثابت أن الرسول قد حذر من بيت عائشة، ونبه الأمة إلى أنَّ الفتنة ستخرج منه! فقد قام النبي خطيباً وأشار إلى مسكن عائشة فقال: «هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان»[1]، وفي رواية أخرىٰ ينقلها كثيرٌ من رواة أهل السُنّة وتحفل بها صحاحهم: «أن رسول الله خرج من بيت عائشة فقال: رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان»[2].

ومن الثابت أن عائشة كانت تكره الإمام علي وتحقد عليه ولا تطيق أن تلفظ اسمه[3]. وأكد ذلك أنها في ما بعد خرجت عليه ونبحتها كلاب الحوأب بدعوى

---

(١) راجع صحيح البخاري ٤/١٠٠ مطابع الشعب كتاب الجهاد والسير باب ما جاء في أزواج الرسول.

(٢) راجع صحيح مسلم كتاب الفتن باب الفتنة من المشرق ٢/٥٦٠ و١٨/٣١ ـ ٣٣. صحيح مسلم بشرح النووي.

(٣) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٢٩. وصحيح البخاري باب مرض النبي ووفاته ١٣٩/٥ ـ ١٤٠. ومسند أحمد بن حنبل ٦/١١٣.

المطالبة بدم عثمان مع أنها هي التي أفتت بقتل عثمان[1].

ولما قتل عثمان كانت عائشة تتصور أن الخلافة ستكون من بعده لابن عمها طلحة ولما قتل عثمان قالت عائشة: «بُعداً لنعثل وسحقاً» إيه ذا الأصبع أبا شبل، إيه يا ابن عم لكأني أنظر إلى اصبعه وهو يبايع!! تعني بذلك ابن عمها طلحة[2]، ولما علمت أن الناس بايعوا علياً صعقت وقالت: ليت هذه انطبقت على هذه، أي ليت السماء انطبقت على الأرض. ولما قتل علي بن أبي طالب سجدت لله شكراً[3]. هذه طبيعة مشاعر أم المؤمنين نحو الإمام علي. وطبيعتها نحو أولاد النبي الحسن والحسين لا تختلف كثيراً عن طبيعة مشاعرها نحو أبيهم[4].

وهي على علم كامل بخطط النبي لاستخلاف علي. وهي على علاقة وطيدة مع والدها أبي بكر، ومع صديق والدها عمر، وهي تعلم علم اليقين أنهما أخوان وحليفان وآراؤهما السياسية متشابهة بل ومتطابقة مع آرائها تماماً.

وعائشة هي ابنة أبي بكر، وهي زوجة الرسول، وحفصة هي ابنة عمر بن الخطاب وهي زوجة الرسول أيضاً وفيها نزل قوله تعالى: ﴿وإذْ أسرَّ النبيُّ إلىٰ بعض أزواجه حديثاً فلما نَبَّأَتْ بِهِ وَأظهره اللهُ عليه عَرَّف بعضه وأعرض عن بعضٍ فلما نبّأها به قالتْ مَن أنبأكَ هذا قال نبّأني العليم الخبير * إن تتوبا إلىٰ الله فقد صفت قلوبكما وإنْ تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾ [التحريم/ ٥]. وقال عمر بن الخطاب، في ما بعد: إنَّ اللتين تظاهرتا على الرسول هما عائشة وحفصة[5].

---

(١) راجع تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٥٢.
(٢) راجع أنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ٢١٧.
(٣) راجع مقاتل الطالبيين لأبي فرج الأصفهاني.
(٤) راجع النص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين العاملي ص ٤٥٧ ـ ٤٥٨ نقلاً عن مروج الذهب، تجد قصة ركوبها للبلغة يوم مات الحسن.
(٥) أخرج البخاري في تفسير هذه الآية من صحيحه ٣/ ١٣٦ ـ ١٣٧.

وقد طلب الله منهما أن تتوبا، والتوبة لا تُطلب إلا من المذنب[1].

قالت عائشة للنبي يوماً: «أنت الذي تزعم بأنك رسول الله»[2].

وبهما ضرب الله مثلاً امرأة نوح وامرأة لوط[3].

وأخيراً، انظر إلى قول عمر لابنته حفصة عندما تظاهرت على النبي مع عائشة واعتزلهن: «والله لقد علمت أن رسول الله لا يحبك ولولا أنا لطلقك رسول الله»[4].

تدلُّ، المكانة التي كانت تتمتع بها عائشة وحفصة في عهد الخلفاء دلالة قاطعة على دورهما في إقامة نظام الخلافة، وتجعلنا نجزم أنَّ عائشة وحفصة هما اللتان أخبرتا الانقلابيين بساعة الموعد الذي ضربه النبي لكتابة توجيهاته النهائية وتوثيقها. هذا ما جعل كلمة عائشة عند عمر بمثابة أمر، انظر إلى قول عمر: «ومن تأمرني أن استخلف» ذلك أنه لما طعن عمر أرسل ابنه عبدالله يستأذن عائشة ليدفن في بيت الرسول إلى جانب الرسول وجانب أبي بكر، فقالت عائشة: حباً وكرامة، ثم قالت لعبدالله بن عمر: يا بني أبلغ عمر سلامي، وقل له لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً، فإني أخشى عليهم الفتنة! عندئذ قال عمر: «ومن تأمرني أن استخلف»[5]، فلو أمرته أم المؤمنين أن يستخلف أعرابياً من البادية لفعل، فهو مدين لها ولابنته حفصة بمنصب الخلافة، فلو لم تخبراه بموعد التوجيهات النبوية النهائية ومضمونها لسارت الأمور سيراً طبيعياً ولما اختلف اثنان من بعد النبي، ولفشلت المؤامرة كلها، ولكنهما أخبرتا الانقلابيين

---

(١) راجع الكشاف للزمخشري ٤/٥٦٦، وتفسير الرازي ٨/٣٣٢، والدر المنثور للسيوطي ٦/٢٣٩ و٣٤٢، وتفسير القرطبي ١٨/١٧٧ ـ ١٨٨. وفتح القدير للشوكاني ٥/٢٥٠، وتفسير إبن كثير ٤/٣٨٧ ـ ٣٨٨.

(٢) راجع إحياء علوم الدين للغزالي (آداب النكاح) ٢/٣٥، وذكره في مكاشفة القلوب باب ٩٤، ص ٢٣٧.

(٣) راجع تفسير القرطبي ١٨/٢٠٢، وفتح القدير للشوكاني ٥/٢٥٥.

(٤) راجع حديث الإفك جعفر مرتضى العاملي نقلاً عن صحيح مسلم ٤/١٨٩.

(٥) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/٢٢.

فحشدوا حزبهم وحالوا بين الرسول وبين كتابة ما أراد وكسروا خاطره الشريف، وتحدوه علناً. وفي ما بعد لم يستطع أحد أن يجهر بالحقيقة، لأن السلطة كلها وأعلامها كان منصباً على إعلاء قدر أم المؤمنين ورفع شأنها ولم لا؟ فهما من أمات المؤمنين، وبنتا الخليفة أبي بكر وعمر، ومن مصلحة النظام أن تتميزا لفضلهما عليه ومن هنا كان عمر يعطي كل واحدة من زوجات الرسول عشرة آلاف ولكل من عائشة وحفصة اثني عشر ألفاً! ! مع أنهن جميعاً زوجات الرسول ولكن تجسيداً لحالة التميز، وإقراراً من الخليفة العادل عمر بن الخطاب بفضل هاتين السيدتين العظيمتين.

المواجهة مع الرسول نفسه وخلع ولايته عملياً، واتهامه بالهجر!

لما عرف عمر بن الخطاب بالموعد الذي ضربه النبي لكتابة توجيهاته النهائية وتوثيقها، وبمضمون هذه التوجيهات بادر على الفور إلى جمع أعيان أنصاره وأوليائه وأخبرهم بالخبر، واتفقوا على أن يذهبوا إلى بيت رسول الله ويحولوا بينه وبين كتابة ما أراد بأي ثمن، لأن كتابة توجيهات النبي النهائية وتوثيقها تعني فشل مخططهم الرامي للإستيلاء على السلطة بالقوة بعد وفاة النبي!

التف أصفياء النبي الذين اختارهم ليشهدوا كتابة توجيهاته النهائية حوله، واستعدوا ليكتبوا ما يأمر النبي بكتابته، فجأة وبدون مقدمات وبدون استئذان دخل عمر بن الخطاب ومعه أعيان حزبه. فوجىء النبي بدخولهم، بهذا الوقت، وعرف حقيقتهم، ولكن لا يسعه التراجع فقال لأصفيائه: «قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً». وما أن أتم الرسول جملته حتى تصدى له عمر بن الخطاب وتجاهل وجوده تماماً ووجه كلامه للحضور قائلاً: «إن النبي يهجر، ولا حاجة لنا بالكتاب حسبنا كتاب الله!»[1] وعلى الفور ردد أعيان حزب عمر الموجودون في بيت النبي: «القول ما قال عمر، إن النبي يهجر استفهموه! ما باله أهجر!» دهش أصفياء

---

(١) راجع سر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص ٢١، وتذكرة الخواص للسبط الجوزي ص٦٢.

النبي من موقف عمر وحزبه. ودهشت حتى النساء، وكثر اللغط والاختلاف، وارتفعت الأصوات ووقف النبي على حقيقة الموقف، فعمر وحزبه مصرون على الحيلولة بين النبي وبين كتابة ما أراد مهما كلف الثمن، فلو أصر النبي على الكتابة لأصر عمر وحزبه على أنَّ النبي كان في حالة هجر!! مع ما يجره ذلك على الدين من أخطار، لذلك صرف النبي النظر عن كتابة هذه التوجيهات، أو ربما كتب، لكن إعلام الدولة التاريخية شكك بكل شيء والبخاري نفسه يُنكر الوصية[1].

إن النبي أوصى بإخراج المشركين من جزيرة العرب، وبإجازة العرف بنحو ما كان يجيزه، وسكت عن الثالثة أو قال نسيتها. وكارثة الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد، وتزعم عمر بن الخطاب لهذه المواجهة من أصح الآثار، وقد عجزت الدولة التاريخية عن محوها من ذاكرة الناس[2].

وقفة عند هذه الكارثة وحالات مشابهة

من حق أي مسلم على الإطلاق أن يقول في مرضه ما يشاء، وأن يكتب ما يشاء، وأن يوصي بما يشاء، والذين يسمعون قوله أو يقرؤون ما كتب أو أوصى به أحرار بتنفيذ ذلك أو إهماله، وهذا الحق ليس مختصاً بالمسلمين إنما هو حق طبيعي لكل أبناء الجنس البشري، ولا يملك أحد في الدنيا كلها الحق بمصادرة هذا الحق الطبيعي، لست أدري من الذي أعطى عمر بن الخطاب وأعيان حزبه الحق بأن يكونوا أوصياء على النبي وأنْ يحولوا بينه وبين كتابة ما أراد!! خاصة وأن النبي يجلس في بيته الخاص لا في بيت عمر ولا في بيت أحد من أعضاء حزبه العتيد!

(١) راجع صحيح البخاري ٥/ ١٣٧ (باب مرض النبي ووفاته).

(٢) راجع صحيح البخاري ١/ ٣٧ و٢/ ١٣٢ و٤/ ٣١، ٦٥، ٥/ ١٣٧ و٧/ ٩. (كتاب المرض باب قول المريض قوموا عني) و٨/ ١٦١، وصحيح مسلم ٢/ ١٦ و٥/ ٧٥ (آخر كتاب الوصية) و١١/ ٩٤ ـ ٩٥ (بشرح النووي)، ومسند أحمد ١/ ٣٥٥ و٣/ ٨٦ و٤/ ٣٥٦ ح٢٩٩٢، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٦/ ٥١، وتاريخ الطبري ٣/ ١٩٣ و٣/ ١٩٢ - ١٩٣، والكامل لابن الأثير ٢/ ٣٢٠، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ٢٨٧ وما بعدها.

ومن جهة ثانية فإن قادة الأمم أو الشعوب تعودوا، وهم على فراش الموت، أن يصدروا توجيهاتهم النهائية المتعلقة بالعهد الذي يليهم، وجرت العادة أن تحترم توجيهاتهم وتلخيصهم للموقف.

فهذا أبو بكر دعا صفيّه عثمان خالياً وكتب توجيهاته النهائية. ومع هذا لم يعترض عليه عمر، ولم يقل إنه قد هجر ولم يقل: حسبنا كتاب الله، أو أن المرض قد اشتد بأبي بكر، مع أن المرض قد اشتد بأبي بكر أكثر مما اشتد برسول الله! فهل يعني ذلك أن خصوصية أبي بكر أعظم عند عمر من خصوصية الرسول![1].

وعندما جاء شديد مولى أبي بكر ومعه الصحيفة التي كتبها أبو بكر، كان عمر جالساً والناس معه، وقبل أن يطَّلع على مضمون الصحيفة قال عمر للناس: «أيها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله إنه يقول: إني لم آلكم نصحاً»[2].

فعندما أراد الرسول أن يكتب توجيهاته النهائية حال عمر وحزبه بين الرسول وبين ما أراد بحجة أن المرض قد اشتد برسول الله وبحجة أن القرآن وحده يكفي، وبالتالي فإن الرسول يهجر. أمّا عندما أراد أبو بكر أن يكتب فلم يعترضه أحد، بل سَهّلوا أمره، وشجَّع عمر الناس ليسمعوا ويطيعوا لخليفة رسول الله بحجة أن الخليفة قد قال: «إني لم آلكم نصحاً»! إن موقف عمر وحزبه عجيب حقاً ولا يمكن تخريجه بموازين الدين والعقل والمنطق!

وعندما طعن عمر كان المرض قد اشتد به بصورة عجيبة[3].

ومع هذا فقد أصدر عمر توجيهاته النهائية ورتَّب أمور الشورى واطمأن إلى أن عثمان هو الخليفة من بعده، واطمأن إلى استبعاد آل محمد عملياً، والأهم من

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٣/٤٢٩، ونظام الحكم للقاسمي ص ١٧٦ ـ ١٧٧، وسيرة عمر لابن الجوزي ص٣٧، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٨٥.

(٢) راجع تاريخ الطبري ١/٢١٣٨.

(٣) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٢١ ـ ٢٢، وطبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٤، وكتابنا الخطط السياسية ص ٣٦٧ ـ ٣٦٩.

ذلك أنه قد أمر بضرب عنق كل من يخالف توجيهاته النهائية[1]! لماذا لم يتذكر عمر أن المرض قد اشتد به، وأن القرآن ما زال موجوداً! لماذا لم يقل له أحد من المسلمين: أنت تهجر! حسبنا كتاب الله! تلك مواقف عجيبة لا يمكن تخريجها وفق موازين الدين والعقل والمنطق! وما من خليفة تاريخي إلا وقد أصدر توجيهاته النهائية، ولا علم لنا أن أحداً من الناس قد قال له: أنت تهجر أو حسبنا كتاب الله! والمثير حقاً أن عمر بن الخطاب قد صار بطلاً بمواجهته للرسول، وأن العوام يتجاهلون تلك الكارثة ويعتبرونها حدثاً عادياً، وإذا عرفتهم بخطورتها وتفاصيلها، قالوا: إن مواجهة عمر لرسول الله، والحيلولة بينه وبين كتابة ما أراد كانتا لحكمة يعرفها عمر وحزبه ويجهلها رسول الله! يا ويحهم! **﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾** [الحج/٤٦] وقد فصلنا هذه الكارثة في كتابينا نظرية عدالة الصحابة، والمواجهة.

لماذا فعل عمر وحزبه ذلك؟

لأن عمر عرف مضمون التوجيهات النهائية، كما اعترف في ما بعد حيث قال: إنه صد رسول الله عن كتابة الكتاب الذي أراد حتى لا يجعل الأمر لعلي بن أبي طالب[2] فالجامع المشترك بين عمر وحزبه كان كراهيتهم لولاية علي بن أبي طالب خاصة، ولأي دور مميز لأهل بيت النبوة عامة.

خروج النبي من دائرة التأثير على مسرح الأحداث

عندما نجح عمر وحزبه في الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد وهتفوا بغوغائية: إنَّ الرسول يهجر، وأشاعوا ذلك بين الناس أخرجوا الرسول عملياً من دائرة التأثير على سير الأحداث، وحرموا الأمة الإسلامية من تلخيص النبي للموقف، ومن وثيقة سياسية لا مثيل لها في التاريخ، وصدموا خاطر النبي

---

(١) راجع أنساب الأشراف للبلاذري ٥/١٨، وطبقات ابن سعد ٣/٢٤٧!!

(٢) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/١١٤، ط. أولى مصر. ٢/١٦٧ ط. دار الفكر في بيروت.

الشريف، وبمعصيتهم لرسول الله خلعوا ولايته من أعناقهم، وبمعصيتهم لرسول الله وخلعهم لولايته، عصوا الله وخلعوا ولايته عملياً، لأن طاعة الرسول طاعة لله، ومعصية الرسول مع سبق الإصرار معصية لله.

وكان أهل بيت النبوة غارقين في أساهم، ومنشغلين في مصابهم، وانطفأت النجوم، وأطاعت الدنيا وصعدت روح النبي إلى بارئها. وخرج النبي عملياً من التأثير على سير الأحداث فحسب رأى عمر وحزبه القرآن وحده يكفي الناس ولا حاجة لقول النبي ولا لكتابته!

بهذا المناخ الأليم تحرك عمر بن الخطاب وحزبه وقادوا زمام المبادرة، وقاموا بدور المؤسسين لعصر ما بعد النبوة[1]!

جريمة مع سبق الإصرار

كان عمر بن الخطاب بالذات وحزبه يعلمون علم اليقين أن الخليفة والإمام والقائد والوصي والولي من بعد النبي هو علي بن أبي طالب، وإن نسوا النصوص أو تناسوها فلن ينسى عمر أنه قد قدم التهاني للإمام علي في غدير خم وقال، جاداً أو ساخراً: «بَخٍ بَخٍ لك يا آبن أبي طالب، أصبحتَ وأمسيتَ مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة».

وكيف ينسى خطبة الرسول في غدير خم وربطه المحكم بين الولاية للرسول والولاية لعلي، والطاعة للرسول والطاعة لعلي وربط الولايتين والطاعتين بالولاية لله والطاعة لله!؟ وكيف ينسى عمر ربط رسول الله المُحكَم بين أهل بيت النبوة وبين القرآن، واعتبارهما ثقلين لشيء واحد وهو الدين، وكيف ينسى تأكيدات الرسول بأن الأمة لن تهتدي إلا بالاثنين معاً، ولن تتجنب الضلالة إلا بالاثنين معاً.

(١) وقد فصَّلت هذه المأساة في كتابي: نظرية عدالة الصحابة ص ٢٨١. وما بعدها. وفي الباب الثالث من كتابي الآخر: المواجهة، المطبوع في مركز الغدير للدراسات الإسلامية في بيروت١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

إن عمر وحزبه لم ينسوا ذلك وقد اعترف عمر في ما بعد بأنه لم ينسَ فقال يوماً: وهو يجلس على كرسي الخلافة «. . . أما والله يا بني عبد المطلب، لقد كان علي بن أبي طالب فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر. . . »[1].

وقال يوماً لابن عباس: «والله إن صاحبك هذا لأَوْلىٰ الناس بالأمر بعد رسول الله ولكنّنا خفنا. . . »[2] وصرح يوماً قائلاً: «وما أظن صاحبك إلا مظلوماً»[3].

ثم أعلن عمر، وبصراحة تامة، قائلاً: «إن الأمر كان لعلي بن أبي طالب فزحزحوه عنه لحداثة سِنّه والدماء التي كانت عليه»[4] فهذا إقرار صريح وكامل بأن عمر بن الخطاب كان يعلم علم اليقين بأن الأمر شرعياً لعلي بن أبي طالب، وقد تمت زحزحة الأمر عنه لحداثة سنّه، ولأنه قد قتل صناديد قريش على الكفر!

وهكذا اجتهد عمر بن الخطاب وأركان حزبه، وخالفوا الله ورسوله وعصوا رسول الله مع سبق الإصرار، مع علمهم بأن الرسول لا ينطق عن الهوى ـ على الأقل ـ في أمور على هذه الدرجة من الخطورة والأهمية! وكيف ينسون وكتاب الله ينطق ﴿إنْ أَتّبعُ إلاّ ما يوحى إليّ﴾ [الأنعام/ ٥٠]!! ألم يقل عمر وأركان حزبه: «حسبنا كتاب الله» في الجلسة نفسها التي خالفوا فيها رسول الله وكسروا بخاطره الشريف وقالوا له أنت تهجر؟!

* * *

(١) الراغب في محاضراته ٧/ ١٣، وكنز العمال ٦/ ٣٩١.
(٢) راجع شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٠.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٨.
(٤) راجع الطبقات لابن سعد ٣/ ١٣٠.

الفصل الثاني

الخطوط العريضة لعقيدة عمر وأركان حزبه

الذين واجهوا النبي نفسه في بيته، وقالوا له: أنت تهجر، وحالوا بينه وبين كتابة ما أراد لهم هم بأكثريتهم من بطون قريش الـ٢٣، البطون نفسها التي قاومت النبوة الهاشمية طوال ١٥ سنة في مكة، وأجبرت الرسول على الهجرة، وهي البطون نفسها التي اشتركت في مؤامرة قتل النبي ليلة هجرته، وشرعت فعلاً بجريمتها، وهي البطون نفسها التي جيَّشت الجيوش، وحاربت رسول الله طوال ثماني سنين، وحشدت عليه العرب وأحابيشها ومواليها، لا لشيء إلا لأن النبي من بني هاشم، وهي تحسد أن يكون النبي من بني هاشم ولا يكون منها، وهي البطون نفسها التي لم تترك فناً من فنون المقاومة ولا طريقة من طرق الحرب إلا استعملتها طمعاً بإلغاء النبوة الهاشمية. ولما هزمت هذه البطون عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، وفوجئت بجيوش النبي استسلمت، وأسلمت أو تظاهرت بالإسلام وأخفت شعورها بالإحباط والهزيمة، وحقدها الدفين على محمد وحمزة وعلي بن أبي طالب خاصَّة، وعلى الهاشميين عامة الذين قتلوا صناديد أبنائها خلال المعارك التي جرت بين محمد والبطون، والتقى أبناء بطون قريش الـ٢٣ تحت مظلة الدين المهاجر منهم والطليق وشاهدوا بأم أعينهم أن البلاد كلها قد دانت لمحمد، وأن العباد جميعهم قد خضعوا له، ودانوا بدينه أو تظاهروا بذلك، فلم يعد بوسع أحد أن يجاهر بعداوته لمحمد أو لدينه، وكان اللقاء فرصة بطون قريش الـ٢٣ الذهبية ليتذاكروا في ما بينهم وليستعرضوا ٢١ عاماً من الصراع الدامي بين محمد والبطون، وقد فهمت بطون قريش الـ٢٣ أن محمداً يوطِّد الأمر من بعده لابن عمه، وزوج ابنته، وفارسه القوي علي بن أبي طالب، الرجل نفسه الذي قتل الأكثرية الساحقة من أبناء بطون قريش! وأبعد من ذلك فإن محمداً يوطِّد الأمر، ويهيّىء الأمة لقبول قيادة ١٢ إماماً من ذريته ومن صُلْب علي يقودون الأمة في

المرحلة الواقعة بين وفاة النبي وقيام الساعة، والأنكى بنظر بطون قريش ـ المُهاجر منها والطليق إلا من عصم الله ـ هو قول النبي وتأكيداته المتوالية «بأن أهل بيت النبوة ثقل، والقرآن ثقل آخر، وأن الثقلين متكاملان وأن الأمة من بعده لن تدرك الهدى إلا بالتمسك بهذين الثقلين، ولن تتجنب الضلالة إلا بالتمسك بهما معاً»، والأعجب من ذلك، برأي أبناء البطون، هو قول محمد وتأكيداته بأن هذه الترتيبات المتعلقة بالقيادة من بعده هي أوامر الله، وأنه يلقي القول معذرةً للناس واتباعاً لما يوحى إليه!

وهذا يَعني، برأي عمر بن الخطاب وأركان حزبه من أبناء البطون، أنَّ محمداً قد ألغى بصورة نهائية الصيغة السياسية الجاهلية التي كانت تحكم العلاقة بين بطون قريش قبل الإسلام، تلك الصيغة القائمة على اقتسام مناصب الشرف بين البطون، ويَعني أيضاً أنَّ الهاشميين قد أخذوا النبوة واختصوا بها وحدهم، وهم بصدد أخذ الملك أو الخلافة لتكون لهم وحدهم، ويعني أيضاً أنَّ محمداً ورهطه حازوا الشرف كلّه وحرموا البطون منه إطلاقاً!

وحسب قناعة عمر بن الخطاب وأركان حزبه من أبناء بطون قريش، فإن هذا غير معقول! وأن الله تعالى أعظم وأعدل من أن يعطي الهاشميين النبوة والخلافة، ويحرم بقية البطون القريشية من هذين الشَّرفين معاً! لذلك فإن عمر ابن الخطاب وأركان حزبه يجزمون بأنه لا علاقة لله تعالى بهذه الترتيبات وأنها ـ والعياذ بالله ـ من آراء محمد الشخصية.

ولكن لا عمر ولا أركان حزبه يجرؤون على التصريح بهذه القناعة، لأن البطون مهزومة نفسياً، وموقنة بأن محمداً في عنفوان مجده، وأنه لن يهزم، ولأنها تكره أن تكرر تجاربها الفاشلة السابقة في مواجهاتها لمحمد، لقد نالها من الهزائم ما كفاها، ثم إنه ليس من الحكمة استعجال حركة الأحداث، فمحمد ميِّت لا محالة وبطون قريش الـ٢٣ متحدة ضد مشروع محمد باستخلاف علي بن أبي طالب واثني عشر إماماً من ذريته وضد مشروعه الرامي لربط القرآن مع أهل بيت النبوة واعتبار الاثنين كلاً واحداً.

لذلك أخفى عمر وأركان حزبه من أبناء بطون قريش مشاعرهم وأفكارهم هذه، واكتفوا ببث الدعايات والأراجيف ضد الترتيبات الإلهية التي أعلنها النبي والمتعلقة بالإمامة أو القيادة من بعده، وفي الوقت نفسه أخذوا يشككون بأنها ليست من عند الله، وأنها ليست أكثر من أمنيات أو آراء شخصية لمحمد!! وأخذوا يشيعون بين الناس، بأن الدين قد تم، وأن نزول القرآن قد اكتمل، وأن وجود الرسول قد صار ثانوياً، وأن القرآن وحده يكفي، ولا حاجة لقول الرسول ولا لتوجيهاته خاصة في الأمور السياسية.

من أراجيف البطون ودعاياتها الفاسدة ضد النبي

١ ـ إن الرسول بشر، يتكلم في الغضب والرضى! ولا ينبغي أن يحمل كل كلامه على محمل الجد![١]. ومن المؤكد أن أبا بكر وعمر وأركان حزبهما وراء هذه الشائعة لأن أول مشاريعهما بعد الاستيلاء على السلطة أن منعا رواية أحاديث الرسول، فقد خطب أبو بكر: «لا تحدثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا حسبنا كتاب الله»[٢]. . وقد بدأ أبو بكر بنفسه حيث أحرق الأحاديث التي كتبها عن رسول الله بخط يده، كما روت السيدة عائشة أم المؤمنين، وعندما آلت الخلافة لعمر ناشد الناس أن يأتوه بأحاديث رسول الله التي كتبوها، وظن الناس أنه يريد أن يجمعها في كتاب، فلما جاءوه بها أمر بحرقها وحرقت بالفعل[٣]، وحبس عمر ثلاثةً بتهمة أنهم أكثروا الحديث عن رسول الله[٤]، ولقد نهى عمر جيوشه عن التحديث عن رسول الله[٥]، واستغرب من الصحابة أن يفشوا أحاديث الرسول،

---

(١) راجع سنن أبي داود ٢/١٢٦، وسنن الدارمي ١/١٢٥، ومسند أحمد ٢/١٦٢ و٢٠٧ و٢١٦، ومستدرك الحاكم ١/١٠٥ ـ ١٠٦، وجامع بيان العلم لابن عبد البر ١/ ٨٥.

(٢) راجع تذكرة الحفاظ للذهبي، ١/ ٢ ـ ٣.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ٣/ ١٣٠.

(٤) راجع تذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢ ـ ٣ (ترجمة أبي بكر).

(٥) راجع بيان العلم لابن عبد البر ٢/ ١٤٧.

لذلك جمعهم من الأمصار وفرض عليهم الإقامة عنده[1]، وجاء عثمان فأصدر مرسوماً بعدم جواز رواية أي حديث لم يسمع به في زمن أبي بكر وعمر. والغاية من هذه الأراجيف إبطال مفاعيل النصوص النبوية المتعلقة بولاية علي من بعد النبي، وبالدور المميز لأهل بيت النبوة حتى يتناساها الناس، وقد صرح معاوية في ما بعد بذلك، حيث أصدر أمراً جاء فيه «أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته»[2].

٢ ـ وكدعايتهم أن الرسول كان يفقد السيطرة على أعصابه فيشتم ويسب ويلعن ويؤذي من لا يستحق[3].. وقد اخترعوا هذه الشائعة لتبرئة ساحة من لعنهم رسول الله كمعاوية وأبي سفيان والحكم بن العاص ومروان ابنه وغيرهم.

٣ ـ وكدعايتهم أن النبي كان يخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله[4]، وهذا قمة التشكيك في كل ما صدر عن الرسول.

٤ ـ وأخيراً واجه عمر بن الخطاب وأركان حزبه رسول الله فقالوا له وجهاً لوجه: أنت تهجر.. ولا حاجة لنا بكتابك لأن القرآن يكفينا[5].

عقيدتهم في النبوة

لما بسط النبيُّ سلطانَه على العرب، ودانت له البلاد والعباد، واستساغت زعامة بطون قريش وأسلمت، أو تظاهرت بالإسلام، لم يعد السؤال أن محمداً نبي أو غير نبي مطروحاً، لقد صارت النبوة طريقاً للملك وطريقاً لبسط سلطان بطون قريش على العرب، ووسيلة لميراث سلطان محمد وإرثه، لأن محمَّداً رجل من

---

(١) راجع كنز العمال ٥/٢٣٩، ح٤٨٦٥.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ص ٥٩٥ ـ ٢٩٦ تحقيق حسن تميم.

(٣) راجع صحيح البخاري كتاب الدعوات باب قول النبي من آذيته. وصحيح مسلم كتاب البر والصلة باب من لعنه النبي!!

(٤) راجع صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس، وكتاب الطب، وكتاب الدعوات.

(٥) راجع الباب الرابع ـ الفصل الأول: (المواجهة مع الرسول نفسه وخلع ولايته عملياً واتهامه بالهجر).

قريش، وصارت النبوة، وصار الدين، الطريقة المثلى لملك بطون قريش على العرب، لذلك لم يعد من مصلحة البطون إطلاقاً إنكار نبوة محمد، بل إن مصلحتها تقضي بالاعتراف بهذه النبوة وتعميم هذا الاعتراف، والتمسك بالدين أو التظاهر بذلك، فلا خلاف بأن عمر بن الخطاب وأركان حزبه من بطون قريش يعترفون بنبوة محمد، ويصرون عليها، ويعتبرونها أقدس الأحداث! هذا بالإضافة إلى القناعات الشخصية الدينية.

عقيدة عمر وأركان حزبه في القرآن الكريم

عمر بن الخطاب وأركان حزبه ـ باستثناء المنافقين ـ على قناعة تامة بأن الرسول قد بلغ للناس القرآن كما تلقاه من ربه من دون زيادة ولا نقصان، فما قال عنه الرسول إنه قرآن فهو قرآن أُوحِيَ إليه من الله. والرسول بهذه الحالة لا ينطق عن الهوى، أمّا عدا ذلك ففيه نظر.

عقيدة عمر وأركان حزبه في بيان النبي لهذا القرآن

إذا كان بيان النبي يتعلق بالعبادات وكيفيتها فلا حرج على عمر وأركان حزبه لو اقتنعوا بأن هذا البيان إلهام أو وحي من الله تعالى، وإن كان من الممكن إجراء بعض التعديلات التي يرونها مناسبة، أو أنسب من بيان الرسول حسب تصورهم مثال على ذلك صلاة التراويح، فقد أمر النبي بأن يصلّيها كل مسلم منفرداً وبدون جماعة، فرأى عمر لما آلت إليه الخلافة أن يجمع الناس عليها فذلك أفضل من أدائها بصورة انفرادية كما أمر الرسول قائلاً: بعد أن شاهد الناس يصلّون بصلاة قارئهم: نعمت البدعة هذه[1]. ومثال على ذلك صلاة الجنازة لقد استقرت سُنَّة

---

(١) راجع الكامل لابن الأثير ٣/ ٣١، والطبقات لابن سعد ٣/ ٨١، وصحيح مسلم باب الترغيب في قيام رمضان، وصحيح البخاري ٢/ ٢٥١. وموطأ مالك ١/ ١١٣، وإرشاد الباري في صحيح البخاري ٥/ ٤، وروضة الناظر لابن شحنة بهامش الكامل، حيث قال: «أن عمر أول من جمع الناس على إمام في صلاة التراويح». وانظر أيضاً: شرف الدين، النص والاجتهاد، ٢٥٠ وما بعدها. ط. الدار الإسلامية ـ بيروت.

الرسول بأنه كان يصلي على الجنازة بخمس تكبيرات، ومات الرسول والناس على هذه الحالة، ولمّا تسلّم عمر الخلافة رأى أن الأفضل أربع تكبيرات وليس خمساً[1].

عقيدة عمر وأركان حزبه في كلام الرسول في الأمور السياسية

لقد سقنا، في الصفحات السابقة، تحت عنوان «من أراجيف البطون ودعاياتها» نموذجاً عن عقيدتهم في كلام الرسول خاصة في الأمور السياسية المتعلقة بقيادة الدولة، وباستقراء الأحداث يتبين أن عمر وأركان حزبه يقسمون كلام رسول الله في الأمور السياسية أو ما يتعلق بها إلى قسمين:

١ ـ قسم يتفق بالصدفة مع رأي عمر وأركان حزبه وما تهوى نفوسهم، فكلام الرسول بهذه الحالة وحي من الله. والرسول لا ينطق عن الهوى، وهي واجبة الاتباع. انظر إلى قول عمر بن الخطاب: «لو كان أبو عبيدة حياً لاستخلفته، فإن سألني ربي قلت: نبيك يقول: «إنه أمين هذه الأمة». ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لاستخلفته، فإن سألني ربّي قلت: سمعت نبيك يقول: «إن سالم ليحب الله. . . »[2]. لقد تألق نجم هذين الرجلين عند عمر لدعمها الفريد له، يوم واجه النبي وقال له: أنت تهجر ويوم سقيفة بني ساعدة، واستذكر إخلاصهما العجيب لمبادئه وقضيته وولاءهما المطلق له، فاتفق كلام الرسول عن الرجلين مع رأي عمر ومع توجهه النفسي، فالحديث النبوي هنا ملزم لأنه يدعم قناعات عمر المُطلقة بهذين الرجلين، والرسول هنا لا ينطق عن الوحي.

٢ ـ القسم الثاني من كلام الرسول لا يتفق مع رأي عمر بن الخطاب وأركان حزبه. فكلام الرسول بهذه الحالة لا ينبغي أن يُحمَل على محمل الجد لأن الرسول بشر يتكلم في الغضب والرضى، ولا ينبغي الإصغاء لكل ما يقوله. فكم ورد في علي بن أبي طالب من أحاديث، لقد أعلنه الرسول أمامه ولياً وإماماً للمسلمين،

---

(١) راجع: روضة الناظر لابن شحنة بهامش الكامل لابن الأثير ١/ ٢٠٣.
(٢) راجع: العقد الفريد ٤/ ٢٧٤.

وهنأه عمر نفسه بالإمامة والولاية، مئات النصوص قالها الرسول بعلي، ومئات النصوص ذكرها الرسول بأهل بيت النبوة، وأبرزها حديث الثقلين، لكن عمر وحزبه لا يتذكرونها، ولا يرغبون بذلك، لأنها لا تتفق مع رأيهم وما تهوى أنفسهم، ولأنها غير معقولة وغير مناسبة، فالأولى إهمالها لمصلحة المسلمين! وقد إطلعت في الصفحات التي مرّت نصيحتهم لمن كان يكتب كل ما يسمعه عن رسول الله، ولم يحملهم على التراجع تأكيدات الرسول ويمينه العظيم بالله «بأنه لا يخرج من فمه إلا حقاً».

ومثل منهج الرسول بتقسيم الأموال، فقد كان يقسم بين الناس بالسوية، لأن حاجاتهم الأساسية متشابهة، وجاء أبو بكر وسلك هذا المنهج، ولما آلت الخلافة لعمر بن الخطاب رأى أن ذلك غير مناسب فلا يعقل أن يكون المهاجر كالأنصاري! ولا يعقل أن يكون العربي كالعجمي، ولا يُعقَل أن يكون الموالي كالصرحاء! ولا يعقل أن تكون عائشة وحفصة كبقية أزواج الرسول. لذلك ألغىٰ مبدأ المساواة الذي سَنّه رسول الله، وأعطى الناس حسب منازلهم عنده، فأعطى لزوجات الرسول مبالغ طائلة، فأعطى كل واحدة منهن عشرة آلاف، أما عائشة وحفصة فأعطى كل واحدة منهما اثني عشر ألفاً! وأغدق عطاياه على كبار رجال الأمة كعثمان وطلحة والزبير، ورؤساء المرتزقة من الأعراب، واستمر على ذلك تسع سنين عاملاً برأيه الشخصي، ومتجاهلاً لسنة رسول الله، وهو يحسب أن رأيه الشخصي أنسب من سُنّة رسول الله التي ترجع أصلاً إلى الوحي الإلهي! خلال هذه المدة تكوّن نظام الطبقات، وبدأت الآثار المدمِّرة لرأي عمر بن الخطّاب تظهر، فظهرت الطبقية بأعتىٰ صورها، وظهر الموت من التخمة التي أوجدها عمر وحزبه، وظهر الموت من الجوع الذي تسبب به عمر وحزبه، فطلحة والزبير وعثمان وابن عوف، وسعد، وعمرو بن العاص كانوا يملكون المليارات، وعمار وبلال وعامة الناس، كانوا يتضورون جوعاً! ونمت بذور الصراع القبلي بين ربيعة ومضر، وبين الأوس والخزرج، وبين العرب والعجم، وبين الموالي والصرحاء

وتحولت هذه البذور في ما بعد إلى نار كبرت والتهمتْ خصائص المجتمع الإسلامي[1].

بعد تسع سنين من ترك عمر بن الخطاب لسنة رسول الله وإحلال رأيه الشخصي محلها، وبعد أن رأى الآثار المدمرة لفعله قال عمر بن الخطاب: «إن عشت هذه السنة ساويت بين الناس فلم أفضِّل أحمر على أسود، ولا عربياً على عجمي، وصنعت كما صنع رسول الله وأبو بكر»[2]! هكذا ببساطة، ومات الرجل، وبقيت سُنَّة النبي مهجورة، وسُنَّة عمر أو الرأي الشخصي لعمر الذي تحوّل بفعل نفخ وسائل الاعلام إلى سُنَّة نافذة، وصار لكل خليفة من حزب عمر موازينه الخاصة بترتيب الناس، وتصرفوا بأموال الله وفق هذه الموازين التي لم تدم على حال، ولم يستقر لها قرار!

ومثل ذلك قضية (الخُمْس) المخصص بآية محكمة لذوي القربى «قربى الرسول»[3] لقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ من شيءٍ فأَنَّ للّهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ وَلِذِي القُربىٰ واليتامىٰ والمساكينِ وٱبنِ ٱلسَّبيلِ إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بالله وما أَنزَلْنا علىٰ عبدِنا يومَ الفُرقانِ يومَ التقىٰ ٱلجمعانِ واللهُ علىٰ كلّ شيءٍ قَديرٌ﴾ [الأنفال/ ٤١]، والحكمة من هذا التشريع أن الله قد حرّم الصدقة على محمد وعلى آل محمد[4]، وبعد أن حرّم الله الصدقة على آل محمد خصَّص لهم جزءاً ثابتاً من الأنفال بآية محكمة، وطوال حياة النبي وهو يعطيهم هذا السهم. ولما قبضوا على مقاليد السلطة بعد وفاة النبي؛ أبى عمر بن الخطاب أن يعطي أقارب النبي حقهم[5] بحجة

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي ٢/١٠٦، ١٠٧. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨/ ١١١.
(٢) راجع تاريخ اليعقوبي ٢/١٠٧، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٨/ ١١، وتاريخ الطبري ٥/ ٢٢.
(٣) راجع سنن أبي داود ٢/ ٥١، وسنن النسائي ٢/ ١٧٧، وسنن البيهقي ١/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥.
(٤) راجع صحيح مسلم ٣/ ١٢٣، وصحيح البخاري ١/ ١٨١، وسنن أبي داود ١/ ٢١٢، وسنن الدارمي ١/ ٣٨٣.
(٥) راجع صحيح مسلم ٥/ ١٩٥. ومسند أحمد ١/ ٢٤٨، ٢٩٤، ٣٠٤، وسنن الدارمي ٢/ ٢٢٥. ومسند الشافعي ص ١٨٣.
=

أن بطون قريش كلها ذوو قربى[1]!! وهكذا بكل بساطة أبطل مفعول آية محكمة وألغى السنة النبوية، وعمل برأيه الشخصي!! لأن عمر رأى أن الحكمة تقتضي تحجيم ذوي قربى محمد، وقطع موردهم المالي الثابت، حتى يجعلهم عالة عليه وعلى الحكام من بعده، وينزع من نفوسهم شعور الرغبة بالوصول إلى السلطة ليكونوا دائماً رعايا لا مسؤولين إعمالاً للمبدأ الذي اخترعه وحزبه «النبوة لبني هاشم والخلافة للبطون»!! ومثل ذلك إلغاء عمر لسهم المؤلَّفة قلوبهم الوارد بآية محكمة، مع أن رسول الله أعطاهم السهم طوال حياته المباركة وانتقل إلى جوار ربه ولم تنسخ هذه الآية، حيث قال تعالى: **﴿إنّما الصدقاتُ للفقراء والمساكينِ والعاملينَ عليها والمؤلّفة قلوبُهُمْ وفي الرّقاب والغارمينَ وفي سبيل الله وابن السبيل فريضةً من الله والله عليمٌ حكيمٌ﴾** [التوبة/ ٦٠]، ولكن عمر وحزبه اعتقدوا أن إبطال مفاعيل هذه الآية وتجميدها أولى، وصار قرار عمر سُنّة فعلية لم تقوَ الأيام على تبديلها أو تغييرها.

ومثل ذلك مصادرة تركة الرسول وحرمان الورثة من هذه التركة، والهدف من هذه المصادرة كان تجريد أهل بيت النبوة من سلاح المال، حتى يتمكن عمر وحزبه من أحكام سيطرتهم على السلطة. وحجتهم أن أبا بكر قد سمع الرسول يقول «بأن الأنبياء لا يورِّثون»[2]. ومع أن علي بن أبي طالب وأهل بيت النبي قد عاشوا مع الرسول طوال حياته تحت سقف واحد، ومع أن الأمر يخصهم وهم أول من يجب أن يعلم به، ومع أنهم مفاتيح وخزنة العلم النبوي إلا أنّهم لم يسمعوا بهذا القول قط!! واستغربت فاطمة بنت محمد من قول أبي بكر فقالت له: من يرثك إذا مت؟ فقال أبو بكر: ولدي وأهلي، فقالت فمالنا لا نرث رسول الله؟ فرد أبو بكر بمقولته السابقة[3]، فتدخل علي وقال: **﴿وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ﴾** [النمل/١٦]، **﴿يَرِثُني وَيَرِثُ مِن آلِ يعقوبَ﴾** [مريم/٦] فكيف نوفق بين قولك

---

(١) راجع: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١٠/٥، والأموال لأبي عبيد ص ٢٣٣.

(٢) راجع صحيح الترمذي ٧/١١١.

(٣) راجع مسند أحمد بن حنبل ١/١٠، حديث ٦٠، وسنن الترمذي ٧/١٠٩. وطبقات ابن سعد ٥/٧٧، وتاريخ ابن الأثير ٥/٢٨٦.

الأنبياء لا يورثون وبين هاتين الآيتين!؟ هذا كتاب الله ينطق بالحق، فسكت أبو بكر وانصرف وأصر على قرار المصادرة[1] وأخذ أبو بكر تركة الرسول على إعتبار أنه الوارث الوحيد للنبي[2]. وهكذا ورث الصاحب، وحُرم الأولاد من التركة. ودون أن يدري عمر وحزبه فقد نقضوا الظاهر الشرعي لقرار المصادرة عندما تلفظوا وأعطوا آلة الرسول ودابته وحذاءه لعلي بن أبي طالب[3] وأنت ترى أن علياً وفاطمة نطقا بالحق المبين، ولو سلم أبو بكر وعمر بحق علي وفاطمة بإرث النبي لنزعوا منهما الخلافة في ما بعد، ولكن الخليفة ونائبه صادرا التركة وأنكرا حق أهل البيت بتركة النبي.

والخلاصة: إن أقوال الرسول ـ ولو كانت مزعومة ـ إذا كانت تخدم مصالح البطون فلا مجال للمهادنة فيها ويجب تطبيقها، أما إذا كانت لا تخدم مصالحهم، فالرسول يتكلم في الغضب والرضى، ولا ينبغي أن يحمل كلامه على محمل الجد كما وثّقنا؛ وبالتالي فالقرآن وحده يكفي، ولا حاجة للرسول ولا لسنته عملياً!

عقيدة عمر وأركان حزبه في خلافة النبي

تقوم عقيدة عمر وأركان حزبه من بطون قريش الـ٢٣ في الخلافة من بعد النبي على أربعة مبادىء:

المبدآن الأول والثاني: عدم جواز جمع الهاشميين للنبوة والخلافة معاً، حتى لا يحوزوا الشرف كله، ويحرموا بطون قريش من هذا الشرف، لأن هذا الجمع يؤدي للإجحاف، وينافي حرية الاختيار، ومجانب للصواب ـ على حد تعبير عمر بن الخطاب ـ، والعدل يقضي أن يختص الهاشميون بالنبوة وحدها لا يشاركهم فيها أي رجل من البطون، فيكون شرف النبوة لبني هاشم وحدهم.

---

(١) راجع كنز العمال ٥/ ٣٦٥. وطبقات ابن سعد ٢/ ٣١٢.

(٢) راجع مسند أحمد ١/ ٤، ح١٤، وسنن أبي داود ٣/ ٥٠، وتاريخ ابن كثير ٥/ ٢٨٩، وتاريخ الذهبي ١/ ٣٤٦، وشرح نهج البلاغة ٤/ ٢٨١.

(٣) راجع شرح نهج البلاغة ٤/ ٨٧ و٨٩، وبلاغات النساء ص ١٢ ـ ١٥.

وبالمقابل تختص بطون قريش الـ٢٣ وحدها بالخلافة لا يشاركها فيها أي هاشمي قط[1].

وهذا يعني إلغاء قرارات الرسول الصادرة يوم غدير خم، المتعلقة بولاية علي بن أبي طالب وإمامته من بعد النبي، ويعني تراجع عمر وأركان حزبه عن بيعتهم وتهنئتهم لعلي، مثلما يعني إلغاء الدور المميز لأهل بيت النبوة في قيادة الأمة بعد النبي، وإلغاء الارتباط بين القرآن وأهل بيت النبوة الذي أعلنه الرسول في غدير خم، وإبطال مئات النصوص الشرعية التي أعلنها الرسول لتغطية ظاهرة السلطة أو الإمامة الشرعية!! فالمبدآن جاهليان وقبليان من جميع الوجوه ومناقضان بالكامل لبيانات الرسول المتكررة.

المبدأ الثالث: إبعاد الهاشميين ومن والاهما عن كافة مراكز الدولة والوظائف العامة، من باب سد الذرائع، حتى لا يستغل الهاشميون وظائفهم ومناصبهم، ويسترجعون ما يسمّونه حقهم بالإمامة والولاية فيجمعوا بين النبوة والخلافة ويقع المحذور الذي يخشاه عمر، وتختل الصيغة السياسية الجاهلية التي أخذت نمطاً وشكلاً جديدين، ويتوجب إبقاء الهاشميين وأهل بيت النبوة خاصة تحت المراقبة وفي حالة تبعية دائمة للدولة، وتجريدهم من أموالهم ليبقوا بحالة عوز وفقر فلا يستعينزا بسلاح المال لتحقيق بعض آمالهم. وفي هذا السياق تمت مصادرة تركة الرسول كما بيّنا ووثّقنا، وحرمان أهل البيت وبني هاشم من حقهم في الخُمْس.

المبدأ الرابع: وطمعاً بتوحيد الناس خلف عمر وحزبه واستقطابهم ضد أهل بيت النبوة من عمر بن الخطاب وأركان حزبه إلى الجميع، وإلى كافة التوجهات، فحالف المنافقين «وهكذا اختفت ظاهرة النفاق» وحالف المرتزقة من الأعراب، وفتح عمر وأركان حزبه قلوبهم للجميع، بل وعدلوا نظرياً الصيغة الجديدة القائلة

---

(١) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ١٠٧/٣، نقلاً عن تاريخ بغداد، و٥٣/١٢ ـ ٥٤ (تحقيق محمد أبو الفضل)، والكامل لابن الأثير ٢٤/٣ (نص الحوار الذي جرى بين عمر بن الخطاب وابن عباس).

«النبوة لبني هاشم والملك أو الخلافة للبطون» فأعلن عمر وهو على فراش الموت أنه لو كان معاذ بن جبل حياً لولاّه عمر خلافة المسلمين، ومعاذ هذا من الأنصار وسابقاً وحسب رأي عمر وحزبه فإن الأنصار لا يجوز لهم أن يتولّوا خلافة المسلمين لأن عشيرة محمد «البطون» أولى بميراثه كما صرح في سقيفة بني ساعدة، وأبعد من ذلك فإن عمر بن الخطاب قد صرّح وهو على فراش الموت أنه لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لولاّه الخلافة، وسالم هذا من الموالي، ولا يُعرَف له نسب في العرب، وهكذا مَنّىٰ عمر بن الخطاب الجميع وفتح شهية الجميع على الخلافة من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فالخلافة محصورة بين البطون الـ٢٣.

وليضمن عمر وحزبه إبعاد الهاشميين عن الخلافة من بعد موت عمر وأركان حزبه أوجد نظام الشورى، وأوجد أصحاب الشورى لينافسوا علياً بصورة مستمرة، ولينافس أولادُهم أولادَ علي طوال الحياة[1].

إن كراهية عمر لأهل بيت محمد عجيبة، وإخلاصه لقسمة النبوة للهاشميين والخلافة للبطون أشد عجباً. ولله عاقبة الأمور.

تسويغ هذه العقائد

لما اكتشف المسلمون حالات الاستخفاف بالأحكام الشرعية، وتجاهل بيان النبي، والجهد الذي بذله الخلفاء لمنع رواية حديث النبي والصد عن كتابته وإحراق المكتوب منه، ونشوء سنن بديلة لسنة الرسول، وعلى الرغم من الهالة المقدّسة التي أضفيت على الخلفاء المؤسسين إلا أن الناس بدؤوا يتساءلون: كيف حدث هذا؟ ولماذا؟، ولا بد للحزب وأوليائه من تقديم أجوبة مقنعة عن هذا

---

(١) راجع الحوار الذي جرى بين ابن عباس وعمر كما ذكره المسعودي في مروجه ٢/٣٥٣ـ ٣٥٤، لتعلم حجم كراهية عمر لولاية أهل البيت واحتياطاته لمنعهم من الوصول إلى الولاية، وراجع حواره مع ابن عباس الذي وثّقناه قبيل قليل، وراجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/١٢ وما بعدها.

وكيف!! فقالوا: إن الرسول مجتهد والخليفة مجتهد آخر، ولا حرج على المجتهد لو ترك اجتهاد غيره واتبع اجتهاده.

فمساواة الرسول بين الناس في العطاء اجتهاد، وإعطاؤه الخمس لذوي قرباه اجتهاد[1]، وعدم خروج عمر وأبي بكر في جيش أسامة مع أن الرسول قد لعن مَن تخلّف عنه اجتهاد، وليس وحياً يصعب مخالفته[2]، والأهم من ذلك أن الاجتهاد وَرَدَ حتى في العبادات كزيادة الأذان الثالث يوم الجمعة[3]، والاجتهاد قد يقع في حد من حدود الله. قال القوشجي في معرض الاعتذار عن إسقاط القود عن عبدالله آبن عمر: إنه اجتهد!![4].

والإجتهاد قد يحدث لمصلحة أعداء الله، فالحكم بن العاص عدوٌّ لله كان يؤذي رسول الله في الجاهلية والإسلام لعنه الرسول ولعن أولاده[5] وأصدر الرسول أوامره بتغريب الحَكَم وأولادَه وقال: «لا يساكنني ولا ولده». وعندما مات الرسول، وتولّى أبو بكر الخلافة راجعه عثمان للسماح بعودة الحَكَم بن العاص فرفض أبو بكر، وبعد وفاة أبي بكر وتولّي عمر راجعه عثمان فرفض عمر، ولما تولّى عثمان الخلافَة أعاده معزّزاً مكرّماً وألبسه جُبّة من طيلسان[6]. وأعطاه صدقات المسلمين البالغة ٣٠٠ ألف درهم[7]، ولما مات الحكم ضرب عثمان على قبره فسطاطاً إمعاناً بحزنه عليه[8]، ولما قيل: لِمَ فعل عثمان ذلك؟

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة ٢/١٥٣.
(٢) المصدر نفسه، ٤/١٧٨.
(٣) راجع منهاج السنة لابن تيمية ٣/٢٠٤.
(٤) راجع شرح التجريد ص ٤٠٩ وشرح نهج البلاغة ١/٢٤٣. وراجع أيضاً: النص والاجتهاد للسيّد شرف الدّين، ص ٢٠٠ وما بعدها.
(٥) راجع أنساب الأشراف للبلاذري ٥/٢٧ ـ ٢٨، ومستدرك الحاكم ٤/٤٧٩ ـ ٤٨١، والنص والاجتهاد ص ٤٠١.
(٦) راجع: تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٤. والغدير للشيخ الأميني، ٨/٢٤١. وشيخ المضيرة لمحمود أبو ريّة، ص ١٦٨.
(٧) راجع: تاريخ اليعقوبي ٢/١٦٨.
(٨) راجع أنساب الأشراف للبلاذري ٥/٢٧.

قال شيعة الخلفاء: هذا اجتهاد!![1].

وروى الحاكم عن عبد الرحمن بن عوف قال: «كان لا يولد مولود إلا أتى به النبي فدعا له فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال الرسول: هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون»[2] ومع هذا أصبح هذا الولد بالاجتهاد رئيساً لوزراء المسلمين وأعطى فدكاً التي حرمت منها ابنة رسول الله، وأصبح جداً لخلفاء بني أمية، فهم جميعاً من سلالته[3]. وقد سوَّغت كل الأفعال المخالفة للشرع الحنيف بالاجتهاد!! بل وأعظم من ذلك بأنّ للمخالفين للشرع أجراً لأنهم مجتهدون[4].

أركان حزب عمر من بطون قريش

يتألف أركان حزب عمر بن الخطاب من بطون قريش من خليتين:

الخلية الأولى: وتتكوّن من عمر، وسعيد بن زيد وكلاهما من بني عدي ومن أبي بكر وطلحة بن عبيدالله وكلاهما من بني تيم، ومن أبي عبيدة عامر بن الجرّاح من بني عامر، ومن الزبير بن العوام وهو من بني أسد بن عبد العزى، ومن عبد الرحمن بن عوف. من بني زهرة بن كلاب، ومن عثمان بن عفان وعمرو بن العاص وكلاهما من بني أمية، ومن خالد بن الوليد وهو من بني مخزوم، وفي ما بعد انضم لهم سعد بن أبي وقاص. قال عمر بن الخطاب في ما بعد: إن رسول الله قد انتقل إلى جوار ربِّه وهو راضٍ عنهم، وقد اشتهرت هذه الخلية في ما بعد باستثناء خالد وعمرو بأن رجالاتها مبشَّرون بالجنَّة[5]، وتم التركيز على هؤلاء من دون الناس، وأهملت مئات النصوص التي بشَّرت غيرهم بالجنة، وأهملت وسائل

(١) راجع شرح النهج ١/ ٢٣٣.
(٢) راجع مستدرك الحاكم ٤/٤٧٩ ـ ٤٨١.
(٣) راجع شرح نهج البلاغة ١/ ٦٧، والمعارف لابن قتيبة ص ٨٤.
(٤) راجع شرح التجريد للقوشجي ص ٤٠٨ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤/ ١٧٨. ومنهاج السنة لابن تيمية ٣/ ٢٠٣.
(٥) راجع صحيح الترمذي ١٣/ ١٨٣ و١٨٦، والرياض النضرة للطبري ١/ ٢١.

الإعلام في ما بعد سادات أهل الجنة، وهم النبي، وعلي، وجعفر وحمزة، والحسن، والحسين[1].

على أي حال لقد برزت هذه الخلية الأولى وفرضت نفسها فرضاً على الأحداث من اللحظة التي مرض فيها رسول الله، وحالوا بينه وبين كتابة ما أراد، لم يكن الزبير معهم في البداية ولكنهم جذبوه إليهم أخيراً وانتشرت مقولة بأن الخلافة لا تصلح في من بقي حياً من قريش إلا لواحد منهم.

الخلية الثانية: وتتكون من: يزيد بن أبي سفيان، وشقيقه معاوية والحكم بن العاص، ومروان ابنه، والوليد بن عقبة، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح، وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وغيره، من سادات البطون الـ٢٣ وهم الذين قادوا سابقاً جبهة الشرك.

الخليَّتان فريق واحد

وهكذا اتّحدت بطون قريش، مهاجرها وطليقها، ضد علي بن أبي طالب وضد الهاشميين بعد الإسلام، تماماً كما اتَّحدت هذه البطون ضد النبي وبني هاشم قبل إسلامهم، والفرق أنهم في الحالة الأولى كانوا قد اتَّحدوا تحت مظلّة الشرك، وفي الحالة الثانية اتَّحدوا تحت مظلّة الإسلام، وفي الحالة الأولى اتَّحدوا ضد النبي أما في الحالة الثانية فقد اتحدوا ضد علي.. وإلى هذا أشار الإمام علي بقوله: «اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم»، إلى أن قال: «وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي»[2].

العمود الفقري للحزب

بمعنى أن سادات البطون الذين أسلموا يوم الفتح، والمهاجرين من أبناء البطون الذين أسلموا قبل الفتح؛ صاروا فريقاً واحداً، وصاروا هم العمود الفقري

---

(١) راجع صحيح ابن ماجة ص ٣٠٩. (باب خروج المهدي) والمستدرك على الصحيحين ٣/ ٢١١، والرياض النضرة ٢/ ٢٠٩، وتاريخ بغداد ٣/ ٤٣٤.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة ٣/ ٣٥١. تحقيق حسن تميم.

للمخالف، وللحزب، ومركز التدبير والتخطيط الذي قام، وتكوّن من بطون قريش، ومن المنافقين والمرتزقة من الأعراب، وطلّاب الجاه والدنيا من الأنصار.

ومن الأنصار

واستطاع عمر بن الخطاب أن يضم إلى حزبه مجموعة من الأنصار لعبت دوراً مؤثِّراً في حركة الانقلاب، منهم ثابت بن قيس بن شماس، وزياد بن لبيد، ومحمد بن مسلمة، وسلمة بن سالم، وسلمة بن أسلم، وأسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وقد لعب هؤلاء الرجال دوراً بارزاً، وكانوا من أركان حزب عمر، ويبدو أنهم من الكارهين لولاية أهل بيت النبوة عامة، ولولاية علي بن أبي طالب خاصة بدليل أنهم وبناء على أوامر أبي بكر توجَّهوا إلى بيت علي بن أبي طالب، في اليوم نفسه، الذي مات فيه رسول الله وشرعوا فعلاً بإحراق البيت على من فيه، وفي ما بعد عندما آلت الأمور إلى علي بن أبي طالب وفق الأسلوب نفسه الذي اخترعه الخليفتان الأول والثاني؛ رفض محمد بن مسلمة مبايعة علي بن أبي طالب، وهذا يؤكِّد وجود كراهية ولاية أهل بيت النبوة، والاستعداد التام عندهم لمخالفة من يقف ضد أهل البيت كائناً من كان!

القائد العام لهذا الحزب ونوابه

من المؤكَّد أن القائد العام لهذا الحزب أو التحالف هو عمر بن الخطاب، فلو شاء عمر لكان هو الخليفة الأول، ولولا عمر لكتب رسول الله ما أراد ولتغير مجرى التاريخ، ومن المؤكَّد أن نائب القائد العام لهذا الحزب، أو التحالف هو أبو بكر، فعمر وأبو بكر معاً لا يفترقان في عمل ولا مسير ولا منزل كما قال الواقدي في مغازيه[1]، وقد آخى الرسول بينهما، وكلاهما نال شرف مصاهرة الرسول، فقد زوج عمر ابنته حفصة لرسول الله، كما زوج أبو بكر ابنته عائشة لرسول الله، ومن المدهش حقاً أن عائشة وحفصة كانتا يداً واحدة كما يقول الواقدي في مغازيه،

---

(١) المغازي للواقدي ص ٤٤٩.

وكانتا معاً حتى على الرسول نفسه! انظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبا إِلىٰ الله فقد صَفَتْ قُلُوبُكُما وَإِنْ تَظاهَرا عليهِ فإِنَّ اللهَ هو مولاهُ وجبريلُ وصالحُ المُؤمنينَ والملائكةُ بعدَ ذلكَ ظهيرٌ﴾ [التحريم/ ٤].

فالمعنيُّ بكلمتي تتوبا، وتظاهرا هما السيِّدتان عائشة وحفصة بإجماع المفسّرين، ويلي أبو بكر وعمر بالأهمية والولاء للتحالف أبو عبيدة، فعثمان فطلحة، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وكان الزبير بن العوام خارج هذا الحزب لأن هواه مع بني هاشم، غيّره ابنه وأصدقاؤه الجدد، وساعد هؤلاء القادة خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص ويزيد بن ومعاوية ابنا أبي سفيان وعبدالله بن أبي سرح، والحكم بن العاص، والوليد بن عقبة، ومن المدهش حقاً أن كل واحد من هؤلاء القادة موتور، فما من أحد منهم إلا وقتل عليٌّ أباه، أو أخاه، أو ابن عمه، أو جده، أو خاله.. وأكثر هؤلاء إخلاصاً للحزب واندفاعاً في سبيل أهدافه كان عمر بن الخطاب، فهو الأجرأ والذي جرأ الناس على حق أهل بيت النبوة، فلو سكت لسكتوا ولو رضي لرضوا، ذلك لأن النبي قد خلق تياراً غلاباً من القبول بولاية علي وبالدور المميز لأهل بيت النبوة، كما تدل على ذلك رسالة معاوية لمحمد بن أبي بكر.

من هو عمر بن الخطاب؟ ولماذا أسس الحزب وقاده؟

كان عمر بن الخطاب قبل الإسلام رجلاً مغموراً من بني عدي، لا يُقام له وزن، ولا يُحسب له حساب، يمتهن مهنة «البرطشة» أي كان مبرطشاً، بمعنى أنه كان يكتري للناس الإبل والحمير ويأخذ على ذلك جعلاً [(١)]، وإلى هذا أشار سعد ابن عبادة عندما قال مخاطباً عمر في سقيفة بني ساعدة: «لأعيدنك إلى قوم كنت فيهم ذليلاً غير عزيز، وتابعاً غير متبوع»[(٢)]، وعمر لا ينكر ذلك، ولكن الله أعزّه بالإسلام، وحوّله من تابع إلى متبوع، وتألّق نجم الرجل عندما نال شرف مصاهرة

(١) راجع تاج العروس في شرح القاموس، للزبيدي، مجلّد ٤ مادة (برطش).

(٢) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ٥ وما بعدها.

رسول الله، فصار يتردَّد على بيت الرسول بحكم المصاهرة، وبحكم نبل النبي، وسعة قلبه، وعرفه الجميع من خلال ذلك.

وهو رجل عطوف متواضع جَنّاح للموادعة، فلم يثبت قط أنَّ عمر بن الخطاب طوال حياة النبي المباركة، وطوال حالة المواجهة التي جرت بين محمد وأعدائه، لم يثبت قط أن عمر قَتَلَ مشركاً أو جرحه أو تعارك معه أو أسر أحداً. والروايات التي تصوّره كرجل سيف إنما هي ضرب من الأساطير والأوهام لا تتفق مع شخصية عمر العطوفة، وقد اخترع هذه الأساطير والأوهام أولياؤه والمعجبون به ظناً منهم بأنها تقرّبهم من الله زلفى! فالعنف لا يتفق مع شخصية عمر ولا مع نسيجه النفسي، ولا مع طبيعة بطن بني عدي الذين وصفهم أبو سفيان بوصفه الذي ذهب مثلاً «لامع العير ولامع النفير»[1]، ولقد تحقَّقتُ وتبيَّنَ لي أنه لم يقتل من بني عدي أحد لامع المشركين، ولامع المؤمنين.

وقد جَدَّ عمر في الإسلام واجتهد واستطاع خلال مدة ١٢ سنة أن يتعلَّم سورة البقرة كما أخرج ذلك الخطيب في رواية مالك، والبيهقي في شُعب الإيمان، والقرطبي في تفسيره بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمر[2]، وعلى الرغم من تعلّمه لسورة البقرة فقد كان يشكو من قلة الفقه، فطالما قال وكرَّر: «كل الناس أفقه من عمر»[3]، وقال مرّة «أصابت امرأة وأخطأ عمر». واعترف مرتين أو ثلاثاً بقوله: «كل أحد أفقه من عمر»[4]، واعترافاته بهذا المجال فوق الحصر[5].

---

(١) راجع المغازي للواقدي (معركة بدر).

(٢) راجع الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١/ ٣١. وسيرة عمر لابن الجوزي ص ١٦٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/ ١١١. والدر المنثور للسيوطي ١/ ٢١، كما ذكر ذلك الأميني في موسوعة (الغدير في الكتاب والسنّة) ٦/ ٢٣٥.

(٣) راجع شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي ١/ ٦١.

(٤) راجع كنز العمال ٨/ ٢٩٨، والسندي في حاشيته على سنن ابن ماجة، ١/ ٥٨٣.

(٥) راجع موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، للأميني ج٦.

عمر يستقطب النافقين

لما نال عمر شرف مصاهرة الرسول صار يتردَّد على بيت الرسول بالعرف والضرورة، وبحكم انتمائه والرسول إلى مكة، فعرفه عليه القوم والملأ، ومن هذه الملازمة الدائمة عرفه الخاصة والعامة، وبعد ذلك لجأ عمر بن الخطاب إلى أسلوب الإثارة والمزايدة، فاستقطب بإثارته ومزايداته على الرسول إعجاب المنافقين، وأعداء الله، فتصوروا أنه أحدهم، مع أنه لم يكن كذلك، وتصور السُذَّج والغافلون من المسلمين أن عمر أحرص على الدين من الرسول نفسه!!! ونادراً ما أظهر الرسول ضيقه من إثارات صهره ومزايداته!! بل كان الرسول يسع صهره بخلقه العظيم، لأن الرسول على علم بالنسيج النفسي لعمر، فالإثارة والمزايدة كلامية من جميع الوجوه واستعراضية لا غير، وكان الرسول يعلمه، وبعد سنين من وفاة النبي وفي أواخر حياة عمر؛ حاول الأخير أن يستفيد من تعاليم الرسول، وشرع بالندم على إثاراته ومزايداته.

نماذج

مزايدة عمر على رسول الله في صلح الحديبية:

الله تعالى هو الذي أخرج رسوله لأداء العمرة، واختار الله له منطقة الحديبية لتكون محطاً لرحاله، ومركزاً لمفاوضاته مع بطون قريش، وأعلمه أن المفاوضات ستنتهي بمعاهدة، أو صلح يشكِّل فتحاً حقيقياً مبيناً، ويحقِّق له كل الأهداف التي حارب رسول الله من أجلها، ولم يتمكَّن من تحقيقها عن طريق الحرب وجرت المفاوضات بالفعل، وفي مرحلة المفاوضات طلب رسول الله من عمر أن يذهب إلى مكة ويبلِّغ رسالة البطون بأن غاية محمد أن يذبح الهَدْيَ وينصرف، فرفض عمر بن الخطاب أن يذهب لتبليغ الرسالة التي كلفه بها رسول الله «لأنه يخاف قريش على نفسه، وليس في مكة من بني عدي من يمنعه»[1].

وجرت المفاوضات فعلاً، وتم توقيع معاهدة الصلح، فرضي الله ورسوله

---

(١) راجع المغازي للواقدي ٢/ ٦٠٠.

عن المعاهدة، وبرضاهما رضى المؤمنون، وكفاهم الله شَرَّ القتال.

المزايدة وفن التشويش والاستقطاب

لما تم توقيع المعاهدة، وأعلن رسول الله عن رضى الله، ورضاه بهذه المعاهدة، وعندما قبلها المسلمون، غضب عمر بن الخطاب ووصف المعاهدة التي رضي الله بها ورسوله والمؤمنون «بأنها دنيّة في الدين»[1]، وأخذ عمر يصيح ويرد على الرسول ويكرر كلمة دنية، وعلىٰ الرغم من توضيحات الرسول؛ إلا أن عمر قاد حملة تشكيك رهيبة، وأخذ ينفرد بأصحاب الرسول الذين كانوا معه واحداً واحداً ويقول لهم: إن محمداً قد وعدنا أن ندخل الكعبة! وها نحن لم ندخل! وحاول عمر أن يستقطب الصحابة ضد رسول الله ليحمله بالقوة والضغط على إلغاء المعاهدة التي رضي الله عنها ورسوله والمؤمنون، ومع أن حملة عمر التشكيكية برسول الله قد تركت آثاراً مدمِّرة، إلاّ أن عمر قد فشل بتكوين قوة ضاربة تفرض على الرسول بالقوة إلغاء المعاهدة واعترف عمر في ما بعد «أنه قد ارتاب ارتياباً لم يرتبه منذ أسلم، وأنه لو وجد أعواناً يخرجون معه عن رسول الله لخرج»[2]. وتدخل أبو بكر صديق عمر الحميم، وتدخل أبو عبيدة وأركان الحزب وطلبوا من عمر أن يمارس ضبط النفس، ولفت عمر أنصار أصحاب الرسول بترديده لكلمة دنية، وبردّه على رسول الله، ولم يتوقَّف الرجل إلا بعد أن أقبل عليه رسول الله فقال له: أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم؟[3] فكان الرسول الأعظم يعيد بهذه الذكرى الحجم الحقيقي لعمر ويقول له: «أنت الذي تدعو الآن للحرب هربت في معركة أحد، وتركتني!! وأنت الذي لم تقوَ قبل قليل على أن تذهب لتبلغ رسالة مني». هنا سكت عمر بن الخطاب بعد أن وضع رسول الله يده على حقيقة نسيجه النفسيّ.

---

(١) المصدر نفسه، ٢/٦٠٦.

(٢) المصدر نفسه ٢/٦٠٩.

(٣) المصدر السابق ٢/٦٠٩.

وبعد أن سكت عمر وتوقف عن حملته التشكيكية برسول الله جاء أبو جندل «ابن سهيل بن عمرو سفير البطون إلى رسول الله» وكان مسلماً، وقد وقعت الاتفاقية، وعملاً بمعاهدة الصلح يجب رد أبي جندل إلى قريش، هنا احتج عمر وأخذ يزايد على الرسول وقال: إنه لا ينبغي إعادة هذا المسلم إلى المشركين، فقال الرسول لأبي جندل: «اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك فرجاً ومخرجاً، فقد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهداً، وإنا لا نقدر»، واقتنع أبو جندل صاحب المصلحة المباشرة[1].

عندئذٍ تابع عمر المزايدة وقال لأبي جندل: «أبوك رجل، وأنت رجل، ومعك السيف، فاقتل أباك» ويهدف عمر أن يقوم أبو جندل على أبيه الجالس في حضرة رسول الله وجواره فيقتله أمام الرسول، مع أنه في جوار الرسول، ومع أنه سفير! وليضفي عمر على هذه المزايدة طابعاً دينياً؛ قال عمر لأبي جندل: «إن الرجل ليقتل أباه في الله» وفطن أبو جندل لأسلوب عمر بالمزايدة والإثارة فقال لعمر: «مالك لا تقتله أنت»؟ وهكذا وضع أبو جندل يده على مفاصل حقيقة عمر!! فقال عمر مجيباً أبا جندل: «نهاني رسول الله عن قتله وعن قتل غيره»[2].

الاحتمالات

كيف يلغي رسول الله صلحاً وقعه ورضي الله عنه ورسوله والمؤمنون، الرسول وأصحابه غير مسلحين، ومعهم سلاح المسافر فقط وبعيدين عن قاعدتهم وهم أقلة، ولم يخرجوا أصلاً للحرب، وبطون قريش قريبة من قاعدتها، وقد أخذتها حمية الجاهلية، فقرار الرجوع عن الصلح الذي أعطى محمّداً كل ما يريد، واختيار الحرب فكرة مدمرة ومجنونة وغير مسؤولة وهي من قبيل الانتحار!!! ولا يقبل بها عاقل، ثم لو أن أبا جندل قتل أباه وهو سفير قريش وأحد زعمائها، فيسجل على الرسول أنه قد قتل رجلاً في جواره، وأنه قد أقدم على قتل سفير وهذا

---

(١) المصدر نفسه ٢/٦٠٨.
(٢) المصدر نفسه ٢/٦٠٩.

ما تعافه النفس العربية، ويرفضه الذوق والعرف. والأهم من ذلك أن هذا القتل سيجر حتماً إلى مواجهة مسلحة وغير متكافئة بين الرسول والبطون، وسيتناقض مع ما أعلنه الرسول بأنه قد جاء للعمرة وغايته أن يذبح الهَدْي وينصرف، فالرسول مدعوم إلهياً وبالوحي، ويفكر بالفعل وآثاره وردة الفعل، فيما لا هَمَّ لعُمَر إلاّ المزايدة والإثارة، والاستعراض، فمن الطبيعي أن لا يثير الرسول، لأنه يعرف حقيقته، وغايته، ونسيجه النفسي، ومن جهة أخرى فإن رسول الله محيط «بحر عظيم» ولن يعكره حجر يرميه رجل مثل عمر، ولو سقط عمر نفسه فإنه لن يعكر المحيط العظيم، بل سيبلعه بعمقه وبعد غوره.

نتائج المزايدات والإثارات

محمد نبي الله ورسوله وخيرته من خلقه وهو الأعلم والأفهم بالدين والأتقى والأقرب لله ولرسوله، والمدعَّم بالوحي والعون الإلهي، وعمر بن الخطاب بأحسن الظروف رجل هداه محمد إلى الإسلام، فاهتدى، وعقلياً ومنطقياً من المهازل حقاً أن يصف رجل مثل عمر المعاهدة التي رضي الله بها ورسوله والمؤمنون بأنها دنيّة!! واستعراض وسقط متاع أن يقول رجل مثل عمر لرسول الله: إنها دنيّة في الدين.

ومع هذا فقد استفاد عمر في عاجلته من مزايدته واستعراضه؛ إذ شكك الكثير ممن كانوا مع رسول الله برسول الله، قال الرسول لأم سلمة: «عجباً، يا أم سلمة، إني قلت للناس: انحروا واحلقوا وحِلُّوا مراراً، فلم يجبني أحدٌ من الناس إلى ذلك، وهم يسمعون كلامي وينظرون في وجهي!»[1].

ومن جهة ثانية، فإن عمر صار قطب الرحى، فأصدقاؤه يترددون عليه ليمارس ضبط النفس، والمنافقون يعجبون من جرأته على رسول الله، والمؤمنون الصادقون في حيرة من أمرهم، ولكنهم لا يسبقون رسول الله بالقول!

---

(١) راجع المغازي للواقدي، ٢/٦١٣.

طبيعة الرجل الذي أسس عصر ما بعد النبوة

عمر يزايد على رسول الله، ويريد أن يقنع الناس بأنه أحرص على الإسلام، وأعرف بمواقع العز والذُّل، والدنية والعلية من رسول الله نفسه، وسواء أقصد ذلك أو لم يقصدْ فإنه يرسل رسالة للمنافقين مضمونها أنه ليس كل ما يعمله محمد صحيح، وموثوق، فهو مغرم باستقطاب الناس حوله، عن طريق المزايدة والإستعراض، وهو مغرم بالتشكيك بكل ما يفعله رسول الله وبتعبير أدق أن يكون له رأي معارض بالضرورة لحكم رسول الله الذي يعتبره مجرد رأي شخصي، وهو مقتنع أن آراءه أقرب للصواب والحق من حكم رسول الله!! ويحتاج إلى زمن ليستوعب عكس ذلك، وإلغاءه لنظام التسوية في العطاء، الذي سَنّه رسول الله واستبداله بنظام عدم المساواة في العطاء الذي فرضه عمر لدليل قاطع على صحة ما ذهبنا إليه، كما أن إلغاءه لنظام الخمس مثل آخر، ومن هنا فلا ينبغي أن نندهش إذا رأينا كل المنافقين بلا استثناء يتبعونه، ولا يخرج عليه منهم أحد، وكل الطلقاء بلا استثناء يؤيدونه ويدعمونه، فلم يروِ لنا راوٍ قط أن منافقاً أو طليقاً قد عارض عمر أو جانب سياسته أو خرج عليه، لقد اقتنع المنافقون والطلقاء أن عمر بن الخطاب لا يتفق مع رسول الله بشكل أو بآخر في كل ما يقوله، ولا يعتبر كل أقواله صواباً.

وعندما سمع عمر رسول الله وهو يعلن ولاية علي في غدير خم، ويربط هذه الولاية بولايته ويربط هاتين الولايتين بالولاية لله، وعندما سمع عمر رسول الله وهو يعلن عن الثقلين فيربط القرآن بأهل البيت برباط أبدي، اقتنع أن هذه الإعلانات هي مجرد آراء شخصية من الرسول فطلع عمر بنظريته التي وثّقناها قبل قليل ومفادها «النبوة لبني هاشم، والخلافة للبطون»، وبهذه النظرية جمع بطون قريش الـ٢٣ حوله وفتح شهيتهم للخلافة، ونظراً لماضي عمر، ولجرأته على رسول الله وتطاوله عليه اعتقدت بطون قريش أن هذا الرجل هو المؤهَّـل الوحيد ليمزق ستر الهيبة عن الشرعية وليبطل بالكامل مفاعيل النصوص النبوية المتعلقة بالإمامة والولاية من بعد النبي! ويشيد لها نظاماً جديداً، يجمع ما بين الإسلام وما بين الصيغة السياسية الجاهلية. لذلك صار عمر بتوجهاته ومزايداته واستعراضاته

بطلاً جماهيرياً، وشَعَرَ عمر بذلك فاندفع كالإعصار، وجمع حوله بطون قريش الـ٢٣ مهاجرهم وطليقهم إلا من عصم الله، ومدَّ يده للمنافقين أو مدّوا أيديهم له، فلم يعارض منافق واحد، ووسع اتصالاته حتى شملت المرتزقة من الأعراب وقبيلة أسلم أكبر دليل على ذلك، لقد تبين للرسول في أواخر عمره أن عمر قد صار قطب الرحى. ولو شاء عمر لكان هو أول خليفة، لكنه ارتضى أن يكون الأمين العام للتحالف، وأن يؤسس عصر ما بعد النبوة بواسطة واجهة، فيرث دولة منظَّمة، ويحمل غيره مسؤولية المواجهة مع الشرعية ومع أهل بيت النبوة.

كيف أمكن تغطية هذه الحقائق؟

لقد صار عمر حبيب الجماهير أو الأغلبية الساحقة من الجماهير المسلمة، ونتيجة مواجهاته قبض حزبه على مقاليد الأمور، وتبعاً لذلك قبضوا على المال والنفوذ والسلطة والإعلام، فنفخت كل الوسائل بإهاب البطل، ومع الأيام تكونت قناعة عامة أوجدتها وسائل الإعلام، بأنه لو لم يكن محمداً هو النبي لكان عمر!! فالشيطان نفسه يكون جالساً مع محمد، فإذا أقبل عمر يفرُّ الشيطان خوفاً من عمر[1]. وبهرت الجماهير بالرجل، وأخذ الرواة يتقربون إلى الجماهير ويتصرفون بالوقائع والأحداث، أو يختلقون وقائع وأحداثاً يعطون فيها الرجل دائماً دور البطولة، ولا يجدون حرجاً لو أعطوا عمر دور البطولة حتى على الرسول نفسه!! بل وعلى مجريات الوحي، فقد روىٰ البخاري في صحيحه: «أن أزواج النبي كن يخرجن بالليل إذا تبزرن إلى المناصح وهو صعيد أفيح فكان عمر يقول للنبي: إحجب نساءك، فلم يكن رسول الله يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج الرسول ليلة من الليالي عشاء، فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة!! حرصاً من عمر لينزل الحجاب عندئذٍ أنزل الله الحجاب»[2]! هذه الرواية رواها البخاري وروايات

---

(١) راجع سنن الترمذي، باب مناقب عمر، ومسند أحمد ٥/ ٣٥٣.

(٢) البخاري في صحيحه ١/ ٦٩ كتاب الوضوء حديث ١٤٦. باب خروج النساء للبزار.

البخاري في الصحة هي الأولى، وقد سقناها كمثل على طرق الرواة بدغدغة مشاعر الجموع المتيمة بهذا الرجل.

والسؤال: ما علاقة عمر بزوجات الرسول؟ وهل هو وصي على الرسول؟ وهل رسول الله قاصر؟ «حاشا لله» وهل عمر أكثر غِيرةً من الرسول؟ وهل هو أعرف بمواقع الخطأ والصواب من رسول الله؟! وهل يترقَّب الوحي الشريف إشارات عمر وتوجيهاته حتى يتنزل على رسول الله؟!

إن هذا لأمر عجاب، ولكن الحب غير الواعي يعطل العقل، ويعمي، ويصم!

من هي الجموع التي أيدت عمر وحزبه؟

١ ـ **بطون قريش** كاملة، مهاجرها وطليقها إلا من عصم الله، أو كان يطمح بالخلافة لنفسه، أو يريد أن يدعم موقفه التفاوضي، ليحوز على نصيب من الملك.

٢ ـ **المنافقون** عن بكرة أبيهم، إذ لم يروِ راوٍ قط أن منافقاً من المنافقين قد عارض عمر أو تخلَّف عن دعمه، أو اعترض على أبي بكر، ووقفة المنافقين هذه لم تكن حباً بأبي بكر، ولكن تعبيراً عن الإعجاب بمواقف عمر، وتعبيراً عن كراهيتهم لله ولرسوله وكراهيتهم لولاية علي وأهل بيت النبوة!! لقد اختفت ظاهرة النفاق تماماً، فكأن المنافقين كانوا ينتظرون موت رسول الله حتى يصلحوا أنفسهم على يد عمر بن الخطاب قبل أن يرتد إليك طرفك!!

٣ ـ **المرتزقة من الأعراب**: «في اللحظات الحاسمة في سقيفة بني ساعدة أقبلت أسلم بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر»[1]، وفي رواية لابن الأثير: فجاءت أسلم فبايعت[2]. «قال عمر فما أن رأيت أسلم حتى أيقنت

---

(١) راجع تاريخ الطبري، ٢/٤٥٨. وطبعة أوروبا، ١/١٨٤٣.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة، ٦/٢٨٧.

بالنصر»! مع أن أسلم ليست من سكان المدينة، ولا من سكان المناطق التي حول المدينة!! لماذا جاءت أسلم يوم موت الرسول أو بعد موته بقليل؟! لماذا تبنت موقف عمر وأبي بكر بدون مناقشة ولا طلب منها؟! والأهم من ذلك كيف يجزم عمر بأن أسلم معه ويتيقن من النصر عندما رآها؟!

الجواب المنطقي الوحيد عن كل هذه الأسئلة، يكمن بوجود اتفاق، أو تحالف سابق بين قيادة البطون من جهة، وبين جموع أسلم من جهة أخرى! مما يعني أن الأكثرية الساحقة من أبناء بطون قريش المهاجر منهم والطليق، بالإضافة إلى جميع المنافقين، بالإضافة إلى المرتزقة من الأعراب كأسلم، بالإضافة إلى شانئي علي بن أبي طالب من الأنصار كمحمد بن مسلمة، بالإضافة إلى طلاب الدنيا والجاه من الأنصار كبشير بن سعد، هؤلاء جميعاً كانوا بمثابة فرق في حزب واحد متَّفِق على ضرورة تنحية الولاية والخلافة عن علي بن أبي طالب خاصة، وعن أهل بيت النبوة عامة، وأن هذا الحزب قد كان قائماً حتى ورسول الله على قيد الحياة!

من هم الذين لم يكونوا مع الحزب؟

على العموم ونظرياً وانسياقاً مع التوجيهات النبوية المتوالية كان المهاجرون والأنصار لا يشكون في أن علياً هو ولي الأمر من بعد النبي، وفي غياب علي، وحضور قادة الحزب وأركانه «قالت الأنصار أو قال بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً»[1] والزبير بن البكار في الموفقيات أن المنذر بن الأرثم قال: ما ندفع فضل من ذكرت، وإن فيهم لرجل لو طلب هذا الأمر ما نازعه أحد ـ يعني علي بن أبي طالب ـ. لقد كان هنالك شعور عام وقناعة تامة بأن الولاية والخلافة والإمامة من بعد النبي لعلي بن أبي طالب، وأن لأهل بيت النبوة دوراً مميزاً في قيادة الأمة من بعد النبي، ورسالة معاوية لمحمد بن أبي بكر التي وثقناها قبل قليل تدل بوضوح

(١) راجع تاريخ الطبري، ٣/١٠٨، وط. أوروبا، ١/١٨١٨. وتاريخ اليعقوبي ٢/١٠٣، وتاريخ إبن الأثير، ٢/١٢٣. حيث ذكر: أن الأنصار قالت هذا بعد أن بويع لأبي بكر.

على ذلك، انظر إلى قول معاوية: لقد كنا نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا... فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزَّه حقه على ذلك اتسقا واتفقا.

لقد فوجىء الناس بانقلاب يقوم به حزب منظم، له قيادة يمكنها أن تعرف أدق التفاصيل عمَّا يقوله النبي في بيته! وفوجىء الناس بالنجاحات المتتالية لقيادة هذا الحزب، خلال هذه الآونة كان النبي يموت وكان علي بن أبي طالب وأهل بيت النبوة وبنو هاشم مشغولين بمصابهم، ولم تكن للمؤمنين قيادة، يمكن الرجوع إليها لمواجهة الانقلاب، فضلاً عن ذلك فقد كان المؤمنون يعتقدون أن الحديث عن الخلافة سابقٌ لأوانه، وأن الأولى هو الشعور بالمصيبة والأسى لفقد رسول الله! هذا المناخ مكّن الإنقلابيين من التحرك بسهولة وبدون عوائق تذكر، ومكَّنهم من القيام بهذا الانقلاب بمدة خيالية تفوق التصور والتصديق، وبعد أن قبض الانقلابيون عملياً على مفاتيح الأحوال والنفوذ وملكوا السلطة، وشنوا هجوماً على علي بن أبي طالب وهو في بيته، وهَمّوا بأن يحرقوا بيته عليه وعلى زوجته الزهراء وابنيه الحسن والحسين ومن معهم من آل محمد البيت، بدون رد فعل يُذكَر، ويفهمه الانقلابيون.

لم تعد من مصلحة أحد أن يقاوم السلطة الجديدة التي جاءت كثمرة لهذا الانقلاب، وتسابق الأوس والخزرج إلا القليل على رضا السلطة حتى تتساوى القبيلتان بالمواقع، ومن يعارض هذه السلطة لن تكون له مكانة أعظم من مكانة علي بن أبي طالب، ومع هذا اقتادوه بالقوة، وهددوه بالقتل إن لم يبايع، ولن تكون لأي معارض مكانة فاطمة والحسن والحسين، ومع هذا فقد أوشكت السلطة أن تحرقهم وهم أحياء، وصادرت السلطة كافة ممتلكاتهم، وكانت هذه رسائل ضمنية من السلطة الجديدة لمن تحدثه نفسه بالمعارضة، لذلك بهر الناس، وخضعوا حرصاً على دمائهم وأموالهم وذراريهم ومستقبلهم الذي صار رهينة بيد السلطة الجديدة المتغلبة!

***

الفصل الثالث

وفاة الرسول وقيام دولة الخلافة التاريخية (الإمامة غير الشرعية)

العلم اليقيني وكمال الدين وتمام النعمة الإلهية

عاد النبي من حجة الوداع، وجَمَعَ الناس في غدير خم لأمر خطير، وفي ذلك الاجتماع التاريخي الفريد من نوعه أعلن الرسول بأمر من ربه ﴿**إنْ أتَّبعُ إلاّ ما يوحىٰ إليَّ**﴾ [الأنعام/ ٥٠] أن الإمام والولي والخليفة من بعد النبي هو علي بن أبي طالب، فولاية علي كولاية النبي، وولاية النبي كولاية الله. وفي الاجتماع نفسه وفي الخطبة نفسها التي ألقاها رسول الله؛ أعلن، أن الإسلام من بعده يقوم على ركنين، ويستند إلى ثقلين: الركن والثقل الأول هو القرآن الكريم، وهو بمثابة قانون الأمة النافذ في كل زمان.

والركن والثقل الثاني هو أهل بيت النبوة وعترته، وهم بمثابة القيادة والمرجعية، والجهة التي تفهم القرآن فهماً قائماً على الجزم واليقين، وفي الاجتماع نفسه وفي الخطبة نفسها: أكد النبي استحالة إدراك الأمة للهدى أو تجنبها للضلالة من بعده إلا بالتمسك بالاثنين معاً. وتحديداً، فإن رسول قد بيَّن أنَّ الأئمة من بعده اثنا عشر إماماً، أوّلهم علي وآخرهم المهدي. ثم أَشْهَدَ الله على الناس، وفي الاجتماع نفسه، أعلن الرسولُ أنه قد خير فاختار، وأنه بعد عودته للمدينة سيمرض سريعاً وسيموت في مرضه، وختم خطبته، ونزلت آية الإكمال: ﴿**اليومَ أكملتُ لكُمْ دِينكُمْ وَأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً**﴾ [المائدة/ ٣]، وعلم المسلمون علماً يقينياً أن الإمام والولي والخليفة من بعد النبي هو علي بن أبي طالب، وتزاحم المسلمون على تقديم التهاني للإمام، ومن جملتهم عمر بن الخطاب وأركان حزبه!.

التصميم على نقض الحكم، وتوقيت الإنقلاب وتنفيذه

عمر بن الخطاب وأركان حزبه لا تستوعب عقولهم أن يجعل الله النبي من بني هاشم، وأن يجعل الخلفاء منهم، وأن يحرم بطون قريش من هذين الشرفين معاً، ولم يصدِّقوا أن إعلانات الرسول في غدير خم كانت من عند الله ووحيه، إنما اعتبروها مجرد آراء شخصية لمحمد، ومودة خاصة لأقاربه، لأن محمد بشر، يتكلم في الغضب والرضى ولا ينبغي أن يُحمل كل كلامه على محمل الجد، فرأى عمر بن الخطاب وحزبه أن الرأي الأفضل والأصوب أن تكون النبوة لبني هاشم أبداً لا يشاركهم فيها أحد من بطون قريش، وأن تكون الخلافة من بعد النبي لبطون قريش لا يشاركهم فيها هاشمي أبداً![1]، وهذا يستدعي بالضرورة تجاهل أو إلغاء القرارات التي أعلنها الرسول طوال حياته وأجملها يوم غدير خم! لذلك صمم عمر بن الخطاب وحزبه تصميماً نهائياً على نقض الحكم في الإسلام وحل عراه تماماً، واستفاد عمر وحزبه من إعلان غدير خم، وتفصيل ذلك أنه لما أعلن الرسول أنه بمجرد دعوته سيمرض وسيموت في مرضه أراد عمر وحزبه أن يغتنموا فرصة مرض النبي، وفرصة موته لينفِّذوا انقلابهم على الشرعية، ونقضهم للحكم، وكان الرسول قد حذّر الأمة من ذلك حيث قال: «لينقض الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة، ثبت الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة»، كما روىٰ ذلك أحمد، وابن حيان في صحيحه، والحاكم في مستدركه[2].

مرض النبي واكتشافه الانقلاب

عاد النبي من غدير خم، ولم تمضِ إلا أيام قليلة حتى مرض.

كل شيء مرتَّب.

بيّن النبي وحذَّر.

---

(١) راجع: الكامل لابن الأثير، ٣/ ٢٤. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٣/١٠٧، وتاريخ بغداد، ١٢/٥٣ ـ ٥٤.

(٢) راجع: كنز العمال، ١/٢٣٨.

الناس على المحجّة لا يزيغ عنها إلا هالك، أحيط النبي علماً بنوايا الانقلابيين، وأنهم يعدون العدة لنقض الحكم الإلهي، ورأى النبي أن الخطة المثلى لترشيد العاصفة وتفشيل الإنقلاب تكمن في إرسال أصحاب الخطر وقادة الحزب ورؤوس النفاق في غزوة إلى بلاد الروم لينتقموا من قتلة زيد وجعفر وأصحابهما في مؤتة، ورأى الرسول أن يُؤَمِّر أسامة بن زيد على هذا الجيش، وأمر الرسول بالتهيؤ والخروج، وأعطى أسامة بن زيد تعليماته النهائية، وانتدب النبي كل المهاجرين الأولين وهذا يشمل عمر وأبا بكر وأبا عبيدة[1]... ثم أعلن الرسول أن لعنة الله ورسوله على كل من تخلف عن غزوة أسامة[2] تجد إجماعاً على أن الرسول قد عبأ أبا بكر وعمر في غزوة أسامة وأمَّره عليهم.

الإنقلابيون يكتشفون خطة النبي

اكتشف عمر وأولياؤه مغزى خطة النبي، لذلك أخذوا يبثون الأراجيف وينشرون الدعايات ويثبطون الناس عن الخروج، لأنهم موقنون أن النبي سيموت سريعاً في غيابهم إن غزوا، وأن الإمامة والولاية ستنتقل في غيابهم بيسر وسهولة إلى علي بن أبي طالب وهذا معناه فشل خطتهم، لذلك استماتوا حتى لا يخرجوا، ولكي لا يخرج الناس، وشككوا بسلامة اختيار الرسول لأسامة بن زيد وصوابه وحكمته؛ إذ كيف يؤمِّر فتى كأسامة على كبار المهاجرين والأنصار، لأن الجميع يرفضون هذا القرار، ومن الطبيعي أن ينقل قرار الرفض هذا عمر بن الخطاب، وغضب الرسول وقام عن فراش المرض معصوب الرأس، وصعد المنبر ودافع عن قراره وأمر الناس بالخروج[3] وعلىٰ الرغم من خروج الرسول معصوب الرأس، ومن حضّه المتوالي على تسيير بعث أسامة إلا أن عمر وحزبه لم يقتنعوا بأهلية

---

(١) راجع المغازي للواقدي ٣/١١٨.

(٢) راجع الملل والنحل للشهرستاني الشافعي ١/٢٣. وهامش الفصل لابن حزم ١/٢٠. والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٩٠. وتاريخ اليعقوبي ٢/٩٣. والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٣١٧.

(٣) راجع المغازي للواقدي ٣/١١١٨ ـ ١١١٩.

أسامة للإمارة وتابعوا تثبيطهم للناس، والدليل على ذلك أنه بعد موت النبي ونجاح الانقلاب طلب عمر بن الخطاب من الخليفة الجديد أن يعزل أسامة لعدم أهليته للإمارة، وحرصاً من الخليفة الجديد على الظهور بمظهر المطيع لرسول الله وثب على عمر بن الخطاب وأخذ بلحيته قائلاً له: «ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله وتأمرني أن أنزعه»[1]. وهذا دليل قاطع على أنَّ عمر هو الذي قاد حملة تثبيط الناس عن الخروج، وحملة التشكيك بسلامة وصواب قرار رسول الله بتأمير أسامة، وهو الذي نجح بتثبيط الناس وفق أساليبه المعروفة: المزايدة والإثارة، والتشكيك، وهكذا نجح الانقلابيون، وأجهضوا خطة الرسول لإفشال الإنقلاب.

النبي يضع خطة جديدة

لقد علم الإنقلابيون أن النبي مشرف على الموت، وأنه قد حدد ساعةً معينة لكتابة توجيهاته النهائية كما يفعل قادة الأمم والشعوب، وأرباب الأسر وكبار الشخصيات، وكما فعل أبو بكر وعمر نفسيهما، وهما على فراش الموت في ما بعد، وكما فعل كل الخلفاء التاريخيين من بعدهما. وقدّر عمر بن الخطاب وقادة الانقلاب أن النبي إذا نجح في كتابه توجيهاته النهائية وتوثيقها، خطياً، ووقع عليها فسيؤدي ذلك حتماً إلى فشل الإنقلاب، لذلك استمات عمر بن الخطاب وأركان حزبه ليحولوا بين الرسول وبين كتابة توجيهاته النهائية.

الإنقلابيون يجهضون خطة النبي

من الذي أخبر عمر وأركان حزبه بموعد كتابة النبي لتوجيهاته النهائية وبمضمون هذه التوجيهات؟

فصّلنا الإجابة عن هذا السؤال في البحوث السابقة وقلنا: إن الذي أخبرهم

---

(١) راجع تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢/٢٢٦. والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٣٣٥. والسيرة الحلبية ٣/٢٠٩ و٣/٢٣٦. والسيرة الدحلانية بهامش الحلبية ٢/٣٤٠.

بموعد كتابة النبي لتوجيهاته النهائية وبمضمون هذه التوجيهات قطعاً هي السيّدة عائشة أم المؤمنين، وليس من المستبعد أن حفصة أم المؤمنين قد شاركتها بذلك. إذ الثابت أن رسول الله قد مرض في بيت عائشة، والثابت أن الرسول قد خطب يوماً وأشار إلى مسكن عائشة فقال: «هاهنا الفتنة. وكررها ثلاثاً: من حيث يطلع قرن الشيطان»[1]. وجاء في باب «ما جاء في أزواج الرسول» من صحيح البخاري: «أن رسول الله قد خرج من بيت عائشة، فقال: رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان». ومن الثابت أن السيدة عائشة كانت تحقد على الإمام علي ولا تطيق أن تلفظ اسمه، وهذا واضح من مجموعة من الروايات[2]، ثم إن علي بن أبي طالب هو الخليفة الوحيد الذي خرجت عليه أم المؤمنين ونبحتها كلاب الحوأب، وركبت جملها عسكر، بدعوى المطالبة بدم عثمان، مع أنها هي نفسها التي أفتت بقتل عثمان[3]، ولما قتل عثمان كانت تتصور أن الخلافة ستؤول لابن عمها طلحة[4]، ولما علمت أن الناس بايعوا علياً صعقت وقالت: ليت السماء قد انطبقت على الأرض، ولما علمت بموت علي بن أبي طالب سجدت لله شكراً، كانت تكره علياً وفاطمة وولديها الحسن والحسين، ولِمَ لا؟ فعائشة وحفصة هما اللتان تظاهرتا على رسول الله[5]، وطلب الله منهما أن تتوبا[6] وبهما ضرب الله مثلاً امرأة نوح وامرأة لوط[7].

ثم إن عائشة وحفصة صاحبتا مصلحة فأبواهما يترأسان الحزب ثم المكانة التي تمتعتا بها في عصر أبي بكر وعمر، لقد كان قول عائشة أمر عند عمر، وقد

---

(١) راجع صحيح البخاري ٤/ ١٠٠، باب ما جاء في أزواج الرسول طبعة مطابع الشعب. وصحيح مسلم ٢/ ٥٦٠ و١٨/ ٣١ ـ ٣٣.

(٢) راجع الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٢/ ٢٩. وصحيح البخاري باب مرض النبي ووفاته ٥/ ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٣) راجع على سبيل المثال: تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٥٢

(٤) راجع أنساب الأشراف للبلاذري ٢/ ٢١٧.

(٥) راجع صحيح البخاري ٣/ ١٣٦، و٧/ ١٣٧.

(٦) راجع الكشاف للزمخشري ٤/ ٥٦٦، والتفسير الكبير للفخر الرازي ٨/ ٣٣٢..

(٧) راجع تفسير القرطبي ١٨/ ٢٠٢. وفتح القدير للشوكاني ٥/ ٢٥٥.

وثقنا ذلك في الصفحات السابقة من هذا الكتاب. ومع أن عائشة وحفصة من زوجات الرسول؛ فقد كان عمر يعطي كل واحدة من زوجات الرسول عشرة آلاف بينما يُعطى كل واحدة منهما اثني عشر ألفاً، كل هذه الأسباب مجتمعة تؤكِّد أنَّ السيدتين كانتا ضالعتين في الانقلاب، وعضوين في الحزب، وهما اللتان نقلتا موعد توجيهات النبي النهائية ومضمونها.

الانقلابيون يقتحمون منزل النبي

في الوقت المحدَّد لكتابة توجيهاته النهائية، كان النبي يجلس مع أصفيائه الذين اختارهم ليشهدوا كتابة توجيهاته تلك، وقد أحضروا الكتف والدواة، وينتظرون رسول الله ليشرع بإملاء توجيهاته النهائية. في هذا الوقت بالذات اقتحم عمر ابن الخطاب وقادة حزبه منزل رسول الله ودخلوا فجأة وجلسوا، وقد أجمعوا كيدهم، ورتَّبوا أمرهم. فوجىء النبي وأصفياؤه، بكثرة العدد، وبالوقت الذي جاء فيه عمر وأركان حزبه! ولكن مثل النبي لا ينثني عن عزمه، ومع ذلك فالنبي يجلس في بيته لا في بيت عمر، ولا في بيوت أركان حزبه، وعلى فراش مملوك له، وليس مملوكاً لعمر ولا لأركان حزبه، ثم إن النبي ما زال نبياً ورسولاً وقائداً للأمة، ولم تُسلب منه صلاحياته ولا اختصاصاته، ثم إن النبي إنسان مريض مُشرف على الموت، ومن حقّه أن يقول ما يشاء، لذلك قال لأصفيائه الذين أحضرهم بما مضمونه: «قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً».

وما أن أتم النبي جملته حتى التفت عمر بن الخطاب إلى الحاضرين متجاهلاً النبي تماماً فقال لهم: «إن النبي يهجر، ولا حاجة لنا بكتابه، حسبنا كتاب الله!»[1]. وما أن أتم عمر جملته حتى صاح أتباعه الذين أحضرهم معه لهذه الغاية وبصوت واحد: «القول ما قال عمر: إن النبي يهجر! استفهموه ما باله أهجر»!

دهش أصفياء النبي واحتجوا، وكرر عمر قوله، وردد أتباعه وأركان حزبه

---

(١) راجع سر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالي ص ٢١. وتذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي ص ٦٢.

بصوت واحد قولهم، وكثر اللغط والاختلاف وارتفعت الأصوات. الرسول يقول قرِّبوا أكتب لكم كتاباً، وعمر يقول: إن الرسول قد هَجَر، ولا حاجة لنا بكتابه، والقرآن يكفينا، وأركان حزب عمر يرددون من خلفه، وأصفياء النبي يحتجون وقد أخذهم العجب مما يجري. لفت هذا اللغط الغريب والإختلاف والضجيج انتباه النسوة فقلن من وراء الستر: «ألا تسمعون رسول الله قربوا.. فأجابهن عمر إنكن صويحبات يوسف.. فقال الرسول: دعوهن فإنهن خير منكم»[1]. لم يبقَ ما يقال بعد أن أصر عمر وأركان حزبه على أن الرسول يهجر، وبعد أن استماتوا حتى لا يكتب الرسول توجيهاته النهائية. فقال الرسول: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه. ثم قال: قوموا لا ينبغي عندي التنازع![2]، لقد وصلتنا هذه الحقائق علىٰ الرغم من منع الخلفاء رواية أحاديث الرسول، وعلىٰ الرغم من إحراقهم للمكتوب منها، وأولياء عمر وأركان حزبه يعترفون بصمتها كلها، وهي بفضل الله كافية للحكم على من نقضوا عرى الإسلام عروة عروة، بادئين بنقض الحكم أو الأحكام المتعلقة بالقيادة. لما سمع عمر وأركان حزبه قول الرسول «قوموا عني»؛ أدركوا أنَّهم قد نجحوا في الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد، ولأن أصفياء النبي يطيعون رسول الله قاموا. عندئذٍ نهض عمر وتبعاً لنهوضه، نهض أركان حزبه وغادروا جميعاً الغرفة المقدسة وتركوا رسول الله كسير الخاطر يحيط به ابن عمه علي بن أبي طالب، وولداه الحسن والحسين، وأهل بيت النبوة، وبعد ساعات فارق النبي الحياة، وغابت شمس الإسلام وفجعت روح البشرية بأبر أبنائها، وذلك في الوقت الذي كان عمر وحزبه فرحين بانتصارهم لأنهم حالوا بين الرسول وبين كتابة ما أراد وتابعوا خططهم الرامية لنقض الحكم الإلهي!

والسؤال الذي يطرح في هذا المقام هو:

---

(١) راجع الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٢) راجع صحيح البخاري ٤/ ٣١ و٧/ ٩ ـ كتاب المرض، باب قول النبي قوموا عني ـ، وصحيح مسلم ٢/ ١٦ و٥/ ٧٥ (آخر كتاب الوصية) و١١/ ٩٥ (بشرح النووي)، ومسند أحمد ١/ ٣٥٥ و٣/ ٢٨٦ و٤/ ٣٥٦ ح٢٩٩٢، وتاريخ الطبري ٢/ ١٩٢، والكامل لابن الأثير ٢/ ٣٢٠.

لماذا استمات عمر وحزبه للحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد؟

لقد اعترف عمر، في ما بعد، بأنه والحزب الذي كان يرأسه قد صدوا النبي عن كتابة ما أراد حتى لا يجعل الأمر من بعده لعلي بن أبي طالب!![1].

حوادث مشابهة ومكر الليل والنهار

مرض أبو بكر مرضاً شديداً واشتد وجعه قبل أن يموت، فدعا عثمان قبيل وفاته بقليل ليكتب له توجيهاته النهائية، فقال لعثمان أكتب.. ثم أغمي عليه من شدة الوجع، وأفاق أبو بكر من غيبوبته ثم كتب «إني قد وليت عليكم عمر..»[2]، وبعد ذلك جاء خادم أبو بكر ومعه التوجيهات النهائية فكان عمر يقول: اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله[3]..

وطعن عمر، ومرض مرضاً شديداً، ومع هذا كتب توجيهاته النهائية، وأمر بضرب عنق كل من يخالفها[4].

لم تحدث زوبعة!! ولم يقل أحد لأبي بكر أو لعمر: أنت تهجر، ولم يقل أحد لهما: لا حاجة لنا بوصيتك حسبنا القرآن! لم يكسر أحد بخاطرهما، ولم يحل أحد بينهما وبين كتابة ما أرادا، المسلمون في حالة خشوع كأنَّ على رؤوسهم الطير!، يا ويحهم، لست أدري كيف يسوّغون ذلك؟! كيف يؤمن أبو بكر وعمر على كتابة ما يريدان ولا يؤمن رسول الله! لست أدري ماذا بقي من إسلام القوم؟! ولكن الملك عقيم!

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة إبن أبي الحديد ٣/١١٤ سطر ٢٧ الطبعة الأولى، مصر وبيروت. و٧٩/١٢ سطر ٣، تحقيق أبو الفضل ٣/٨٠٢، طبعة دار الحياة، ٣/١٦٧ طبعة دار الفكر في بيروت.

(٢) راجع تاريخ الطبري ٣/٤٢٩. وسيرة عمر لابن الجوزي ص ٣٧. وتاريخ ابن خلدون ٢/٨٥.

(٣) راجع تاريخ الطبري ط أوروبا ١/٢١٣٨.

(٤) راجع أنساب الأشراف للبلاذري ٥/١٨، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ٥/٣٣.

عمر وأركان حزبه يتقاسمون الأدوار

كسر عمر وأركان حزبه خاطر النبي الشريف، وخرجوا سعداء منتصرين لأنهم حالوا بين الرسول وبين كتابة ما أراد، وأيقنوا أن الرسول ميت بين لحظة وأخرى، وأنه لم يبقَ بينهم وبين الإستيلاء على السلطة إلاّ قاب قوسين أو أدنى، وأن فرصتهم الذهبية لتحقيق أهوائهم ونواياهم هي الآونة التي تمتد ما بين تجهيز الرسول ودفنه حيث يكون أهل بيت النبوة مشغولين بذلك، والأسد في عرينه يدبر أمر مواراة النبي في ضريحه الأقدس، فإذا نجح عمر وحزبه بالإستيلاء عندئذٍ على السلطة في غياب الأسد وشبليه وأهل بيت النبوة، سيواجهون الإمام علي وأهل بيت النبوة كسلطة قائمة، لأنهم لو واجهوه كأشخاص أو كانت هنالك فرصة متكافئة؛ فلا عمر، ولا أركان حزبه، ولا سادة البطون لهم القدرة على الوقوف أمام بيان الإمام، أو سطوته. ولكي يضمن عمر وأركان حزبه نجاح الإنقلاب:

١ ـ وضع فرقة من حزبه قرب مسجد الرسول حيث يقع بيت النبي وحيث يوجد أهل بيت النبوة وعميدهم المشغولين بتجهيز النبي لمواراته في ضريحه الأقدس، ومهمة هذه الفرقة من حزب عمر أن تراقب حركة علي وأهل بيت النبوة، فإذا أقبل الخليفة الجديد تستقبله، وتبادر إلى مبايعته كأن الأمر عفوي وطبيعي، وقد أسند عمر مهمة قيادة هذه الفرقة إلى عثمان بن عفان المكلف بجمع الأمويين وإعدادهم لهذه الغاية، ليساعده سعد بن أبي وقاص المكلف بجمع قومه بني زهرة، حيث ذهب عبد الرحمن بن عوف مع عمر وبقي سعد، ولما أقبلت زفة الخليفة الجديد صاح عمر بن الخطاب بالجالسين حول المسجد، وهم في أغلبيتهم من أعضاء الحزب قائلاً: مالي أراكم حلقاً شتى، قوموا فبايعوا أبا بكر، فقد بايعته وبايعه الأنصار، فقام عثمان بن عفان ومن معه من بني أمية فبايعوا، وقام سعد بن أبي وقاص ومن معه من بني زهرة فبايعوا[1].. وأنت تلاحظ أنه بمجرد أن قال عمر: قوموا فبايعوا قاموا بلا تردد وكأن هنالك اتفاق مسبق، قام عمر

---

(١) راجع: الإمامة والسياسة ١/١٩.

والأمويون فبايعوا، وقام سعد وبنو زهرة فبايعوا، فهل يعقل أن يكون هذا وليد صدفة؟!.

٢ ـ الفرقة الثانية تتحرك في أوساط الأنصار وتختلق اجتماعاً يضم جزءاً من الأنصار يشمل كافة المؤيدين لعمر وحزبه، واختلاق حوار ينتهي سريعاً بمبايعة أبي بكر، ووقع اختيار هذا الفريق على سقيفة بني ساعدة لتكون محلاً للإجتماع حيث يرقد في جوارها سعد بن عبادة سيد الخزرج مريضاً وطريح الفراش، فاجتمع أنصار عمر وحزبه في السقيفة، ثم دعوا سعد بن عبادة ومن عنده من عُوّاده فحمل سعد حملاً لأنه كان مريضاً قبيل قدوم المهاجرين الثلاثة أو الأربعة: عمر، وأبو بكر، وأبو عبيدة، وهنالك من يضيف لهم عبد الرحمن بن عوف.

وقد أسند عمر قيادة هذه الفرقة إلى عويمة بن ساعدة. وما يدلنا على ذلك كلمة (ساعدة) وسقيفة بني ساعدة رهط عويمة الأقربين، والمكانة التي كان يتمتع بها عويمة بن ساعدة عند عمر، فعندما مات عويم وقف عمر على قبره وقال أمام الناس: «لا يستطيع أحد من أهل الأرض أن يقول: أنا خير من صاحب هذا القبر»[١].

ويساعد عويمَ بن ساعدة في قيادة هذه الفرقة محمدُ بن مسلمة المعروف بكراهيته للإمام علي، وبشير بن سعد، وأسيد بن حضير، وزياد بن لبيد، وسلمة أبن سلامة، وسلمة بن أسلم، وثابت بن قيس. ويبدو واضحاً من سير الأحداث أن هذا النفر كان يكره الإمام علي وأهل بيت النبوة، ويكره ولايتهم، والدليل على ذلك تبرعهم للإشتراك بالسرية المكلَّفة بحرق بيت علي بن أبي طالب على من فيه كما نرى، ويلاحظ أن أكثريتهم الساحقة من الأوس.

وما يعنينا أن هذا الفريق قد نجح بإيجاد مكان تنصيب الخليفة الجديد، وهو سقيفة بني ساعدة، ونجح باستقطاب عدد من الأنصار لهذا الإجتماع ونجح بالتعاون مع المهاجرين الثلاثة أو الأربعة بقيادة زمام المبادرة وتنصيب الخليفة.

---

(١) راجع الاستيعاب لابن عبد البر ٣/ ١٧٠. والإصابة لابن حجر ٣/ ٤، وأسد الغابة لابن الأثير ٤/ ١٥٨، وكتابنا الخطط السياسية ص ٤٤٤.

٣ ـ فرقة تكون على مقربة من سقيفة بني ساعدة فإذا سمعت أن الخليفة قد بويع تتقدم وتتزاحم على بيعته وهم (أسلم)، قال الطبري: «فأقبلت أسلم بجماعتها حتى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر». ويصف عمر تلك اللحظة بقوله: ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر»[١]. وقال ابن الأثير في (الكامل في التاريخ): ـ «فجاءت أسلم فبايعت»[٢] كيف يتيقن عمر بن الخطاب أن جمعاً تضايق به السكك معه ويؤيده، إن لم يكن هنالك اتفاق مسبق!

زفّة الخليفة الجديد

خرج أبو بكر من سقيفة بني ساعدة حاكماً «أو خليفة جديداً» وخرج عمر، وأبو عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الرحمن بن عوف، كنواب للخليفة، وخرج الذين بايعوا أبا بكر كجيش منظم للخليفة، سار الخليفة بين نوابه وخلفه الذين بايعوه يزفونه زفاً إلى المسجد، وعند وصوله للمسجد استقبله عثمان بن عفان على رأس الأمويين فبايعوه، وسعد بن أبي وقاص على رأس بني زهرة فبايعوه، وصعد الخليفة الجديد بعد تردد على منبر رسول الله فبايعه أعوانه ثانية. ويهر الناس من هول المفاجأة، ولما أيقنت الخزرج أن الأوس قد بايعوا بادروا إلى المبايعة حتى لا ينال الأوس هذا الشرف وحدهم، وخطب الخليفة الجديد بعد البيعة خطبة موجزة جاء فيها بكل بساطة ووضوح «إنّي قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم...»[٣].

هذا يعني أن الخليفة يعلم أن في الأمة من هو خير منه وأفضل، وأيقن الناس أن الإنقلاب قد نجح تماماً، وأن عمر وحزبه قد قبضوا على مقاليد الأمور تماماً

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٢/ ٤٥٨. وط أوروبا ١/ ١٨٤٣.

(٢) الكامل لابن الأثير ٢/ ٢٢٤.

(٣) راجع سيرة ابن هشام ٤/ ٣٤٠. وتاريخ الطبري ٣/ ٢٠٣. وعيون الأخبار لابن قتيبة ج٢، ص ٢٤٣. وتاريخ ابن كثير ٥/ ٢٤٨. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٤٧، وكنز العمال ١٢٩/٣.

فبأيديهم مفاتيح الأموال، والنفوذ، وصارت السلطة لهم فمن أيدهم استفاد وأدرك رزقه، وأشركوه معهم ومن خالفهم خاب، وضيقوا عليه، وصارت معيشته ضنكاً. فبايعت الأوس والخزرج والمرتزقة من الأعراب ومنافقو المدينة وما حولها بايعوا عن بكرة أبيهم فلم يروِ راوٍ قط أن منافقاً قد تخلف عن بيعة أبي بكر، وأدى موقفُ المنافقين هذا إلى اختفاء ظاهرة النفاق، فلم يعد لهذا المصطلح وجود إلا في القرآن الكريم، وصار الولاء للسلطة أو عدم الولاء هو الطريق الوحيد للتقدم والتأخر، والصعود والهبوط، بل للموت والحياة، وخضعت المدينة وما حولها للسلطة الجديدة، وصار عمر وأركان حزبه هم الرموز الحية للمجتمع الجديد، لقد بهر الناس بقدرة عمر وأركان حزبه، وعبقريتهم الفائقة بالتخطيط، فقد استطاع عمر وحزبه أن يقهروا النبي نفسه، وأن ينقضوا كلَّ ما بناه في مجال الحكم. وأخذ الناس يترقبون وينتظرون بفارغ الصبر المواجهة بين علي بن أبي طالب الإمام الشرعي وأهل بيته من جهة، وبين الحاكم الجديد وأعوانه من جهة أخرى، كانت الجموع تعلم إن إمكانيات الإمام علي كانت محدودة، وأنه يواجه واقعاً لا قدرة له على تغييره، ولكن الجموع متيّمة بالمفاجآت وتريد للأحداث أن تستمر حتى ترى من يغلب، فتسلمه أمرها أو تدعه يقودها بلا عناء، لقد سئمت الجموع الحركة، وهامت بالصورة.

القرارات الأليمة

لأن علياً بن أبي طالب وأهل بيت النبوة كانوا مشغولين بتجهيز النبي ومواراته في ضريحه المقدس، وكان من المتعذر عليهم من جميع الوجوه أن يتركوا النبي جثة لم تدفن ويخرجوا لينازعوا الناس سلطانه، ولأن علي بن أبي طالب يعلم كما يعلم عامة المسلمين وخاصتهم أنه الإمام المعين شرعاً لخلافة النبي؛ فمن الطبيعي أن لا يبايع، ومن الطبيعي أن يعتبر السلطة الجديدة سلطة غير شرعية وغاصبة. لذلك قعد في بيته ينتظر اكتمال دورة الحدث. كانت السلطة تعلم أنها غاصبة، ولكن عزاءها أنها تواجه علي وأهل بيت النبوة بأمر واقع، وبجماهير عريضة تؤيدها، وبمصالح كبرى تتعارض مع ولاية علي وأهل بيت النبوة. وكانت

السلطة تعلم أن الرعية تنتظر صراعها مع الولي وأهل بيت النبوة، فإن نجحت السلطة بإخضاع علي وأهل بيت النبوة فسيستمر ولاء الرعية للسلطة الجديدة، وإن لم تنجح السلطة فإن ما بناه الانقلابيون سيتهدم، وستوالي الرعية الغالب كائناً من كان، ولا فرق عندها بين علي وأبي بكر، هذه هي الحالة النفسية التي وصلت إليها الأمة نتيجة لدعايات عمر وحزبه وأراجيفهم على رسول الله! ومن هنا وجدت السلطة نفسها مضطرة لأن تظهر أشد أنواع الحزم والجبروت والنار ضد علي خاصة وضد أهل بيت النبوة عامة.

القرار الأول: حرق علي بن أبي طالب وفاطمة بنت النبي والحسن والحسين وآل محمد وهم أحياء

دفن عليٌّ بن أبي طالب وأهلُ بيت النبوة رسولَ الله، وعادوا إلى بيت علي وقد أنهتكم المصيبة، فجلسوا وعندهم بعض المعزيين كسلمان الفارسي، والبراء ابن عازب، وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود، وأُبيُّ بن كعب، وعمار بن ياسر يخففون عنهم ويشاركونهم المصاب كما جرت العادة، لأن عمر وأبا بكر وحزبهما وعائشة لم يشهدوا تغسيل الرسول ولا تجهيزه ولا دفنه. فقد كانوا مشغولين بمتاعب الانقلاب[1]، وإذا كان أبو بكر وعمر ومن سار بركابهما لم يشهدوا دفن الرسول؛ فمن باب أولى أن لا يشهدوا الغسل والتكفين. أما عائشة فقد أعلنت: «ما عِلِمْنا بدفن رسول الله حتى سمعنا صوت المساحي ليلة الثلاثاء في السّحَر»[2].

«... فلم يُدفَن ـ رسول الله ـ حتى كانت العَتَمَة ولم يَلِه إلاّ أقاربُه، ولقد سمِعَتْ بنو غَنْم صريفَ المساحي حين حُفر لرسول الله وإنّهم لَفِي بُيُوتِهم»[3].

---

(١) راجع كنز العمال ٣/ ١٤٠.

(٢) راجع سيرة ابن هشام ٤/ ٣٤٤، وتاريخ الطبري ٢/ ٤٥٢ ـ ٤٥٥. وتاريخ إبن كثير ٥/ ٢٧٠. وطبقات بن سعد ٢/ ٧٨، وتاريخ الخميس ١/ ١٩١، وتاريخ الذهبي ١/ ٣٢٧.

(٣) راجع الطبقات لابن سعد ٢/ ٢٣٢ ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

ومن الطبيعي أن يعود الذين اشتركوا في دفن النبي مع علي وأهل بيت النبوة ويجلسوا معهم، هكذا جرت العادة في الجاهلية والإسلام. لقد أقعدتهم المصيبة بوفاة النبي، بالدرجة الأولى. أما عمر بن الخطاب وأركان حزبه فقد فسروا الأمر تفسيراً آخر، قال عمر في ما بعد: «وإنه كان من خبرنا حين توفي نبينا أن علياً والزبير ومن معهما تخلفوا عنا في بيت فاطمة»[1].

فأبو بكر وعمر كانوا يرون أن من واجب علي وأهل بيت النبوة بعد أن شاهدوا نجاح الإنقلاب أن يبادروا على الفور بتهنئة الانقلابيين ومباركتهم، وأن يتجاهلوا أن الانقلابيين قد غصبوهم حقهم بالولاية والإمامة من بعد النبي!

وكان عمر وحزبه يرون أن تهنئتهم بالفوز أولى وأحرى من مشاركة أهل بيت النبوة مصابهم بوفاة النبي، فما كان ينبغي للزبير ولا لمن معهم أن ينشغلوا بالعزاء عن التهنئة بالحكم الجديد والبيعة!

لذلك كله غضب أبو بكر غضباً شديداً وقال لنائبه عمر: «آتني به بأعنف العنف» يقصد علياً[2] وطلب أبو بكر من عمر أن يخرج الجميع من بيت فاطمة وإن أبوا، أمره بقتالهم[3]، وجَهَّز عمر بن الخطاب سرية لهذه الغاية فيها عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد، وأسيد بن حضير ولفيف من المهاجرين والأنصار. فقرر عمر بن الخطاب أن يحرق الدار على مَن فيها. وفيها فاطمة وعلي والحسن والحسين وآل محمد والمعزّين!

توجهت السرية المكلفة بحرق بيت فاطمة بنت محمد، علىٰ مَن فيه، أو يخرجوا صاغرين لمبايعة الحاكم الجديد، وإعلان تأييدهم للانقلاب بدون قيد ولا شرط.

---

(١) راجع مسند أحمد ١/ ٥٥، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ٢/ ٤٦٦، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ١٢٤. وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١/ ١٢٣. وسيرة ابن هشام ٤/٣٢٨. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٤٥. وتاريخ الخميس ١/ ١٨٨. وتاريخ أبي الفداء ١/ ١٥٦.

(٢) راجع أنساب الأشراف للبلاذري ١/ ٥٨٧.

(٣) راجع الرياض النضرة للطبري ١/ ١٦٧. وأبو بكر الجوهري في السقيفة برواية إبن أبي الحديد ١/ ١٣٢ و٦/ ٢٩٣. وتاريخ الخميس ١/ ١٨٨.

جمعوا الحطب، ووضعوه حول بيت فاطمة بنت محمد رسول الله، وجاء عمر بن الخطاب ومعه قبس من النار ليحرق الدار على من فيها! لفتت تحركات قائد السَّرية انتباه من في الدار وخرجت فاطمة بنت محمد، ورأت الحطب وقد أحاط ببيتها، ورأت عمر بن الخطاب يبرق ويرعد ومعه قبس النار! وكله عزم وتصميم على إحراق البيت على من فيه! فخاطبته مندهشة: «يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟!» وبأعصاب باردة وهادئة أجابها عمر بن الخطاب: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمة[1]، فتلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الخطاب أتراك محرقاً عليّ بابي! قال عمر: نعم[2]. وإلى هذا أشار عروة بن الزبير في معرض اعتذاره عن فعلة أخيه عبدالله عندما جمع «الهاشميين وحصرهم في الشعب، وجمع الحَطب وهَمَّ بإحراقهم إن لم يبايعوه»[3].

وهذه الواقعة من الأمور المعروفة بالضرورة، وقد أعجب بعض الشعراء ببطولة عمر، فقال حافظ ابراهيم شاعر النيل العظيم مادحاً عمر:

«وقولة لعلي قالها عمرٌ — أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرقت دارك لا أبقي عليك بها — إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها — أمام فارس عدنان وحاميها

لما رأت فاطمة بنت محمد ذلك طلبت من كل الموجودين في بيتها الخروج من البيت وهددتهم قائلة: «والله لتخرج، أو لأكشفن شعري ولأعجن إلى الله فخرجوا وخرج من كان في الدار»[4]، وأخذت فاطمة تبكي وتصيح فنهنهت من الناس[5].

(١) راجع العقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٦٤. وأبو الفداء في تاريخه ١/ ٥٦.
(٢) راجع أنساب الأشراف ١/ ٥٨٦، وكنز العمال ٣/ ١٤.
(٣) راجع مروج الذهب للمسعودي ٢/ ١٠٠. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ١٣٢.
(٤) راجع: تاريخ اليعقوبي ٣/ ١٠٥.
(٥) راجع شرح نهج البلاغة ١/ ١٣٤، إبن أبي الحديد نقلاً عن السقيفة لأبي بكر الجوهري.

لماذا أصرَّت فاطمة على خروج مَن في البيت؟

لو بقي علي وسبطاه وأهل بيت النبوة وآل محمد في البيت، فلن يتوانى عمر وسريته لحظة واحدة عن إحراق البيت على من فيه، والقضاء التام على ذرية محمد! وبعد ذلك تشرع وسائل الإعلام بقلب الحقائق وتشويهها فينكرون وجود علي بن أبي طالب، وينكرون بطولاته، ويجعلونه إعلامياً مشركاً كما جعلوا أباه! ولقالوا: إن النبي لم تكن له ذرية إلا غلامين من ابنته فاطمة أحدهما حسن والآخر حسين، وأن النبي كان يكرههما، لذلك أوصى لعمر بن الخطاب أن يحرقهما مع أمهما وأبيهما وهم أحياء في اليوم نفسه الذي يموت فيه رسول الله!! ولأن عمر بطل، ولا تأخذه في الله لومة لائم، وعملاً بوصية النبي، وامتثالاً لأمر صاحبه رسول الله أحرقهم أحياء! وستقنع وسائل الإعلام والأموال والنفوذ المملوكة للسلطة الغالبة عامة الناس وخاصتهم بهذه الخزعبلات! ألم تقتنع العامة وما زالت مقتنعة للآن بأن أبا طالب مشرك ومات على الشرك!! في الوقت نفسه الذي تعترف فيه بأنّه حمى النبي، وحمىٰ الإسلام في مكة!

واحتجاج فاطمة وعلي بالقرآن أو السنة مضيعة للوقت، وغير منطقي فما معنى أن تقول لعمر قال رسول الله: «رضا فاطمة من رضاي»؟ أو «فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني»؟ فما قيمة قول الرسول هذا عند عمر وحزبه طالما أنهم قالوا له وهو حي، ووجهاً لوجه: «أنت تهجر، ولا حاجة لنا بكتابك ولا بوصيتك، لأن القرآن عندنا وهو يغنينا عنك يا محمد وعن وصاياك»! وقد وثّقنا ذلك في الصفحات السابقة من هذا الكتاب.

لذلك رأى علي وفاطمة وأهل بيت النبوة أن الصبر أولى وأحرى بهما. وفي يوم من الأيام ستنكشف خزعبلات إعلام الدولة وأكاذيبها، وسيعرف الناس الحقيقة الشرعية، وأهل بيت النبوة وحدهم هم المنبع الوحيد بعد النبي لكافة الحقائق الشرعية، فالقرآن ثقل وركن، وأهل البيت الثقل والركن الآخر، فإعطاء الفرصة لعمر لحرق أهل بيت النبوة يعني هدم الركن والثقل الثاني، وإطلاق يد السلطة الانقلابية في ما تبقى من دين الله بلا حسيب رقيب، لذلك خرج علي

وخرجت فاطمة، وخرج الحسن والحسين، وبخروجهما خرج آل محمد ومن عندهم من المعزّين!

إقتياد عليٍّ إلى الحاكم الجديد ليبايع أو يقتل!

لولا لطف الله، وحكمة علي وفاطمة، لمضى عمر بن الخطاب بخطته الرامية إلى إحراق البيت على أهل بيت النبوة وآل محمد جميعاً في اليوم نفسه الذي مات فيه محمد، لكن خرج الجميع، وأُلقي القبض على علي بن أبي طالب مصدر التهديد الوحيد لسلطة الانقلابيين، وأوثقوه واقتادوه إلى الحاكم الجديد، ليبايع وليعلن الطاعة[1] «أُتي به إلى أبي بكر» أي «أُتي بعلي» وانظر إلى قول عمر لعلي «إنك لست متروكاً حتى تبايع»، ما يعني أنَّ السلطة اقتادت الإمام علي بالقوة والإكراه إلىٰ أبي بكر، وعلى هذا أجمع أهل بيت النبوة، ومعنى هذا أنه كان مربوطاً بالحبال! قد يقال: كيف يستطيع رجل مثل عمر أن يوثق علياً بن أبي طالب بالحبال مع أن علي كان أقوى إنسان على وجه الأرض ومع أنه الأشجع؟!!

إن عمر بن الخطاب لا يستطيع بقوته الشخصية أن يوثق بالحبال أو أن يقود بالقوة غلاماً، فلم يُعرَف طوال تاريخ النبوة أن قتل عمر بن الخطاب مشركاً أو جرحه أو أسره، وقد فرَّ في أُحُدْ وحُنين، وكان مشهوراً بالمزايدة والإثارة، ولكنه لم يكن رجل قوة ولا رجل حرب، بمعنى أن عمر قد وضع علياً بالحبال وقاده بالقوّة بفعل الجموع التي أسلمت قيادتها لعمر والانقلابيين. يجمع الرواة على أن أسلم مثلاً «قد أقبلت حتى تضايق بهم السكك» فما الذي يمنع عمر من أن يأخذ أسلم كلها معه لجلب علي بن أبي طالب مخفوراً؟ وما الذي يمنع عمر من أن يأخذ الأوس كلهم معه طالما أن شيخهم أسيد بن حضير يسير في ركاب عمر؟! وما الذي يمنع عمر من أن يجيش كل بطون قريش الـ٢٣ معه طالما أنها من حزبه؟ وما

(١) انظر إلى قول ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١/ ١١.

الذي يمنع جموع المنافقين من أن تتبرع من تلقاء نفسها وتسير في ركاب عمر وتتلذذ بإذلال محمد وأهل بيت محمد؟

لقد وجد عمر جموعاً أعطته قيادتها وركبته على ظهورها وهي على استعداد للبطش الشديد بعلي وأهل بيت محمد عند أدنى إشارة، وسلب بيوت آل محمد ونهبها قبل أن يرتد إليك طرفك.

بهذا المناخ ليس من الحكمة أن يحارب علي بن أبي طالب لأنه ليس معه إلا أهل بيته وهو يضنُّ بهم عن الردى كما قال، فانقاد للإعتقال انقياداً مشرفاً، لأن الانقلابيين يريدون أن يجرّوه إلى معركة فاشلة لخلق الفرصة أمامهم لإباده أهل بيت محمد!

محاولة إحراق منزل أهل بيت النبوة حقيقة لا يمكن إنكارها

شروع عمر بن الخطاب بإحراق منزل أهل بيت النبوة حقيقة لا يمكن إنكارها، فقد أجمعت الأمة على صحّة وقوع هذه الحادثة[1].

علي بن أبي طالب يقف مكتوفاً بين يدي الحاكم الجديد

نجح عمر بن الخطاب والجيش الذي كان يقوده باعتقال علي بن أبي طالب وربطه بالحبال فاقتادوه إلى أبي بكر الحاكم الجديد ليقضي فيه بأمره على حد تعبير

(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/١٢. والعقد الفريد لابن عبد ربه ٤/٢٥٩، طبعة ثانية بمصر، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/١٣٤ و٢/١٩، ط مصر. و٦/٤٨. تحقيق محمد أبو الفضل ١/٥٧. طبعة دار الفكر. وتاريخ الطبري ٣/٢٠٤. ط دار المعارف، والملل والنحل للشهرستاني ١/٥٧ طبعة بيروت. وتاريخ أبي الفداء ١/١٥٦، واعلام النساء ٣/١٢٠٧، وتاريخ ابن شحنة بهامش الكامل ٧/١٦. وبحار الأنوار ٢٨/٣٢٨ و٣٢٩. والغدير للعلامة الأميني ٧/٧٧. والنص والاجتهاد لشرف الدين العاملي ص ٣٧. ومروج الذهب للمسعودي ٢/١٠٠، وأنساب الأشراف للبلاذري ١/٥٨٦، وكنز العمال ٣/١٤٠، والرياض النضرة للطبري ١/١٦٧، وتاريخ الخميس ١/١٧٨. والسقيفة لأبي بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١/١٣٤. ومعالم المدرستين للعسكري ١/١٢٧.

عمر بن الخطاب إذ قال عمر لأبي بكر: «ألا تأمر فيه بأمرك؟»[1]، أُوقف الإمام بين يدي الحاكم الجديد وهو مربوط بالحبال. وافتتح اللقاء عمر بن الخطاب قائلاً مخاطباً علياً: «إنك لست متروكاً حتى تبايع»[2] فأجابه الإمام بأعصاب هادئة أمام الحاكم الجديد وأركان دولته: «احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يرده عليك غداً. فالإمام علي يعرف أن أبا بكر سيستخلف من بعده عمر! وهذا ما حدث فعلاً، وتجاهل الحاكم الجديد وعمر بن الخطاب ملاحظة الإمام وقال له عمر بحزم: بايع!!

ماذا يقول الإمام؟ هل يحتج عليهم بالقرآن؟ فلديهم تفسيرهم الخاص للقرآن! وهل يحتج عليهم بسنة الرسول؟! وما قيمة سنة الرسول بالنسبة لشخصية الرسول عندهم، لقد قال عمر للرسول شخصياً أمام أركان حزبه: أنت تهجر، ولسنا بحاجة إلى وصيتك، وفي الجلسة نفسها قال أركان حزب عمر للرسول: أنت تهجر، والقول ما قاله عمر! وأركان حزب عمر اليوم هم أركان دولة أبي بكر! فما هي فائدة الاحتجاج بسنة الرسول وحديثه أمام أناس يقولون للرسول شخصياً: لسنا بحاجة لوصيتك لأنك تهجر!

لذلك فكَّر الإمام علي بنقض الحجة التي قام على أساسها الانقلاب الجديد، فقال الإمام بأعصاب هادئة: «أنا عبدالله وأخو رسوله، أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم فأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً، ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد مَنكم، فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الإمارة! وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حياً وميتاً، فانصفونا إن كنتم تؤمنون وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون»[3].

---

(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١٣/١.
(٢) راجع الطبري في تاريخه وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١١/١.
(٣) المصدر السابق.

ما قاله الإمام أفضل ما يمكن أن يقال، إن قول الإمام بمثابة فتح حقيقي، لقد أبرز بوضوح ما أراد إبرازه ونسف حجة أبي بكر وعمر في سقيفة بني ساعدة حيث قال عمر: «إن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم.. من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدلٍّ بباطل أو متجانف لإثم»[1]. وكان أبو بكر قد قال في الجلسة نفسها: «ونحن أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بالأمر من بعده..»[2].

صعق الحاضرون من هدوء أعصاب الإمام وقوة حجته، فنهض أبو عبيدة وقال مجيباً الإمام: «يا أبا الحسن، إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قريش قومك.. فقال علي: يا معشر المهاجرين، الله الله لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى دوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لَنَحنُ أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، لا فينا القارىء لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بالسنة المصطلح بأمر الرعية، والله إنه لفينا، فلا تتَّبعوا الهدى فتزدادوا من الحق بعداً. عندئذٍ قال بشير بن سعد وهو أول من بايع أبا بكر: لو كان هذا الكلام سمعتْه منك الأنصار يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليكم اثنان»[3].

رأى عمر بن الخطاب أنه ما جاء بعليٍّ ليناقش؛ إنما جاء به ليبايع فأراد عمر أن يضع حداً لهذا النقاش الذي لا معنى له من منظوره فقال بحزم: «بايع» فقال علي: إن لم أفعل فمه؟ يبدو أن عمر قد قال له: «إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك» وكما ردد أركان حزب عمر في حضرة الرسول القول ما قال عمر: «أنت تهجر» فلقد رددوا خلف عمر هذه المرة قول عمر: «إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك»[4]!!، فقال عمر لأبي بكر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ ويبدو أن عمر

---

(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة، ١/٨.

(٢) المصدر نفسه، ١/٧.

(٣) هكذا في رواية الطبري في تاريخه، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/١١ وما بعدها.

(٤) راجع الإمامة والسياسة ١/١٣.

أراد من أبي بكر أن يصدر قراراً بقتل الإمام بعد أن صاح أركان الحزب «إذاً والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك» فيحمِّل أبا بكر مسؤولية القتل. وفكر أبو بكر ثم قال لعلي: «فإن لم تبايع فلا أكرهك»[1]، ويبدو أن أبا بكر قد أمر بحل وثاق الإمام مباشرة فلحق علي بقبر النبي يصيح ويبكي أمام الجموع وينادي: «يا ابن أم إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»[2] وهي الآية نفسها التي وردت على لسان هارون لموسى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَما خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف/ ١٥٠] وليس من المستبعد أن الجموع قد تذكرت أنَّ محمداً قد قال لعلي أمامها: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبي بعدي».

الحاكم الجديد يهم بالتنازل عن الخلافة

ليس من المستبعد أن يكون أبو بكر قد لام عمر وقرّعه، لأنه تعجل وشرع بإحراق منزل أهل بيت النبوة على من فيه وهم أحياء! صحيح أن أبا بكر قد طلب من عمر أن يأتيه بعلي بأعنف العنف، ولكن من المؤكّد أن أبا بكر أشد إدراكاً من أن يقصد بأعنف العنف حرق منزل أهل بيت محمد على من فيه وهم أحياء، وصحيح أيضاً أن أبا بكر قد أمر بحرق (الفجاءة)، وهو حي مقموط، وحُرِقَ فعلاً بالنار، وشَمّت الجموع المؤيدة رائحة شواء جسد الفجاءة، وصفّقت للخليفة وأركان دولته، ولم يقل أحد منها هذا معروف، أو هذا منكر! لكن أبا بكر يعلم علم اليقين أن علياً ليس كالفجاءة، فعلي هو سيد المسلمين وسيد العرب، وولي المؤمنين حسب تقييم محمد الرسول، الذي جاء أبو بكر ليخلفه. ثم إن علياً وفاطمة والحسن والحسين وآل محمد ليسوا مغمورين فالعالم كله يعرفهم وحرق المنزل عليهم وحرقهم أحياء سيثير زوبعة كبرى يسمع بها العالم كله، وصحيح أن

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١١.
(٢) المصدر نفسه ١/ ١٣.

الجموع المؤيدة للإنقلابيين سكرى وأن الكثيرين يقولون بقلوبهم: اللهم، إن هذا منكر لا نرضى به! ولكن قد يُعموا السكارى!! وقد يجهر المنكرون في قلوبهم، فيهب إعصار لا يبقي ولا يذر، وليس من المستبعد أن يكون عمر قد قبل اللوم والتقريع، صحيح أن أبا بكر واجهه، وأن الحاكم الفعلي هو عمر فقد قاد الحزب والإنقلاب معاً، ولكن عمر تعوّد أن يكون تابعاً غير متبوع، وتعوّد أن يزايد، وتعود أن يكتشف خطأه بعد كل مزايدة وأن يتقبل اللوم، وليس من المستبعد أن عمر قد استوعب لوم الخليفة الجديد، وأنهما قد اقتنعا أن إحراق منزل أهل بيت محمد على من فيه، فكرة غير معقولة، وليست عملية ولا يمكن السيطرة على آثارها، وأن هنالك أساليب أكثر نجاعة من الحريق والقتل وأعظم مردوداً فلِمَ لا يجربونها؟! لذلك صمما على أن يذهبا إلى بيت علي بن أبي طالب ليعتذرا له ولفاطمة عن فعلتهما بالشروع بإحراق منزل أهل البيت على من فيه وهم أحياء! وذهب الاثنان إلى بيت علي، فاستأذنا فلم تأذن لهما فاطمة، فوسَّطا علياً وكلّماه، فأدخلهما، فلما قعدا حولت وجهها إلى الحائط، فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام.. فقالت فاطمة: «أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم. قالت: نشدتكما الله ألَمْ تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبَّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني قال الاثنان: سمعناه من رسول الله! قالت فاطمة: فإني أُشهِد اللهَ وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه». هذه أقوال لا تؤثر بعمر فقد واجه النبي في بيته، وأسخطه شخصياً وهو في بيته؛ وكسر بخاطره، وقال له: أنت تهجر، فمثل هذه الأحاديث لا تلفت نظر عمر حتى لو قالها له رسول الله شخصياً.

أما أبو بكر فقد انتحب يبكي حتى كادت نفسه تزهق وكلمات فاطمة تلاحقه: «والله لأدعون عليك في كل صلاة أصلِّيها». وخرج أبو بكر باكياً، وخلفه عمر، واكتشف أبو بكر بأنه واجهه لمعاداة أهل بيت النبوة والتنكيل بهم، وكان أركان حزب عمر الذين تحولوا إلى أركان دولة متحلّقين حول بيت علي حرصاً على الخليفة ونائبه، ولمعرفة نتيجة المحادثات. فلما خرج الاثنان تجمع أركان الدولة

فقال أبو بكر مخاطباً أركان الدولة: «يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم أقيلوني بيعتي»[1].. من الطبيعي أن لا ترضى الجموع المؤيدة بذلك، ومن الطبيعي أن لا يرضى عمر؛ لأن قبول عمر وأركان حزبه باستقالة أبي بكر في هذه المرحلة يعني فشل الإنقلاب، ويعني ضياع تعب أركان الحزب، وضياع الأحلام والآمال التي عقدوها على نجاح الانقلاب، أو بتعبير أدق يعني ذلك ضياع مصالحهم حسب رأيهم، وعودة الأمور إلى نصابها الشرعي الذي بيَّنه اللهُ ورسولهُ، ويعني أن يصبح علياً بن أبي طالب هو الإمام. لنفرض أن عمر قد قبل ـ وهذا غير وارد ـ فكيف يقبل المنافقون! واكتشف أبو بكر الحقيقة أنه ليس أكثر من واجهة، وأنه إذا أصر على الاستقالة فسيقتلونه وينكِّلون به، لذلك أعطاهم قياده، وسحب استقالته، وتابع معهم، وبهم دورة اكتمال الأحداث!

القرارات الاقتصادية

أدركت السلطة الانقلابية الجديدة أن العنف لن يركّع أهل بيت النبوة، وأن المفاوضة مع أهل بيت النبوة لن تجدي، بل ستطلع الناس على عدالة قضيتهم، وأن التهديد لن يرهب أهل بيت النبوة بل سيزيدهم عزماً وتمسكاً بحقهم، لذلك فكَّرت السلطة الانقلابية، ودبرت، ثم أصدرت مجموعة من القرارات الاقتصادية أسفرت تلك القرارات عن مصادرة ممتلكات أهل بيت النبوة، وحرمانهم من تركة النبي، وحرمانهم من حقهم في الخمس.

والسبب أن الخليفة الجديد وأركان دولته يعرفون أن المال سلاح جبّار في منطقة الجزيرة القاحلة خاصة، لذلك قررت السلطة الجديدة أن تجرِّد علياً وأهل بيت النبوة من سلاح المال، وأن تعزلهم اجتماعياً تمهيداً لتجريدهم من كافة حقوقهم المدنية والسياسية، وتحويلهم إلى مجرد أرقام وأفراد جد عاديين من الرَّعيّة.

---

(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/١٣ ـ ١٤.

القرار الأول: مصادرة تركة النبي

لم يكن الشروع في حرق منزل أهل بيت النبوة على من فيه، وهم أحياء، كافياً، ولم يكن تهديد علي بن أبي طالب بالقتل مجدياً، ولا أجدت زيارة الخليفة ونائبه لمنزل علي ولا محاولاتهم لترضية فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله. إذاً فصراع أهل بيت النبوة مع السلطة صراع طويل ومديد، لذلك يجب تقليم أظفار أهل بيت النبوة وتجريدهم من كافة ممتلكاتهم. وفي هذا السياق، قررت السلطة الانقلابية حرمانهم من تركة محمد، ومصادرة هذه التركة فوراً، حتى لا تؤول إليهم. ومن دون سؤال ولا جواب، أصدرت السلطة الانقلابية الجديدة قراراً بحرمان أهل بيت النبوة من ميراثهم من تركة النبي، ووضعت يدها على الفور على تركة النبي، وأخذت السلطة تتصرف بهذه التركة تصرف المالك، وأحسَّ أهل البيت بحدوث شيء، فاستفسروا وعلموا من الناس أن السلطة قررت مصادرة تركة النبي، وحرمان ورثة النبي من هذه التركة! فذهب علي وفاطمة وقابلوا الحاكم الجديد أبا بكر ليقفوا منه على الحقيقة، عندئذٍ أعلمهم أبو بكر أنه قد حرمهم من الميراث من تركة النبي، وأنه قد صادر هذه التركة، ووضع يده عليها، امتثالاً لأمر الرسول الذي قال لأبي بكر شخصياً: «نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث»[1]. ومع أن علياً هو مستودع علم النبوة، ومع أنه وزوجته وابناه كانا يقيمان مع النبي في بيت واحد وتحت سقف واحد، ومع أن هذا الأمر يهمهم وهم أحق من يسمع به، إلا أنهم لم يسمعوا بهذا الحديث من قبل، ولا سمع به أحد من الناس غير أبي بكر، فهو من أحاديث الآحاد فآستغرب علي واستغربت فاطمة، وظنّا أن الرجل هازل في ما يقول، فقالت له فاطمة: مَن يرثك إذا متَّ؟ فقال أبو بكر: يرثني ولدي وأهلي! فقالت فاطمة: فما لنا لا نرث النبي؟! فكرر أبو بكر مقالته السابقة[2].

---

(١) راجع صحيح الترمذي ٧/١١١. باب ما جاء في تركة الرسول.

(٢) راجع مسند أحمد بن حنبل ١/١٠ ح٦. وسنن الترمذي ٧/١٠٩، وطبقات ابن سعد ٥/٧٧. وتاريخ ابن الأثير ٥/٢٨٦.

وعندئذٍ قال علي لأبي بكر قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سليمانُ داودَ﴾ [النمل/ ١٦] وقال تعالى على لسان زكريا ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِن آلِ يَعْقُوب﴾ [مريم/ ٦] فكيف نوفق بين قولك «الأنبياء لا يورثون وبين هاتين الآيتين!! هذا كتاب الله ينطق بالحق. فسكت أبو بكر وانصرف مصراً على قوله وقراراته»[1]. ولم تكتف فاطمة بنت الرسول بذلك إنما بسطت الخصومة بينها وبين السلطة الجديدة أمام المهاجرين والأنصار، وأقامت الحجة على أبي بكر بخطبة رائعة جاء فيها أفعلى عمر تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وورث سليمان داود﴾ وقال عز وجل في ما قص من خبر يحيى بن زكريا: ﴿فَهَبْ لي من لَّدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ من آلِ يَعقُوب﴾ [مريم/ ٥ ـ ٦]، وقال عزَّ وجل: ﴿وَأُولُوا ٱلأَرْحام بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ ببعضٍ في كتاب الله﴾ [الأنفال/ ٧٥، الأحزاب/ ٦] وقال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللهُ في أَوَلَادِكُمْ للذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء/ ١١] وقال تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً الوَصِيَّةُ لِلوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بالمَعْرُوفِ حَقّاً عَلى ٱلمُتَّقِينَ﴾ [البقرة/ ١٨٠] وزعمتم أن لا حق ولا إرث لي من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصكم الله بآية أخرج منها نبيه؟!! أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثون؟!! أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟!!! لعلكم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من النبي؟!! أفحكم الجاهلية تبغون؟[2]. وأصر أبو بكر على رأيه، وقراراته، ووقفت الجموع مع حاكمها، فهل يعقل أن يصدِّقوا القرآن الكريم وأهل بيت النبوة، ويكذبوا حاكمهم الذي بيده المال والإعلام والنفوذ!!

حديث «نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث» لم يروهِ أصلاً إلا أبو بكر وعلىٰ الرغم من اتساع دائرة الجدل حول هذه الناحية، إلا أن أحداً من أركان دولة الإنقلاب أو مواطنيها لم يقل أنه قد سمع هذا الحديث من الرسول!!! ولكن في ما بعد تبرع العشرات من الرواة فرووا عن أركان الدولة ومؤيدها هذا الحديث، وذلك ليصدِّقوا الخليفة، وليرفعوا الشك عنه. وقد صرح ابن أبي الحديد بذلك في شرحه لنهج البلاغة.

---

(١) راجع كنز العمال ٥/ ٣٦٥. وطبقات ابن سعد ٢/ ٣١٥.
(٢) راجع بلاغات النساء ص ١٦ ـ ١٧.

والسؤال الذي يطرح في هذا المقام هو:

إذا كان أولاد محمد وأرحامه لا يرثونه فمن يرثه إذاً؟

قال أبو بكر: يرث محمد الذي يقوم مقامه، وبما أن محمداً قد مات وبما أن أبا بكر هو خليفته، فوارث النبي الوحيد هو أبو بكر!![1].

تحقيقاً للعدالة، ورحمة بأهل بيت النبوة، فقد قرر أبو بكر مصادرة كامل تركة النبي، وحرمان ورثة النبي من هذه التركة، ولكنه تفضَّل وأعطى آلة الرسول ودابته وحذاءه إلى علي بن أبي طالب[2]، صحيح أن دواب الرسول جزء من التركة، وأن آلته، وحذاءه أجزاء من التركة، ولكن الحاكم الجديد تركها للورثة تجاوزاً بالعدل إلى الرحمة!

القرار الثاني: حرمان أهل بيت النبوة من منح الرسول

أثناء حياة الرسول الأعظم منح منحاً كثيرة للناس، وصارت هذه المِنَح جزءاً من ممتلكاتهم، ومنح أهل بيت النبوة منحاً كغيرهم من الناس، فترك أبو بكر وأركان دولته كافة المِنَح التي أعطاها رسول الله للناس احتراماً لمشيئة رسول الله، وباعتبارها صارت حقاً مكتسباً، وتقديراً للذين دخلوا في طاعة الحاكم الجديد، والتزموا بجماعته.

أما المِنَح التي أعطاها الرسول لأي شخص من أهل بيت النبوة، فقد قرّر أبو بكر وأركان دولته مصادرتها على الفور ووضع اليد عليها وحرمان أهل بيت النبوة منها؛ وذلك حرصاً على مصلحة المسلمين. وكانت فاطمة بنت محمد رسول الله أوّل من حُرمت من منحتها، وصودرت تلك المنحة[3]، تجد أن فاطمة بنت محمد

(١) راجع مسند أحمد ١/ ٤، وسنن أبي داود ٣/ ٥٠. وتاريخ ابن كثير ٥/ ٢٨٩. وتاريخ الذهبي ١/ ٣٤٦، وشرح نهج البلاغة ٤/ ٨١. نقلاً عن كتاب السقيفة للجوهري!!.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة ٤/ ٨٧ و٨٨. وبلاغات النساء ص ١٢ ـ ١٥.

(٣) راجع فتوح البلدان ٤/ ٣٤ ـ ٣٥.

قد قالت لأبي بكرْ: أعطني فدك، فقد جعلها رسول الله لي، فسألها البينة، فشهدت أم أيمن زوج الرسول ورباح مولى الرسول، فقال أبو بكر: لا يجوز إلا بشهادة رجل وامرأتان، وشهد لها علي بن أبي طالب، ولكن الخليفة كان قد قرر المصادرة، ولا راد لقرار الخليفة! لم يسأل أبو بكر الناس بينة، لقد اكتفى من الناس بوضع اليد! أمّا فاطمة، فتحتاج إلى بيّنة لإثبات أن يدها مشروعة.

القرار الثالث: قرار حرمان أهل بيت النبوة من حقهم بالخمس الوارد في القرآن الكريم

«لما منعوا بنت الرسول من إرث أبيها، ومن مِنَح الرسول؛ طالبتهم بسهم ذوي القربى، فقالت لأبي بكر: لقد حرمتنا أهل البيت، فاعطنا سهم ذوي القربى وقرأت آية **﴿وَٱعْلَمُوا أنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامىٰ وَٱلْمَساكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنا عَلَىٰ عَبْدِنا يَوْمَ ٱلْفُرْقانِ يَوْمَ ٱلْتَقَىٰ ٱلْجَمْعانِ واللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [الأنفال/ ٤١]. . فقال لها أبو بكر: «سمعت رسول الله يقول: سهم ذوي القربى للقربى حال حياتي وليس لهم بعد مماتي»[1].

وهكذا تفرد أبو بكر بحديث آخر خطير لا يعلمه أحد غيره فقد حرم ورثة النبي من ميراثهم بتركة النبي بناء على حديث لا يعلمه أحد سواه، وحرم الورثة أنفسهم من حقهم بالخمس الوارد بآية محكمة في القرآن الكريم استناداً لحديث لا يعلمه أحد سواه!

الحكم علىٰ أهل البيت بالموت جوعاً

والكارثة مع هذه القرارات أن الصدقة غير جائزة على آل محمد ولا تحل لهم. فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي كان إذا أتى بطعام سأل عنه، فإن كان

(١) راجع كنز العمال ٥/ ٣٦٧. كتاب الخلافة.

هدية أكل منها، وإن كان صدقة لم يأكل منها[1]، ومر النبي بتمرة بالطريق فقال: «لولا أن تكون من الصدقة لأكلتها، وأن الحسن بن علي أخذ تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله: كِخ كِخ أرمِ بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة». وفي رواية «إنا لا تحلُّ لنا الصدقة»[2].

من أين يأكل أهل بيت النبوة؟

إذا حُرِمَ أهل بيت محمد من إرث محمد، وحُرموا من المنح التي منحها لهم أثناء حياته، وحرموا من الخمس الوارد في القرآن الكريم، وإذا كانت الصدقة مُحَرّمة عليهم، فمن أين يأكلون بحق الله؟! هل يموتون جوعاً أيها الخليفة العظيم؟!

إذا أراد أهل بيت النبوة أن لا يموتوا جوعاً فعليهم أن يسالموا الخليفة

قال أبو بكر لفاطمة، عندما طرحت هذه التساؤلات، وبعد أن صادر الخليفة كل شيء وحرمهم من كل شيء، ولأسباب إنسانية تفضل أبو بكر وأجاب فاطمة عن كل تساؤلاتها فقال: «إني أعول من كان رسول الله يعول، وأُنفق على من كان رسول الله ينفق»[3] «فآل محمد يأكلون ليس لهم أن يزيدوا على المأكل»![4].

فالحاكم يقدِّم لأهل البيت المأكل ولا يزيدون عليه، فطوال التاريخ، يجب على أهل بيت النبوة أن يمدوا أيديهم إلى الحاكم كلما جاعوا، والحاكم على استعداد أن يقدِّم لهم المأكل فقط! ومن الحشمة، وحسن الخلق أن يطيع الإنسان من يطعمه، فإذا عصا الإنسان المطعم وولي نعمته، فإن من حق ولي النعم أن

---

(١) راجع صحيح مسلم ٣/ ١٢١، باب قبول الهدية ورد الصدقة. ومجمع الزوائد ٣/ ٩٠.

(٢) راجع صحيح البخاري ١/ ١٨١. باب ما يذكر في الصدقة. وصحيح مسلم ٣/ ١١٧. باب تحريم الزكاة على آل محمد، وسنن أبي داود ١/ ٢١٢. باب الصدقة على بني هاشم.

(٣) راجع سنن الترمذي ٧/ ١١١.

(٤) راجع صحيح البخاري ٢/ ٢٠٠. باب مناقب قرابة الرسول، وسنن أبي داود ٣/ ٤٩ ـ كتاب الخراج ـ، وسنن النسائي ٢/ ١٧٩ ـ قسم الفيء ـ، ومسند أحمد ١/ ٦ ـ ٩.

يحرم هذا العاصي من طعامه! تلك هي سُنّة أبي بكر وعمر، وهذا هو عدلهم، وهذا هو فهمهم لحديث الثقلين! وهذا هو التجسيد العملي لاعترافهم بولاية علي بن أبي طالب، الرجل الذي قدموا التهاني له في غدير خم!

فاطمة بنت محمد تصرخ

ضَجَّ أهل بيت النبوة، واحتجوا على هذه القرارات الاقتصادية الأليمة والمُذِلَّة، وذهبت الزهراء بنفسها، واحتجت أمام المهاجرين والأنصار بخطبة من عيون خطب العرب، ذكرها الجوهري في كتابه: «السقيفة»[1].

وسمع الخليفة أبو بكر، وعمر وأركان حزبه، ورقص المنافقون طرباً وازداد ولاؤهم للسلطة، ولم يستنكر المهاجرون والأنصار هذه القرارات لا بيد ولا بلسان، واكتفى الخليفة وعمر وأركان حزبه بالاستماع، وبقيت القرارات سارية المفعول.

وسعد عمر بالأثر المؤلم الذي تركته تلك القرارات على آل محمد واكتشف عمر أن أبا بكر أعمق غوراً منه، فلقد جرد آل محمد من كل أسلحتهم من دون أن يضطر لحرقهم وهو أحياء كما هَمَّ هو أن يفعل!!

وتذكرت القلة المخلصة من المهاجرين والأنصار حصار بطون قريش ومقاطعتهم لبني هاشم في شعب أبي طالب! وكيف أن بطون قريش يومها قصرت الحصار والمقاطعة على البيع والشراء والنكاح! وتمنت القلة المخلصة لو أن بطون قريش بقيادة أبي بكر وعمر قد طبقوا الحصار ثانية بعد أسلافهم على أهل البيت، فبطون قريش عندما كانت على الشرك، لم تصادر تركة محمد، ولا مِنَحَه، ولا جرّدت الهاشميين من ممتلكاتهم، وأجبرتهم يتكففون على أبواب الحكام. وأمام فشل الضجيج والاحتجاج؛ لم يبقَ أمام آل محمد غير الصبر والتسليم إلى حين!

---

(١) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ٨٧/٤، وأحمد بن أبي الطاهر البغدادي في بلاغات النساء ص ١٢ ـ ١٥.

عائشة لم تكتف بما فعل أبوها وصاحبه

كأَنَّ أم المؤمنين لم تكتفِ بما فعل أبوها وصاحبه عمر وأركان حزبهم بعلي ٱبن أبي طالب وأهل بيت النبوة، وكأنها اعتقدت أن مساهمتها بالانقلاب كانت متواضعة، لذلك أرادت أن تزيد أسهمها، وأن تصب جام غضبها على علي بن أبي طالب ومن يتعاطف معه، لذلك صرَّحت مراراً وتكراراً بوصفها زوجة الرسول المحبوبة ـ كما صورتها وسائل إعلام دولة أبيها ـ فقالت: إن رسول الله قد أخبرها بأن علياً بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب من أهل النار، وإنَّهما سيموتان على غير دين محمد[1]. وقد وصف الإمام علي بن أبي طالب في ما بعد حقيقة مشاعر أم المؤمنين نحوه، فقال في كلامه عند مخاطبته أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم: «وَضِغْنٌ غَلا في صَدْرِها كَمِرْجَلِ ٱلْقَيْنِ»[2] وعائشة التي أشاعت هذين الحديثين، هي نفسها التي قالت لرسول الله ذات يوم: «والله لقد عرفت أن علياً أحب إليك من أبي ومني»[3]، وتشيع أحاديثها تلك، وهي تعلم فضله ومقامه عند الله ورسوله، وقد سقنا من البيان النبوي الذي تعرفه عائشة بما فيه الكفاية. ولكنها تريد أن تساعد أباها وصديقه، وأركان حزبهما لإطفاء نور علي، وأهل بيت النبوة إلى الأبد.

تجريد علي وأهل بيت النبوة من حقوقهم السياسية

القرارات الاقتصادية التي اتخذها الخليفة الأول ونائبه وأركان دولته، جرَّدت علياً بن أبي طالب وأهل بيت النبوة عملياً من كافة حقوقهم المالية، وكانوا قد جرَّدوا الإمام من كافة حقوقه السياسية تجريداً كاملاً، حيث ابتزّوا حقّه،

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة ٤/ ٦٤. تحقيق محمد أبو الفضل!!!
(٢) المصدر السابق ٩/ ١٨٩، رقم ١٥٦.
(٣) راجع مسند أحمد ٤/ ٢٧٥.

وصرّفوا الأمر عنه، واستبدوا به دونه، وفوق ذلك أهانوه وهددوه بالقتل إن لم يبايع، وانتهكوا حرمة منزله، وشرعوا بإحراق بيته على زوجته ابنة النبي، وأبنيه، وهكذا أخذوا حقَّه، وأغتصبوا خلافته ومنصبه.

ولم يكتفِ أبو بكر وعمر وأركان دولتهما بذلك، إنّما حرّموا على الهاشميين أن يتولوا أي منصب من مناصب الدولة، حتى لا يدعوا لأنفسهم يوماً، فيجمعوا النبوة والخلافة معاً، ويتجاوزوا الخط الأحمر الذي وضعه عمر وحزبه[1]، وقد وثّقنا ذلك في الصفحات السابقة من هذا الكتاب.

وقد وصف الإمام علي في ما بعد الحالة التي وصل إليها وأهل بيته فقال: «لما قبض رسول الله، وكنا أهله وورثته وعترته وأولياءه لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا، فغصبونا سلطان نبينا، فصار الأمر لغيرنا، وصرنا سوقة، يطمع فينا الضعيف ويتعزّز علينا الذليل»[2].

تجريد من يوالي أهل بيت النبوة أو يتعاطف معهم من حقوقه السياسية

وعلى سبيل الاحتياط، لم يصدف، وعلى الإطلاق، أن ولى أبو بكر أو عمر، أو عثمان أو الأمويون أي رجل على الإطلاق موالٍ لآل محمد أو متظاهر بالولاء لهم، فقد غضبوا على من يوالي علياً وأهل بيت النبوة، بسبب غضبهم على علي وأهل البيت، وجاء زمن من الأزمان أصدر فيه معاوية بن أبي سفيان مراسيم ملكية عمّمها على كل مقاطعة وكورة مفادها حرفياً:

١ ـ «أَن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب أو أهل بيته»، فقام الخطباء على كل منبر يلعنون علياً، ويبرأون منه.

---

(١) راجع مروج الذهب ٣/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤، وشرح نهج البلاغة ٣/ ١٠٧ و١٢/ ٥٢، وتاريخ الطبري ٤/ ٢٢٣.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة ١/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

٢ ـ وكتب نسخة إلى كل عماله «من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل البيت، فامحوه من الديوان، وأسقطوا رزقه وعطاءه»، وشفع ذلك بنسخة قال فيها: «من اتهمتموه بحب هؤلاء القوم ـ أهل بيت النبوة ـ فنكلوا به وأهدموا داره»[١]، كما نقل ذلك ابن أبي الحديد عن المدائني.

من الذي جرأ معاوية على فعل ذلك؟

معاوية، كما قال في رسالته إلى محمد بن أبي بكر: «كان يرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا وفضله مبرزاً علينا. . . حتى إذا قبض رسول الله فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه وخالفه»[٢].

فعمر بالذات، وأبو بكر، هما أول من جرّأ الناس على رسول الله، وعلى الولي من بعده، وعلى أهل بيت النبوة، ومَن والاهم، ولولا اجتهاد أبي بكر وعمر وأركان حزبهما؛ لما اختلف اثنان، كما قال سلمان الفارسي.

أهل بيت النبوة اجتماعياً

فوجئت الأمة الإسلامية باستيلاء عمر بن الخطاب وأركان حزبه على السلطة، وبتوليتهم لأبي بكر، وباحتجاجهم بحجة أهل بيت النبوة وتجاهلهم التام للرجل الذي ولآه الرسول الإمامةَ والولايةَ والخلافةَ من بعده.

وعلمت الأمة علم اليقين أن الدولة الجديدة قد قبضت على مفاتيح الأموال، وأن السلطة والنفوذ بيدها وطوع إرادتها.

وعلمت الأمة أن السلطة الجديدة قد هَمَّت بحرق منزل أهل بيت النبوة على من فيه، وأنها قد هددت علياً بن أبي طالب بالقتل إن لم يبايع بعد أن اقتادته مكبَّلاً بالحبال.

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ـ تحقيق حسن تميم ـ ٣/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦.

(٢) راجع مروج الذهب للمسعودي ٣/ ١١، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ١١٨ ـ ١١٩.

وعلمت الأمة علم اليقين أن السلطة الجديدة قد حرمت علياً وأهل بيت النبوة من تركة النبي، وصادرت المِنَح التي أعطاها الرسول لهم، وأنها قد وضعت يدها على كافة الممتلكات، وأبعد من ذلك فإن السلطة قرّرت حرمان أهل بيت النبوة من حقهم بالخمس الوارد بآية محكمة، وعلمت الأمة علم اليقين أنّ أهل بيت النبوة جياع بعد هذه القرارات المؤلمة، وأنهم إذا أرادوا أن يأكلوا عليهم أن يراجعوا الحاكم الجديد ليقدِّم لهم لقمة العيش بدون زيادة!

وعلمت الأمة أن أم المؤمنين عائشة ابنة الخليفة قد أصدرت بياناً قالت فيه إنها سمعت رسول الله يقول: «بأن علياً والعباس من أهل النار وأنهما سيموتان على غير دين النبي»!

وعلمت الأمة علم اليقين أنَّ السلطة تتربَّص وتراقب لمعرفة من يوالي علياً وأهل بيت النبوة أو يختلط بهم! لتعاقبه وتنكِّل به، وعلمت الأمة علم اليقين أنَّ للسلطة جيشاً مطيعاً يأتمر بأمرها وأن هذا الجيش قادر كل القدرة على قطع يد من يشير إلى السلطة بسوء، وقطع لسان من يذكر السلطة بشر!

وخرجت الأمة بتسبيحة مفادها «إذا كانت السلطة بهذه القسوة مع علي بن أبي طالب الذي عيَّنه رسول الله ولياً وإماماً وخليفة للناس من بعده!! وإذا كانت السلطة بهذه القسوة مع ابنة النبي فاطمة بنت محمد ومع سبطيه الحسن والحسين، ومع أهل بيت النبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً واعتبرهم أحد الثقلين، فكيف تكون قسوتها مع عامة المسلمين»؟! لذلك رأت الأمة أو أكثريتها الساحقة أن مصلحتها تقضي بالابتعاد عن علي وأهل بيت النبوة، وبموالاة السلطة حرصاً على مصالحها وأرزاقها والمنافع المرتقبة من تعاونها مع السلطة الإنقلابية.

ومعنى ذلك أن السلطة الإنقلابية قد نجحت نجاحاً ساحقاً بمحاربة علي وأهل بيت النبوة اجتماعياً، مثلما نجحت بنقض الحكم الإلهي! وبمعنى آخر لقد ارتد الناس على أعقابهم! وصار علي بن أبي طالب مجرد رجل لا حول بيده ولا قوة، وليس معه إلا أهل بيته بمواجهة دولة قوية مترامية الأطراف بيدها الأموال والسلطة والنفوذ، وعندها أقوى جيوش العالم!

بهذا المناخ تحرك علي بن أبي طالب وأهل بيت النبوة مسلَّحاً بالشرعية وهو يعلم علم اليقين استحالة النجاح، لكنه يريد أن يقيم الحُجّة على الذين ارتدوا على أعقابهم!

فلم يغدُ عليه إلاّ ثلاثة

قال اليعقوبي في تاريخه[1]، وابن أبي الحديد في شرحه[2]:

اجتمع جماعة إلى علي بن أبي طالب يدعونه للبيعة فقال لهم: «اغدوا علي محلقين رؤوسكم»، فلم يغد عليه إلا ثلاثة! هذا يعني أنّ الأمة قد وقفت على الحياد تنتظر من يغلب حتى تكون معه.

علي وزوجته وابناه يطوفون على بيوت الأنصار

حمل علي زوجته فاطمة ـ الزهراء ـ بنت محمد، وقاد ابنيه الحسن والحسين وطاف بهم على بيوت الأنصار بيتاً بيتاً، يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة الإنتصار، فنسي الأنصار بيعتهم لرسول الله بأن يحموه ويحموا ذريته كما يحمون أنفسهم وذراريهم، وتذكروا فقط بيعتهم لأبي بكر فقالت الأنصار: «قد سبقت بيعتنا لهذا الرجل ولو كان ابن عمك سبق إلينا ما عدلنا به»[3].

وهكذا تأكدت حقيقة أن الناس مع من غلب، وأن علياً بن أبي طالب وحيد، ليس معه إلا أهل بيته، وهكذا صار على الشرعية أن تتصارع مع الواقع، فإذا غلبت الشرعية صفَّق الناس، وأكلوا من ثمارها، وإذا غلب الواقع صفَّق الناس له، وأكلوا من مائدته!

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٠٥.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢/ ٤.

(٣) راجع كتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة ١/ ٢٨، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة/ ١٢١.

الحلّ الذي ارتآه الإمام

علم الإمام بالردّة السياسية عن الإسلام، وبقوّة القوى المتحالفة التي تدعم هذه الردّة السياسية عن الإسلام، وأن بطون قريش كلها الـ٢٣، مهاجرها وطليقها، ومعهم المنافقون والمرتزقة من الأعراب يؤيدون الإنقلاب، ويقيمون تحالفاً وثيقاً مع الانقلابيين، وأن هذا التحالف قد استقطب أعداداً كبيرة من الأنصار رغبة أو رهبة، وأن قسماً من الأنصار قد تورَّط بالفعل مع الانقلابيين، وأنه ليس له رافد ولا معين إلا أهل بيته، فقدَّر الإمام أن المواجهة مع الذين غصبوه حقه، بهذه الظروف انتحار حقيقي، ومدمِّرة له وللإسلام، بوصفه مستودع علم النبوة، ومدمِّرة لأهل بيت النبوة باعتبارهم شجرة النبوة، والثقل الأصغر، ونجوم الهدى وسفن النجاة.

لقد استنفد الإمام كافة الجهود للحصول على النصرة أو الإنتصار، ولم يجدهما. عندئذٍ قرر الإمام أن يقعد في بيته، وأن يحتج على الانقلابيين احتجاجاً، لا يفرق المسلمين ولا يوهن الدين، وأن يسلِّم بالأمر الواقع ما سلمت أمور المسلمين، فبقي الإمام في بيته ستة أشهر لم يبايع الإنقلابيين، ولم يبايع أي هاشمي[1]، وهكذا ابتعد الإمام عن المواجهة غير المتكافئة، إذ لو واجههم بالقوة لقتلوه وقتلوا ابنيه، ويعدها تذيع وسائل إعلام الدولة أن علياً بن أبي طالب وابنيه ماتوا على الشرك فهم «في ضحضاح من النار مثل أبي طالب». ومع الأيام تنجح وسائل الاعلام بتحويل الشائعات الكاذبة إلى قناعات مخزية يتبنّاها العامة كأنّها وحي من الله، ويومها ستتاح الفرصة أمام طلاب الدنيا ليحرِّفوا الدين على هواهم، وأن يتقوَّلوا على الله ورسوله دون أن يجدوا رجلاً واحداً يقول لهم: إن هذا تَقَوُّل! وإن الصحيح غير ما تتقوَّلون.

ثم لنفترض أن الإمام وجد فئة تقاتلهم معه، فسيقاتل الانقلابيون حتى يغلبوا الإمام أو يقتلوه، لأنهم قد صمّموا على نقض عرى الإسلام عروة عروة بادئين بالحكم. لقد ذهل الإمام من موقف الأكثرية الساحقة من الأمة، ومن انحراف هذه

---

(١) راجع أنساب الأشراف للبلاذري ١/٥٨٧، وتاريخ الطبري ٢/٤٤٨.

الأكثرية، لذلك صمّم الإمام على التصدي للانحراف سلمياً، وتكوين كوادر علمية تفهم الحقائق الشرعية وتُفَهِّمها للناس، وبدأ الإمام بتكوين نواة لقاعدة شعبية تفهم الإسلام على حقيقته وتتصدى لكشف ألاعيب الطامعين بالسلطة وتحريفاتهم، وكعمل عاجل قرر الإمام التركيز على إيجاد كوادر علمية يعلِّمها علم النبوة لتنقله إلى الأجيال اللاحقة من غير تحريف، فجلس في بيته، يجيب إذا سُئِلْ، ويهدي إذا استهدي، وينصح إذا استنصح، بعد أن رأى بأم عينه أول عروة من عرى الإسلام تحل!

التركيز على إطفاء نور الإمام

بعد أن نجحت السلطة بأغتصاب منصب الإمامة والخلافة من بعد النبي، وتجريد الإمام الشرعي وأهل بيت النبوة من كافة ممتلكاتهم وحرمانهم من تركة الرسول ومن المِنَح التي أعطاها لهم حال حياته ومن تجريدهم ومن والاهم من كافة حقوقهم السياسية، ومن حرمانهم ومن والاهم من كافة مناصب الدولة والوظائف العامة، عمدت السلطة بعد ذلك رسمياً فمنعت من كتابة ورواية أحاديث الرسول. وكانت أولى مشاريع أبي بكر أن جمع الناس بعد وفاة نبيهم، وخطب فيهم قائلاً: «إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديثاً تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً!، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله»[1] وكان أبو بكر قد كتب بخط يده قرابة ٥٠٠ حديث لذلك رأى أن من الحكمة أن يتخلص منها فقام بإتلافها.

وعندما آلت الخلافة لعمر كان أول مشاريعه أن طلب من الناس وناشدهم ليأتوه بأحاديث الرسول التي كتبوها، وظن الناس أنه يريد أن يجمعها في كتاب، فأتوه بها، فلما وضعت بين يديه أمر بتحريقها وحرقت فعلاً [2]. وفي كنز العمال

---

(١) راجع تذكرة الحفاظ للذهبي ١/٢ ـ ٣. (حديث المؤلِّف عن الطبعة الأولىٰ من الكتاب).

(٢) راجع الطبقات لابن سعد ٥/١٤٠.

ومنتخبه[1] وإنه ما مات عمر؛ حتى بعث إلى أصحاب الرسول فجمعهم من الآفاق وقال لهم: «ما هذه الأحاديث التي أفشيتم عن رسول الله؟! ثم منعهم من الخروج ليبقوا تحت رقابته»، وروىٰ الذهبي في تذكرة الحفّاظ[2] أن عمر حبس ثلاثة بتهمة أنهم أكثروا الحديث عن رسول الله.

ولما آلت الخلافة لعثمان كان أول مشاريعه أن أصدر مرسوماً يقضي بعدم جواز رواية أي حديث لم يسمع به في عهد أبي بكر وعمر[3]. ولما آلت الأمور إلى معاوية، ودانت له البلاد، وانقاد له العباد طوعاً وكرهاً أوضح علناً غاية الخلفاء من منع رواية وكتابة أحاديث الرسول ومن حرقهم للمكتوب منها، وكان معاوية واضحاً وصريحاً عندما أصدر مرسوماً ملكياً بعد عام «الجماعة» وأرسل نسخاً من هذا المرسوم إلى كل عماله؛ حيث جاء فيه وبالحرف «أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته»[4].

فمعاوية أَبرَزَ بيت القصيد، والغاية من منع كتابة أحاديث الرسول، ومن إحراق المكتوب منها حتى لا ينتشر فضل أبي تراب وأهل بيته، وحتى لا يعرف المسلمون حقَّهم الثابت شرعاً بقيادة الأمة، وحتى يخفوا آثار جريمة اغتصاب السلطة والاستيلاء عليها بالقوة والتغلّب.

وحملاً على المعنى وتشكيكاً بالأحاديث التي وصلت إلى الناس رغم الحصار، أشاع قادة الإنقلاب أن الرسول بشر يتكلم في الغضب والرضى، ولا ينبغي أن يحمل كل كلامه على محمل الجد، ولا ينبغي أن يكتب![5].

---

(١) جاء في كنز العمّال ٥/٢٣٩ حديث ٤٨٦٥، ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد ٤/٦١.

(٢) ١/٢ ـ ٣.

(٣) راجع منتخب كنز العمّال بهامش مسند الإمام أحمد ٤/ ٦٤.

(٤) كما روى ذلك المدائني في كتابه الأحداث، ونقله عن ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ص ٥٩٥ ـ ٥٩٦ تحقيق حسن تميم.

(٥) راجع سنن أبي داود ٢/١٢٦، وسنن الدارمي ١/١٢٥، ومسند أحمد ٢/١٦٢ و٢٠٧ و٢١٦، ومستدرك الحاكم ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦، وجامع بيان العلم لابن عبد البر ١/ ٨٥.

كما أشاع قادة الانقلاب أنَّ الرسول لم يستخلف أحداً، وأنه قد خَلّىٰ على الناس أمرهم، وأوّل من أطلق هذه الشائعة أبو بكر[1] حيث صرّح أمام أركان دولته وأمام العباس بقوله. . . فمنّ الله تعالى بمقامه بين أظهرنا حتى اختار الله له ما عنده، فخلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم. . . فاختاروني ثم جاء عمر بن الخطاب فكرر الشائعة الأولى محاولاً تجذيرها وأخرج أبو نعيم في حليته[2]، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإمارة، باب الإستخلاف وتركه ـ، والبيهقي في سننه، وابن الجوزي في سيرة عمر: أن ابن عمر قال لأبيه إن الناس يتحدَّثون أنك غير مستخلَف ولو كان لك راعي إبل أو غنم ثم جاء وترك رعيته، رأيت أنه قد فرط، ورعية الناس أشد من رعاية الإبل والغنم!! ماذا تقول لله إذا لقيته ولم تستخلف على عباده!. . فقال عمر: وأي ذلك أفعل، فقد سُن لي إن لم أستخلف فإن رسول الله لم يستخلِف، وإن استخلف فقد أستخلِف أبو بكر! وهكذا روى المسعودي في مروجه[3]، إذ أجابه عمر: إن أدع فقد ودع من هو خير مني يعني الرسول، وإن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبا بكر.

فعمر بأقواله هذه يريد أن يقنع نفسه وأركان دولته والناس من بعده، بأن الرسول لم يستخلف علياً بن أبي طالب كما يشيع علي! وأن الرسول قد ترك أمته ولا رأي لها من بعده! وأنت تلاحظ أنه قد وقع في مطب، إذ قد جعل فعل أبي بكر سُنَّة، وجعل فعل النبي سُنّة، وأعطى نفسه صلاحية اتّباع أي السنتين أراد، ولم يفرِّق بينهما!

انظر إلى قول عبدالله بن عمر لأبيه، فهل يُعقل أن يكون راعي الغنم، أو الإبل، أو عبدالله بن عمر، أبعد نظراً، وأدرك لعواقب الأمور من رسول الله وهو صفوة الجنس البشري؟!

ومع الأيام والضغط الإعلامي المتواصل، صارت ولاية علي والأحاديث

---

(١) راجع الإمامة والسياسة ١/ ١٥.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١/ ٤٤.

(٣) مروج الذهب ٢/ ٢٥٣.

التي وردت فيها، وفيه، ضرباً من أوهام المعارضة، وصار حديث الثقلين مستغرباً، وصار علي بأحسن أحواله مجرَّد صحابي مغمور، وصار أهل بيت النبوة مجرَّد أفراد من قريش عشيرة النبي، واختصت نساء النبي بمصطلح (أهل بيت النبوة)، وتألق نجم عائشة وحفصة، وخبا نور علي وأهل بيت النبوة، وركضت الجموع وراء رزقها ونصيبها من السلطة والنفوذ بلا توقّف.

قال حذيفة: «فلقد رأيتنا ابتُلينا حتى إنَّ الرجلَ ليُصلِّي وحده وهو خائف»[1]، وفي رواية مسلم أن الرسول قد قال: «إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا» قال حذيفة: فابتلينا حتى جعل الرجل لا يصلي إلا سراً[2].

لقد أعمل الحكام أيديهم فعدَّلوا، وبدلوا بالإسلام، وأحكامه، حتى صارت للحكّام أحكام جديدة في كل أمر من الأمور، أو منظومة حقوقية تقف جنباً إلى جنب مع المنظومة الإلهية التي صارت قريبة ومختلفة تماماً عن منظومة الحُكّام. وصار النبي مجرد رمز، وصارت النبوة مجرّد وسيلة للملك، وصارت الفتوحات طريقاً للشرك، وأسلوباً لتوسيع رقعة الملك.

* * *

(١) راجع صحيح البخاري ٢/ ١٨٠ ـ باب كتابة الإمام الناس ـ ح٣٠٦٠.
(٢) راجع صحيح مسلم ٢/ ١٧٩، ومعالم الفتن سعيد أيوب ١/ ٤٠٧.



الفصل الرابع
استقرار الأمور لصالح السلطة المتغلبة

قبض أركان حزب عمر على السلطة بيدٍ من حديد، وصارت السلطة عملياً بيد بطون قريش الـ٢٣ وبيد مَن والاهم، وهي البطون نفسها التي قاومت محمداً وحاربته لمدة ٢٣ عاماً، وبدون لين ولا هوادة قمعت السلطةُ أعداءَها في الداخل، وقهرتهم قوة قوة، ودانت لهم البلاد نفسها التي دانت لرسول الله، وانقاد لهم كل العباد الذين انقادوا لرسول الله طوعاً أو كرهاً، ووجدت السلطة تحت تصرفها جيشاً من أعظم جيوش العالم مدرَّباً ومؤهَّلاً للغزو ومسلَّحاً بحلم الثروة،وأحلام النفوذ، ومتعطشاً لحرب تحت مظلة الجهاد. فحزمت السلطة أمرها وقررت أن توجه جيشها لغزو الدولتين الأعظم معاً وبوقت واحد، ففي ذلك قطع لدابر الخلافات الداخلية، وإشغال الناس عن الجدل، واستجابة لطموحاتهم وأحلامهم بالثروة والنفوذ وتحت مظلة نشر دين الله والجهاد في سبيله. وهكذا كان؛ إذ توجهت الجيوش بقيادة أبناء البطون ومن والاهم واشتبكت مع جيوش الدولتين الأعظم.

موت الخليفة الأول والعهد لأبي حفص

مرض الخليفة الأول أبو بكر مرضاً شديداً، في الوقت الذي كانت فيه جيوشه تشتبك مع جيوش الدولتين الأعظم بحرب مريرة، فدعا أبو بكر عثمان، وقال له: أكتب إنّي قد ولّيت عليكم. . ثم أغمي عليه من شدة الوجع فكتب عثمان «عمر» أي أن عثمان أكملها من تلقاء نفسه، ولما أفاق أبو بكر طلب من عثمان أن يقرأ له ما كتب، ولما قرأ عثمان، ارتاحت نفس الخليفة، وقال له: «لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها»[1].

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٣/٤٢٩، وسيرة عمر لابن الجوزي ص ٣٧، ونظام الحكم للقاسمي =

وخرج شديد مولى أبي بكر ومعه العهد الذي يحمل استخلاف عمر، وهرول عمر بين يَديّ حامل العهد، وأخذ عمر يقول: أيها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله، إنه يقول إنما لم آلكم نصحاً[1].

قارن بربك بين موقف عمر عندما أراد رسول الله أن يكتب عهده، وبين موقف عمر عندما كتب أبو بكر عهده! فعمر قال لرسول الله: أنت تهجر ولا حاجة لنا بكتابك، بينما تراه يهرول بين يديّ حامل العهد وهو يقول: اسمعوا وأطيعوا لخليفة رسول الله! قارن واستنتج كما يحلو لك. وسمع الناس عهد الخليفة وترحموا عليه بعد أن مات، وهتفوا باسم الخليفة الجديد عمر بن الخطاب.

الخليفة الثاني عمر بن الخطاب

وصار عمر بن الخطاب خليفة بعهد من الخليفة السابق، وقطف عمر ثمرة كفاحه الطويل، وورث دولة مستقرة أركانها من أبناء البطون الـ٢٣ ومن يواليهم، وكلهم كاره لولاية أهل بيت النبوة عامة ولعلي خاصة، «وأتته الخلافة منقادة إليه تجرجر أذيالها». لو شاء عمر لكان هو الخليفة الأول، لكنه أراد أن يكون أبو بكر هو الواجهة وأن يدعمه حتى تستقر الأوضاع، فيرث دولة مستقرة لا متاعب فيها.

لما كتب أبو بكر لعيينة بن حصن والأقرع بن حابس أخذا الكتاب إلى عمر ليشهد عليه، فلما قرأ عمر كتاب أبي بكر لم يعجبه فأخذه منها ثم تفل فيه ومحاه، فرجعا إلى أبي بكر، وقالا له: والله ما ندري أأنت أمير أم عمر؟ فقال أبو بكر: بل هو لو شاء كان! فجاء عمر إلى أبي بكر وقرَّعه على هذا الكتاب فقال أبو بكر: «فلقد قلت لك إنك أقوى على هذا الأمر مني لكنك غلبتني»[2].

وأصاب عمر بذلك، لأنه قد ورث دولة مستقرة، مما أتاح له فرصة للتعديل

= ص ١٧٦ ـ ١٧٧، وتاريخ إبن خلدون ٢/ ٨٥.

(١) راجع تاريخ الطبري ٢١٣٨/١ ـ طبعة أوروبا.

(٢) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ٢/ ٧٨٩ ـ ٧٩٠ تحقيق حسن تميم.

والتبديل والتنظير، والتخطيط لمستقبل الدولة ومستقبل الخلافة.

لقد رتب عمر الأمور ترتيباً محكماً، بحيث يستبعد علي بن أبي طالب عن الخلافة، ويستبعد أهل بيت النبوة، فلا يكون منهم خليفة قط فتصبح الأمور تماماً كما رتّب لها، النبوة لبني هاشم لا يشاركهم فيها أحد، والخلافة لبطون قريش لا يشاركهم فيها هاشمي كما وثقنا ذلك في الصفحات السابقة، لأنه يرى أن هذا الترتيب هو العدل والتوفيق والصواب! وقد وثقنا ذلك أيضاً.

لقد تأكد عمر بن الخطاب أن قيادات الجيش وحكام الولايات والأقاليم كلهم، من أبناء بطون قريش الـ٢٣، أو ممن والاهم، وأن هؤلاء القادة والحكّام المعارضين بشدة لولاية علي بن أبي طالب، ومن الكارهين لولاية أهل بيت النبوة عموماً.

وقد تأكد عمر أنه ليس في قادة جيشه ولا حكام أقاليمه رجل واحد يقبل بولاية علي بن أبي طالب أو ولاية أي شخص من أهل بيت النبوة. وتأكّد عمر أن المال والنفوذ والسلطان والإعلام بيده، وبيد قادته وحكام أقاليمه، وأن علياً بن أبي طالب وأهل بيت النبوة ليسوا أكثر من أفراد من رعايا دولته يكافحون ليدركوا العيش، وحال من يواليهم ليس أقل سوءاً من حالهم.

ترتيبات عمر بن الخطاب للخلافة من بعده

لما مات أبو عبيدة وقع اختيار أبي بكر وعمر على عثمان ليكون الخليفة الثالث، والترتيب أن يعهد أبو بكر بالخلافة لعمر ويعهد عمر بالخلافة لعثمان، فعثمان أموي، وموتور، وثائر. لقد قتل علي والهاشميون سادات بني أمية، لذلك فإن عثمان كارهٌ لولاية علي وولاية أهل بيت النبوة ومن أجل هذا كان عثمان عضواً مؤسِّساً في حزب عمر، ولهذا كان موضع سر أبي بكر وعمر فهو الذي كتب عهد أبي بكر لعمر كما رأينا، وهو الذي قال له أبو بكر: «لو كتبت نفسك لكنت أهلاً للخلافة» كما وثّقنا سابقاً، وعثمان كان أول زعيم من زعماء المهاجرين قد بايع أبا بكر، وتبعه قومه الأمويّون فبايعوا. وكان عثمان موضع سر عمر فكان الناس إذا

أرادوا أن يسألوا عمر شيئاً رموه بعثمان، وكان عثمان يدعى في إمارة عمر بالرديف، والرديف بلسان العرب هو الرجل الذي يلي الرجل. والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم[1].

ثم إن عثمان أموي، والأمويون صار لهم نفوذ كاسح في دولة البطون، ولا يصعب على رجل مثل عمر أن يلحظ ذلك، وتخطيط عمر ينصب على إعداد الأمويين لمواجهة أهل بيت النبوة من بعده، ثم ها هو عمر يقول بصريح العبارة أن الخليفة من بعده هو عثمان، أخرج الطبري في (الرياض النضرة)[2]، كما أخرج أبو زرعة عن ابن عمر «أنه لما طعن عمر قلت يا أمير المؤمنين لو أجهدت نفسك وأمرت عليهم رجلاً.. فقال عمر: والذي نفسي بيده لأردنّها للذي دفعها إليَّ أول مرة». والذي دفعها إليه أول مرة هو عثمان حيث أن عثمان هو الذي كتب عهد أبي بكر باستخلاف عمر، ولما أغمي على أبي بكر كتب عثمان اسم عمر كما أسلفنا، لأن هذا هو الاتفاق المبرمج بين الثلاثة وبين أركان الحزب والدولة، فالمؤكَّد أن عمر قد استخلف عثمان، وما قضية الشورى إلا لإثارة الناس ضد علي وأهل بيت النبوة، ليحملوا راية المعارضة لولاية أهل بيت النبوة إذا سقطت الراية من عند عمر بالموت!!

عهد عمر لعثمان والشورى العجيبة

لقد أَوضحنا أن عثمان بن عفان كان موضع سر أبي بكر وموضع سر عمر، وقد وقع اختيار الخليفتين عليه بعد موت أبي عبيدة ليكون الخليفة الثالث، وذلك لدوره كعضو مؤسِّس بالحزب، ولأنه من بني أمية. وبنو أمية هم القوة القادرة على مواجهة أهل بيت محمد بعد وفاة عمر. وأوضحنا أن عمر بن الخطاب، وهو على فراش الموت، قد أقسم بالله أن يردها إلى الذي دفعها إليه أول مرة، وهو عثمان بن عفان، وكان هذا التوجه العُمَريُّ معروفاً لدى العامة والخاصة، لذلك كان الناس

---

(١) راجع نظام الحكم لظافر القاسمي ص٢١٨ ـ ٢٢٢، وكتابنا: النظام السياسي في الإسلام ١٥٩ وما بعدها.

(٢) الرياض النضرة ٢/ ٧٤.

يسمّون عثمان في عهد عمر بالرديف، والناس على ثقة تامة بأن الخليفة من بعد عمر هو عثمان بن عفان. لقد عهد عمر عملياً بالخلافة من بعده لعثمان بن عفان.

الشورىٰ!

بعد أن عهد عمر بالخلافة لعثمان بن عفان، وعرف أركان دولته أنَّ الخليفة من بعده هو عثمان اختار ستة من الصحابة، وصفهم بقوله: «إنَّ رسول الله مات وهو راضٍ عنهم». وفي ما بعد جعلتهم وسائل الاعلام من المُبَشَّرين، وهم عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام، وطلحة، وعلي بن أبي طالب». وقال عمر: إنّ الخليفة يجب أن يكون واحداً من هؤلاء الستّة، وأمر صُهيب أن يصلي بالناس ثلاثة أيام، وأن يدخل هؤلاء الرهط بيتاً ويقوم على رؤوسهم فإذا اجتمع خمسة، وأبى واحد فعلى صهيب أن يقطع رأس هذا الواحد. وإذا اتفق أربعة وأبى اثنان، فعلى صهيب أن يضرب عنقيّ الاثنين، وإن رضي ثلاثةٌ رجلاً، وثلاثة رجلاً آخر؛ فعليه أن يكون مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ويقتل الثلاثة الآخرين.

فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن، وعبد الرحمن صهر عثمان، هؤلاء ثلاثة، فلو وقف الثلاثة الآخرون معاً وأيدوا علياً لم يُجدِ تأييدهم نفعاً، لأن تعليمات الخليفة واضحة، فالفيصل هو عبد الرحمن بن عوف، وسعد تابع لابن عمه وعثمان مع نفسه، لذلك فإن الخليفة بالضرورة هو عثمان. وحسب الاتفاق يقوم عثمان بالعهد إلى عبد الرحمن بن عوف في ما بعد لأنه من المؤسِّسين لحزب عمر، وأحد الذين ردّدوا خلفه: «إن رسول الله يهجر»! وهو من الكارهين لولاية علي بن أبي طالب خاصة، ولولاية أهل بيت النبوة عامة، وكان أحد الرجال البارزين الذين شرعوا مع عمر بن الخطاب بإحراق بيت فاطمة بنت محمد على من فيه وهم أحياء، لذلك فإن عمر يعلم أن اللعبة تحت السيطرة تماماً.

لماذا هذه الشورى إذاً!!

قدَّر عمر أن عثمان قد يموت في وقت يطول أو يقصر، عندئذٍ سيغلب علي بن أبي طالب الناس، ويكون الخليفة من بعد عثمان، وتنتقل له الخلافة بيسر وسهولة، وهنا يقع المحذور على حد تعبيره، ويجمع الهاشميون النبوة والخلافة معاً، وهذا لا يجوز حسب منطق عمر بن الخطاب، لذلك اختار خمسة أشخاص لينافسوا علياً، وبموت عثمان، على علي بن أبي طالب أن يتنافس مع أربعة منهم، وهكذا يضمن عمر بن الخطاب هزيمة علي، وعدم فوزه بالخلافة بعد موت عثمان.

ومن جهة ثانية، فعندما يقرن عمر بن الخطاب علياً بهؤلاء الرجال الخمسة فإنه يصغِّر من منزلته، ويرفع من مستوى الخمسة إلى مستواه! ثم إنه يرغم أنفه بطريقة غير مباشرة، فإذا كان علي يرى أنه أولى بالخلافة من أبي بكر ومن عمر نفسه، فكيف تكون مشاعره عندما يقرن بهؤلاء الأشخاص!؟

ومن جهة ثالثة، فإن عمر يريد بعد موت هؤلاء الستة أن يتولى أبناء الخمسة منافسة أبناء علي بن أبي طالب، وهكذا يقيم عمر بن الخطاب حلفاً ضمنياً من الخمسة ضد علي حال حياتهم، وحلفاً ضمنياً من أبناء الخمسة ضد أبناء علي بعد موت الستة. وفي ذلك تجذير لوحدة البطون ضد أهل بيت محمد، وهذا هو القصد من فكرة الشورى.

لماذا قبل علي أن يدخل معهم؟!

علي بن أبي طالب يعرف قواعد اللعبة، ويعرف مقاصد عمر ومراميه، فإذا قال: إنه لا يريد أن يدخل معهم في الشورى، فمعنى ذلك أنه لا يريد الخلافة، وفي ذلك اعتراف ضمني بأن الرسول لم يعينه لولاية الأمر والخلافة من بعده، وأن أبا بكر وعمر لم يبتزّا حقه بالإمامة والخلافة على حد تعبير معاوية! لذلك رأى الإمام أن يدخل في الشورى ويقيم الحجة على القوم، وكانت فرصة أمام عليٍ ليفضح أركان الدولة، وليذكِّر بحقّه الشرعي في الإمامة من بعد النبي، وليذكِّر

بحالة الغصب التي تعرض لها؛ حيث قال لأهل الشورى: «بايع الناس لأبي بكر وأنا والله أولى بالأمر منه، وأحق به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناسُ كفاراً يضرب بعضهم رقابَ بعضٍ بالسيف، ثم بايع الناسُ عمر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به منه فسمعتُ وأطعتُ مخافة أن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضُهم رقاب بعض بالسيف، ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان إذاً أسمعُ وأُطيع، إن عمَر جعلني في خمسةِ نفرٍ أَنا سادسهم، لا يعرف لي فضلاً عليهم في الصلاح ولا يعرفونه لي كلنا فيه شرعٌ سواء!! وأيْمُ الله لو أشاء أن أتكلم ثم لا يستطيع عربيُّهم ولا عجميُّهم ولا المعاهد منهم ولا المشرك رد خصلة منها لفعلت، نشدتكم بالله أيها النفر جميعاً أفيكم أحد آخىٰ رسول الله غيري؟، قالوا: اللهم لا»[1].

وفي الصواعق المحرقة قال: روى الدارقطني أن علياً قال لهم: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «يا علي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة غيري؟ قالوا: لا. فقال علي: أفيكم أحد قال له رسول الله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي غيري؟ قالوا: لا. فقال علي: أفيكم من أؤتمن على سورة براءة وقال له رسول الله: إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني غيري؟ قالوا: لا»[2].

إذاً، كانت فكرة قبول الدخول مع أهل الشورى فكرة عبقرية، لقد أقام الإمام الحجَّة على القوم، وخالفوا رسول الله مع سبق الإصرار، وكانت مناسبة لتسريب بعض الحقائق الشرعية للأجيال القادمة. ولما أعلن عبد الرحمن انتهاء التمثيلية، واختياره لعثمان بن عفان، قال علي لعبد الرحمن: حبوته حبو حبو دهر ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون.

---

(١) راجع كنز العمال ٥/ ٧٢٥.

(٢) راجع الصواعق المحرقة ص ٢٤، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢/ ٦١.

من هو علي؟ ومن هم أهل البيت؟

قال المقداد بن عمرو: يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته [يعني علياً]، وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون. فقال عبد الرحمن: لقد اجتهدت للمسلمين، فقال المقداد: ما رأيت مثل ما أوتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيّهم! إني لأعجب من قريش إنهم تركوا رجلاً ما أقول أن أحداً أعلم ولا أقضى بالعدل منه، أما والله لو أجد عليه أعواناً. . فقال عبد الرحمن بن عوف: يا مقداد، اتقِ الله فإني خائف عليك الفتنة. . وكان يسمع هذا الحوار رجل بمستوى المقداد وعبد الرحمن فسأل الرجلُ المقدادَ قائلاً: «يرحمك الله من أهل هذا البيت؟ ومن هذا الرجل؟ فقال المقداد: أهل بيت بنو عبد المطلب، والرجل هو علي بن أبي طالب»[(1)].

عثمان الأموي يصبح خليفة!

بكت الجموع وأركان الدولة زعيمها وحبيبها الخالد عمر بن الخطاب في الوقت نفسه الذي هتفت فيه بأسم زعيمها الجديد عثمان بن عفّان الأموي، لقد ورث عثمان دولة مستقرة، نتيجة تحالف حقيقي بين أبناء بطون قريش الـ٢٣ التي قاومت رسول الله وحاربته طوال ٢١ عاماً، أو ٢٣ عاماً لأن أبا بكر وعمر قد قدّرا أن وحدة هذه البطون ضد ولاية علي وأهل بيت النبوة هي الضمان الوحيد لاستمرار حكم أبناء البطون وتداولهم للخلافة.

ولما قبض عثمانُ على مقاليد الأمور بدأ يخطِّط لضرب التحالف بين البطون الـ٢٣ الذي أوجده الخليفتان، ولجعل الدولة أموية من جميع الوجوه، فَجَمَعَ حوله كل الأمويين الصالح منهم والطالح، بمن فيهم أعداء الله كعمّه الحَكَم بن العاص، وابن عمه مروان بن الحَكَم، وأخوه عبدالله بن أبي سرح، ولم يمضِ وقت طويل حتى صارت الدولة أموية من جميع الوجوه، فلا تجد إقليماً أو ولاية أو مصراً من الأمصار إلا وواليه أموي، أو متشيّع لبني أمية، وانفك التحالف عملياً

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٥/٣٨، والكامل لابن الأثير ٣/٣٧، ومعالم الفتن لسعيد أيوب ١/٤٠٠.

بين أبناء البطون الـ٢٣، وتألّق معاوية، واتسعت إمارته، وزادت ملايينه، وتذكر معاوية نصيحة أبيه وهو يأمر بإطاعة عمر بن الخطاب وأركان دولته «فلا تخالفهم فإنك تجري إلى أمد، فإن بلغته أورثته عقبك»[١]، وتذكر عثمان نصيحة أبي سفيان عندما خاطب الأمويين في بيت عثمان قائلاً: «يا بني أمية تلقفوها تلقف الكُرَة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة». وذلك في الوقت نفسه الذي وقف فيه أبو سفيان على قبر حمزة وخاطبه قائلاً: «يا أبا عمارة، إن الأمر الذي عليه أمس قد صار في يد غلماننا اليوم يتلعَّبون به»[٢]، والذي قاله أبو سفيان حقيقة، فقد صارت الخلافة أموية بيد غلمان بني أمية يلعبون بها. وبمعنى آخر فإن الخلافة صارت بيد بطن من أشد بطون قريش بغضاً لأهل بيت النبوة، قال رسول الله: «إن أشدَّ قومنا لنا بغضاً بنو أُميّة، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم»[٣].

لقد صار الأمويون طبقة حاكمة ومميزة، فبيدهم أموال الدولة، ونفوذها، وسلطانها، وتحت سيطرتهم وسائل إعلامها! ولم يجد مروان بن الحكم غضاضة في أن يصرِّح علناً ويخاطب الصحابة قائلاً: شاهت الوجوه تريدون أن تنزعوا منا ملكنا». كما يروي ابن الأثير في تاريخه قبيل مقتل عثمان. مع أن رسول الله قد وصف مروان هذا «بأنه الوزغ ابن الوزغ اللعين ابن اللعين». وعلى الرغم من وضوح بيان الرسول إلا أن عثمان بن عفان زوَّجه ابنته، وجعله رئيساً لوزرائه، ومن بعد صار خليفة رسول الله! والجد الأعظم لملوك أو خلفاء بني أمية! لقد اختلّت المعادلة، والتحالف الذي أوجده أبو بكر وعمر بين بطون قريش الـ٢٣ نقض فكثرت الشكوى وكثر التذمّر، وجهر أبناء البطون الأخرى: الـ٢٢ بشكواهم وتذمّرهم، وتبعتهم الجموع، فتجرأت على الخليفة عثمان فقتلته شر قتلة. ولم يستخلف عثمان أحداً. ولأن البطون الـ٢٢ لا طاقة لها بالبطن الأموي، فليس فيهم

---

(١) راجع البداية والنهاية لابن الأثير ٨/٨١٨.

(٢) راجع شرح نهج لابن أبي الحديد ٤/٥١، والإمتاع والمؤانسة ٢/٧٥.

(٣) راجع كنز العمال ١١/١٦٩ حديث رقم ٣١٠٧٤ ـ وقد رواه الحاكم وأبو نعيم في حلية الأولياء ـ.

من يقوى على «تعليق الجرس»[1]، ولأن البطن الأموي هو المسيطر فعلياً على الدولة، ولأن الأقاليم والولايات جميعها محكومة من أمويين أو من موالين لبني أمية، ولأن الأموال جميعها بيد بني أُمية بالإضافة للنفوذ، ولأن الأنصار قد اكتشفوا أنهم قد فرَّطوا في جنب الله، وآذوا رسوله يوم خذلوا علياً، ولأن علي بن أبي طالب هو الأقوى والأقدر، والأجدر بمواجهة بني أمية ولأن قسماً آخر من الناس كان يعتقد أن الفرصة لإعادة الشرعية إلى الحكم قد لاحت. لجميع هذه الأسباب؛ هرع الناس إلى علي بن أبي طالب، وألحّوا عليه ليقبل الخلافة، وكان أكثرهم إلحاحاً طلحة والزبير!

إمامة علي بن أبي طالب

كان علي بن أبي طالب يعلم علم اليقين أنه مُقبل على قيادة دولة للأمويين فيها مواقع راسخة، وأن الأمويين كافة ضده، وكان يعلم أن أبناء بطون قريش الـ٢٢ ما قدَّموه إلاَّ لأنه الأقدر على المواجهة، فإذا فعل، فإنهم سينفضون من حوله ويتحالفون مع الأمويين من جديد ضده، وأنه لن يبقى معه إلا الأنصار، والمخلصون من الصحابة، أما الطلقاء والمنافقون، وأبناء البطون والمرتزقة من الأعراب ففي اللحظة الحاسمة سيلتحقون بالمعسكر الأموي. وفي أحسن الظروف فإنه سيقود دولة جميع حكام أقاليمها وولايتها وأركانها من بني أمية، فإمّا أن يكون ألعوبة بأيديهم، أو يدخل في مواجهة رهيبة معهم، وغير معروفة النتائج. إنه أمَامَ هول حقيقي، فإما أن يقول إنه لا يريد الخلافة والإمامة، فيتداعى الجهد الذي بذله لإقامة الحجّة على القوم، ويسجِّل عليه أنه قد أحجم عن مواجهة الهول وإنقاذ القيم الإسلامية، وإما أن يواجه الأخطبوط الأموي الرهيب الذي أنشب أظفاره في الأمة والدولة، ووطَّد أمره خلال الآونة الواقعة بين وفاة النبي ومقتل عثمان، وكان الإمام علي خلالها محاصراً من جميع الوجوه. وأمام إلحاح القوم،

---

(١) إشارة إلى حكاية الهر والفئران، التي تمكن فيها فأرقوي من تعليق الجرس في رقبة الهر ليُسمع صوته عندما يأتي.

قَبِلَ علي، وبايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر، إضافة إلى سعي الناس، وجوههم وعامتهم، إليه ومبايعتهم له. ونجح الإمام نجاحاً ساحقاً في ظروف ما كان بإمكان غيره أن ينجح فيها، ودانت له البلاد، وانقاد له العباد إلا معاوية بن أبي سفيان، وبنو أمية، وعائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير، وتمكّن الإمام من هزيمة أم المؤمنين، ومن قمع فتنة طلحة والزبير، وبقي في حالة مواجهة دموية مع معاوية ومع الأمويين. لقد أعد عمر بن الخطاب معاوية لهذه المواجهة، وأطلق يده في بلاد الشام يجمع ما يشاء، ويتصرف كيف ما يشاء بغير رقيب ولا حسيب، ليستعد للمواجهة مع علي بن أبي طالب قاتل أخيه وجده وخاله وابن خاله وأحد عشر رجلاً من بني عمومته، وليستعد للانتقام من علي ومن ذريته وذرية النبي. وعلىٰ الرغم من استعدادات معاوية الطويلة، إلا أن الإمام أوشك أن يسحقه ويهزمه لو أُطيع!

واكتشف أبناء البطون الـ٢٢، والمرتزقة من الأعراب والمنافقين، أن الإمام سينتصر على الأمويين، وبعد انتصاره، وفي وقت يطول أو يقصر، سيحطم التحالف بين البطون الـ٢٢ الذي بناه عمر وأبو بكر، وستعود الولاية والإمامة لمحمد ولأهل بيت محمد، يومها تضيع جهود هذا التحالف هباءً! بهذا الوقت بالذات؛ أعلن معاوية بالسر والعلانية أنه على استعداد لإعادة التحالف الذي كان قائماً أيام أبي بكر وعمر ولإعادة التوازن الذي اختل في زمن عثمان لصالح الأمويين، وبدأ أبناء البطون بنفث سمومهم، وتثبيط الهمم في معسكر الإمام، وبدأت المزايدة عليه، وأخذوا يخالفون أوامره وتوجيهاته، ويجادلونه بالواضحات، وتبعهم المنافقون والمرتزقة من الأعراب، وفتح معاوية خزائن أمواله التي جمعها خلال عهد ولايته الطويل، وأَشْهَر سلاح المال الجبّار في تلك الأيام، في الوقت نفسه الذي سيَّر فيه كتائبه الإرهابية تقتل، وتحرق، وتنهب، وتبطش، بدون رحمة بكل من كان في طاعة علي، ولم يجد معاوية وقادته حرجاً من قتل الأطفال، والنساء، والشيوخ، وحرق البيوت على من فيها وهم أحياء، كان معاوية يقاتل ليثأر من علي ومن ذريّة النبي الذين قتلوا أحبابه في بدر، وكان يقاتل ليكون ملكاً[1]

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٦/٧٧ ـ ٨١، والكامل لابن الأثير ٣/١٦٢ ـ ١٦٧، والإستيعاب لابن =

وفجع قلب الإمام من فضائح معاوية، واستنهض الهمم، ولكنها لم تتحرّك[1]. ومع هذا لم يستسلم إنما قرر الانتقام من معاوية، فدعا للجهاد ووزّع الرايات، وقال إنني معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرواح إلى الجنة فليخرج.

في هذا الوقت بالذات كان التخطيط للمؤامرة على قتل الإمام قد اكتمل، وبينما كان الإمام داخلاً للمسجد لأداء صلاة الفجر في صبيحة أحد أيام شهر رمضان المبارك انقض عليه أشقاها عبد الرحمن بن ملجم فضربه بغدر، وسقط الإمام على الأرض، الإمام الذي لم يسقط قط، وعالج الموت ثلاثاً، ثم هوى النسر من السماء، وخرَّ الفرقد الذي ملأ الأسماع والأبصار والقلوب طوال حياته المباركة. وعاش ابن هند أسعد لحظات حياته، ولو تمكن وأمه لشقًّا صدر الإمام ولأكلا كبده ومثّلا به كما فعلا بحمزة عمّ النبي ﷺ!

كان حقبة حكم الإمام ـ بالرغم من الفتن التي فجرها أعداء الله ـ فرصة ذهبية ليكشف الإمام أبعاد المؤامرة التي حاكتها بطون قريش الـ٢٣ ضده وضد أهل بيت النبوة وضد الإسلام، مثلما كانت فرصة ليعلم الناس حقيقة الإمام وقدراته المميزة، وعرف الناس طبيعة الحكم الإسلامي، وطبيعة العدل الإسلامي، وطبيعة العلاقة بين الإمام والمواطنين.

إمامة الحسن بن علي وولايته

تمت بيعة الإمام الحسن رسمياً، وصار إماماً للأمة وولياً وقائداً لها، وعليه أن يتابع المواجهة مع أعداء الله من حيث انتهى أبوه، وما أن انتهت مراسم العزاء حتى أخذ الإمام يستعد للمواجهة. كان الإمام الحسن يعرف حقيقة الجبهة الداخلية المهزوزة، ويعرف طبيعة معسكره المزعزع، وكان على علم بحقيقة الأوضاع الداخلية، وبموقف أبناء بطون قريش الـ٢٢ وموقف المنافقين والمرتزقة من

= عبد البر ١/٦٥ ـ ٦٦، وتاريخ ابن كثير ٧/٣١٤ ـ ٣٢٢، والغدير للأميني ١١/٣٤ وما بعدها.

(١) راجع كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية ص ٤٩٩.

الأعراب، وبأساليب معاوية القذرة وحملاته الإرهابية المجنونة، وبالأفاعيل العجيبة لسلاح المال الذي استغله معاوية أبشع استغلال، وبانصراف الناس إلى دين معاوية، وبتصميم معاوية على إبادة كل المخلصين لدين الله وإذلالهم. لكن الحسن ابن أبيه ومن المحال أن يستسلم أمام هذه الأوضاع أن فقرَّر أن يبذل كل طاقته، لذلك استدعى قريبه عبيدالله بن العباس، الذي فجعه معاوية بطفليه، وأعطاه رايته وأمره أن يستقبل جيش معاوية، فإن أُصيب فالأمير من بعده قيس بن سعد، وإن أُصيب فالأمير من بعده سعد بن قيس[1].. وسار جيش الإمام، وأشهر معاوية سلاح المال، وبعث رسله إلى عبيدالله وما زال يُمَنّيه حتى خان عبيدالله إمامه، والتحق ومعه نصف الجيش بمعاوية. وسمع الإمام، وبعث رجلاً من بني أسد على رأس ما أمكن جمعه من المقاتلين، وخان القائدُ الجديدُ إمامَه، والتحق بمعاوية بعد أن رشاه.

لقد أدرك الإمام أن الاستمرار بالمواجهة المسلّحة بمثل هذه الظروف المفجعة انتحار حقيقي، وأباده لما تبقّى من المؤمنين الصادقين، ومعاوية يبحث عن الملك والذهب والثأر من أهل بيت محمد، وأغلى غاياته إبادة المؤمنين.

لذلك صمّم الإمام على إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وعلى موادعة معاوية، فلامه الناس فقال الإمام: «والله لو قاتلتُ معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه مسلِّماً، والله لئن أُسالمه وأنا عزيز أحب إليَّ من أن يقتلني وأنا أسير، أو يمن علي فتكون سبة على بني هاشم»[2].

وقال لقوم لاموه «إني خشيت أن يجتث المسلمون من الأرض فأردت أن يكون لله داعٍ»[3]، وقال أيضاً: «لم أفعل ما فعلت إلا بقياً عليكم»[4].

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ١٦/ ٤٠.
(٢) راجع سيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ٣١، منشورات مؤسسة البلاغ ـ بيروت.
(٣) راجع فتوح أعثم ٤/ ١٦.
(٤) راجع سيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ٣٦.

وحقيقة، فإن معاوية على استعداد أن يحارب حتى يبيد جميع المسلمين، أو يقبض على الملك، وليس في معسكر الإمام من هو على استعداد للحرب إلا القليل.

وجرت مفاوضات، ووضع الإمام الحسن شروطاً، وقبلها معاوية وأعطىٰ على ذلك عهد الله، وقدم معاوية إلى الكوفة، ولما انقاد له الناس نكث بعهد الله، وأعلن: «إن كل وعد وعدته أحداً منكم فهو تحت قدميَّ هاتين [أو قدمي هذه]»[1].

خلافة معاوية بن أبي سفيان

أصبح معاوية بن أبي سفيان رسمياً ولياً للمسلمين وخليفة لرسول رب العالمين، ومؤهله الوحيد أنه الغالب، مع أنه هو وأبوه من أئمة الكفر كما يرى بعض المفسّرين لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُم من بعدِ عَهدِهِمْ وَطَعَنُوا في دِينِكُمْ فقاتِلُوا أئِمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة/ ١٢][2].

وأخرج نصر بن مزاحم المنقري في وقعة صفين: أن رسول الله لعن أبا سفيان ومعاوية ويزيد. ويوم أحد لعن أبا سفيان، وفي كل صلاة كان رسول الله يلعن فلاناً وفلاناً وفلاناً، وقد أخرجه السيوطي والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم.. وإلى حقيقة لعن رسول الله لمعاوية أشار محمد بن أبي بكر برسالته التي أرسلها لمعاوية بقوله: «وأنت اللعين ابن اللعين..»[3]. ومعاوية رأس قوم هم الأشد بغضاً لله ولرسوله ولأهل بيته، كما وثقنا في الصفحات السابقة من هذا الكتاب.

المراسيم الملكية

بعد أن استتب أمر معاوية، وصار ملكاً (خليفة) على المسلمين، يحكم بما يريد، «فَرْعَنَ» الرجلُ حقيقة، وفعل ما لم يفعله فرعون بشعبه، فنقض جميع

---

(١) راجع فتوح أعثم ٤/ ١٦١.
(٢) راجع تفسير الطبري ١٠/ ٢٦٢، وتفسير الخازن ٢/ ٢١٨، والآلوسي ١٠/ ٢٦٢.
(٣) راجع مروج الذهب للمسعودي ٣/ ١٤ ـ ١٦.

عهوده التي أعطاها للحسن بن علي، وأصدر سلسلة من المراسيم الملكية الظالمة، ووزعها على جميع عمّاله، وجاء فيها:

١ ـ «برأت الذمّة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيت النبوة». فلو أن مسلماً قد روى أنه قد سمع رسول الله يقول: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، فيعني ذلك أن مثل هذا المسلم مهدور الدم ومن حق أي شخص من شيعة معاوية أن يقتله!

٢ ـ «من قامت عليه البيّنة أنه يحب علياً وأهل بيت النبوة، فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه».

٣ ـ «من اتهمتموه بموالاة عليٍّ وأهل بيت النبوة، فنكِّلوا به، واهدموا داره».

٤ ـ «لا تجيزوا لأحدٍ من شيعة علي وأهل بيته شهادة»!

٥ ـ «لا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاّ وتأتوني بمناقض له في الصحابة»![1].

٦ ـ وسنَّ معاوية سُنَّة لعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل بيت النبوة على المنابر وفي كل صلاة، وطلب من ولاته على الأقاليم تنفيذ ذلك[2].

٧ ـ ولم يجد معاوية غضاضة ولا حرجاً في أن يقتل كل من امتنع عن سب عليٍّ كائناً من كان، كما فعل مع حُجْر بن عدي الصحابي الجليل، وستّة من أصحابه، حيث قتلهم صبراً بمرج عذراء بتهمة أنهم على دين علي، وكما فعل مع الصحابي عمرو بن الحمق الذي أبلت العبادة وجهه[3].

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦ تحقيق حسن تميم تجد النص الحرفي لهذه المراسيم الملكية الآثمة.

(٢) راجع العقد الفريد لابن عبد ربه ٤/ ٣٦٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٣٥٦ و٢/ ٢٢٠ و٣/ ٢٥٨ و٤/ ٥٦ (تحقيق أبو الفضل). وأسد الغابة لابن الأثير ٣/ ١٤٤، ومعاوية في الميزان للعقاد ص ١٦.

(٣) راجع تاريخ الطبري ٥/ ٢٥٣ ـ ٢٨٠، وعيون الأخبار ١/ ١٤٧، والكامل لابن الأثير ٣/ ٣٥٢ ـ ٣٥٧.

٨ ـ وبعد أن قلّم أظافر خصومه، ونكّل بهم أعدَّ العدّة للقضاء على سبط النبي الحسن بن علي حتى لا يبقى شوكة في حلق ابنه وينازعه الخلافة، وأخذ يرتِّب خططه لقتل الحسن بن علي وهو يعلم أنه سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبي من الأمة. قال ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ»: «سَمّهُ معاوية»، وقال الواقدي: «كان معاوية قد تلطّف لبعض خدمه أن يسقيه سُمّا»[١]. وقال المسعودي[٢]: «إن معاوية وراء سمّ الحسن»، وقال أبو الفرج الأصفهاني[٣]: «سَمّهُ معاوية». وقال المدائني مثل ذلك[٤]. وقال ابن عبد البرّ في الإستيعاب[٥]: سُمّ الحسن بتدسيس من معاوية، ولمّا بلغ معاوية موت الحسن أَظهر الفرح، وسجد، وسجد من معه[٦]. وقال ابن عبد ربّه[٧]: «إن معاوية لما بلغه خبر موت الحسن خرَّ ساجداً».

قال ظافر القاسمي، في كتابه الخلافة في الشريعة والتاريخ: «حصل معاوية على البيعة بالتقتيل والتدمير والتحريق وشتمه أصحاب رسول الله واستغل أموال المسلمين التي جمعها طوال عشرين عاماً بولايته على الشام، ليوطِّد سلطانه بعد أن أخرج أموال المسلمين عن مصارفها الشرعية، ورتب عطاءً اسمه رزق البيعة، يعطى للجند عند تعيين خليفة جديد»[٨].

خلافة يزيد بن معاوية

بعد أن مرَّغ معاوية كبرياء الأمة وكرامتها، وقد أحس أن منيته قد دنت، أخذ

---

(١) راجع تاريخ ابن كثير ٨/ ٤٣.
(٢) مروج الذهب ٢/ ٥٠.
(٣) مقاتل الطالبيين ص ٢٩.
(٤) راجع شرح النهج ٤/ ٤.
(٥) ١/ ١٤١، وراجع تذكرة الخواص لابن الجوزي ص ١٢١.
(٦) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١/ ١٤٤.
(٧) العقد الفريد ٢/ ٢٩٨، راجع تاريخ الخميس ٢/ ٢٩٤.
(٨) ظافر القاسمي ص ٣٨٣، وراجع كتابنا المواجهة ص ٦٣٩ طبع الغدير ـ بيروت سنة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

يعد العدّة ليجعل الخلافة وراثية في نسله مبتدئة بابنه يزيد بن معاوية المعروف بفجوره وعهره، فحصل على موافقة أم المؤمنين عائشة(1). ثم حصل له على بيعة أهل الشام وأهل العراق، وذهب إلى المدينة وأعلن أنَّ غايته من استخلافه لابنه يزيد أن يجنِّب المسلمين الإختلاف، ولأنه يكره أن يترك أمة محمد كالضأن لا راعي لها، ولأن ابنه أولى من أبناء الناس. وهكذا صار يزيد بن معاوية خليفة لرسول الله بعهد من أبيه الخليفة المتقلب، ومعاوية على فراش الموت، أوصى ابنه يزيد بأن يرسل مسلم بن عقبة إلى المدينة إذا ثار أهلها، وثار أهل المدينة فعلاً، وأرسل يزيد مسلم بن عقبة فأباد كامل البدريين، وقتل من المهاجرين والأنصار سبعمائة، وقتل عشرة آلاف من العرب والموالي بيوم واحد، يوم المرو، سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢م، وأخذ البيعة من الناس على أنهم خول وعبيد، يتصرف بهم أمير المؤمنين يزيد بن معاوية كما يتصرف المالك في عبيده وأقنانه، وختم أيدي وأعناق الصحابة إمعاناً بإذلالهم، وحَبَّل جيشه ألف عذراء ولد من غير أزواج، وقد أجمع المؤرخون على هذه الحقائق(2)، ثم سار إلىٰ مكة فهدم الكعبة نفسها! تلك حقيقة لا يقوى على إنكارها إلا جاهل ومجنون!! تلك هي بعض أفاعيل خليفة رسول يزيد بن معاوية. وكلما مات سيد قام سيد، والملك من بعد أبي ليلى لمن غلب!

التغلب والقهر في مواجهة الترتيبات الإلهية

الإشاعة الساقطة في موازين العقل والمنطق

زعم قادة التاريخ وشيعتهم أن رسول الله قد انتقل إلى جوار ربّه، ولم يجمع القرآن الكريم وهو حجته الكبرى، ودون أن يبيِّن للناس من هو الخليفة من بعده، أو أن يحدد طريقة تنصيب هذا الخليفة وتعيينه! وهذا الزعم قد تحوَّل إلى إشاعة روَّجتها وسائل إعلام قادة التاريخ، وحشتها في الأذهان قسراً، وحافظت الخاصة والعامة على هذه الإشاعة التي صارت جزءاً من تراثها وممتلكاتها. مع أن هذه

---

(1) راجع الكامل لابن الأثير ٣/ ٢١. والعقد الفريد ٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٤، وتاريخ ابن كثير ١/ ٢١٢.
(2) راجع تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٥٠، وسيرة الرسول وأهل بيته ٢/ ١٨٢.

الإشاعة ساقطة علمياً بموازين العقل والمنطق، ولأنها تتنافى مع كمال الدين وتمام النعمة الإلهية، فهل يُعقل أن يبيِّن الرسول للناس كيف يتبوّلون ولا يبيِّن لهم من هو الخليفة من بعده؟ ويترك الأمة التي أحبها فريسة للخلاف والإختلاف على الرئاسة من بعده؟! ثم ليدلّني قادة التاريخ وشيعتهم على خليفة واحد قد مات ميتة طبيعية دون أن يعيِّن من يخلفه! فإذا أصروا على القول بأن الرسول قد انتقل إلى جوار ربه وترك أمته هملاً لا راعي لها على حد تعبير عائشة أم المؤمنين؛ فلماذا لم يقتدوا برسول الله ويتركوا الأمة كما تركها الرسول؟! وإن تراجعوا عن قولهم بالتخلية وقالوا: إن الرسول قد عيَّن الولي من بعده في غدير خم، وأن الناس قد بايعوه وقدموا له التهاني بالإمارة، فلماذا خالفوا رسول الله وأهملوا الترتيبات الإلهية ونصبوا غيره؟! فأين يفر قادة التاريخ وأشياعهم، لقد سقطوا في دائرة الإدانة الإلهية! إن أمرهم لا يعنيني وحسابهم على الله، وما يعنيني هو كيف تنهض هذه الأمة، وكيف تعود للترتيبات الإلهية، حتى يستقيم أمر الفرد والأسرة والجماعة والأمة والدولة معاً في ظل هذه الترتيبات الإلهية الحكيمة؟.

الشرعية والترتيبات الإلهية

طوال عهد النبوة المبارك، وفي مرحلتي الدعوة والدولة يؤكِّد الرسول: إن الولي والخليفة، والإمام، والقائد، والسيّد من بعده هو علي بن أبي طالب، حيث أن الله اختاره وأعده وأهَّله لذلك، فصار، في موازين العلم الإلهيّ، هو الأعلم، والأفهم بالدين، والأصلح، والأفضل، والأتقى. وبتعبير أدق أُعِد ليكون أوحد زمانه بعد وفاة النبي، وطوال عهد النبوة، والرسول يؤكد أن رئاسة الأمة الإسلامية محصورة باثني عشر إماماً من أهل بيت النبوة يتتابعون على قيادتها. وقد وثّقنا ذلك في الصفحات السابقة.

وعندما رجع الرسول من حجّة الوداع جمع الناس في غدير خم، وسألهم إن كانوا ما زالوا يعتقدون أن الرسول مولاهم ووليهم فأجابته الجموع بلسان واحد، أنت مولانا ولينا، فقال الرسول: إنه بعد عودته سيمرض وسيموت من مرضه وأحب أن يلقي إليهم القول معذرة، فأعلن لهم أن علياً بن أبي طالب هو مولى

وولي من كان الرسول مولاه ووليه، فولاية علي بن أبي طالب كولاية الرسول، وولاية الرسول كولاية الله، وهكذا ربط الرسول ربطاً محكماً بين هذه الولايات الثلاث، فمن يرفض ولاية علي فقد رفض ولاية رسول الله، ومن يرفض ولاية رسول الله فقد رفض ولاية الله، ومن رفض ولاية الله فهو كافر رغماً عن أنفه، وسيكبه الله في النار على وجهه شاءت الجموع أم أبت. وفهمت الجماهير المجتمعة في غدير خم هذا الربط المحكم وتقدمت من الإمام مهنئة بالولاية والإمارة، وكان من جملة المهنئين أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وأركان حزب عمر.

ولم يكتفِ الرسول بهذا الربط المحكم عندما أعلن، وفي الموقف نفسه، أنّ القرآن ثقل وركن بعده، وأن أهل بيت النبوة ثقل آخر، وأن الهداية من بعده لا تُطلب ولا تُدرك إلا بالتمسك بالثقلين، ومن المستحيل على الأمة أن تتجنب الضَّلالة إلا بالتمسك بالثقلين معاً. فالقرآن بمثابة القانون النافذ، وعميد أهل بيت النبوة في كل زمان بمثابة الإمام أو القائد أو المرجع أو الجهة المُعدَّة لفهم القرآن فهماً قائماً على الجزم واليقين. وهكذا وكما ربط الرسول ولاية علي بولايته، وربط ولايته بالولاية لله، ربط القرآن بأهل بيت النبوة، وربط أهل البيت بالقرآن.

وأكد الرسول استحالة إدراك الهدى إلا بالاثنين، واستحالة تجنب الضلالة إلا بالاثنين معاً، وهكذا حسم الرسول نهائياً وبوضوح تام مشكلتيّ أو ظاهرتيّ القيادة والقانون إلى يوم الدين!

وقد جاء في القرآن الكريم أن الله خص آل ابراهيم بالنبوة والملك والكتاب والحكمة، ولم يندهش أحد من هذا الفضل الإلهي، وقد صرّح الرسول أنه أفضل من ابراهيم.

لو أن الجميع قد قبلوا بالترتيبات الإلهية التي أعلنها الرسول في غدير خم لاشترك الجميع في تشييع جثمان النبي الطاهر، وواراه الجميع في ضريحه المقدَّس، وتقدم الجميع من علي بن أبي طالب بعد ذلك فبايعوه ليكون إمامهم ووليهم لأن ولايته كولاية الرسول، عندئذٍ يحكم الإمام علي بين الناس بكتاب الله

الذي يفهمه فهماً يقيناً، ويسعد الناس في ظلال الحكم الإلهي، حتى إذا ما انتقل الإمام إلى جوار ربه شيعته الأمة مجتمعه، ثم بعد ذلك بايعت الإمام الحسن الذي أعده الله للقيادة بعد أبيه، ثم الإمام الحسين، وهكذا، فالأمة تعرف أئمتها وقادتها إلى يوم القيامة، عندئذٍ تستقر مؤسسة الحكم في الإسلام، وتصبح مثلاً أعلى ويستقطب نظامها العالم كلّه، وينقطع دابر التنافس على الخلافة والرئاسة ويشعر الجميع بالرضا لأن الإمام هو ابن نبيّ الجميع وهو المعبِّر، والمهيأ إلهياً ليكون الأعلم، والأفهم بالدين، والأفضل والأصلح، والأتقى أي أنه وحيد زمانه المميز الذي ينفِّذ الحكم الإلهي بدون زلل ولا خطأ!! ثم إن الجميع يبايعونه ويعاهدونه على التعاون معه لتنفيذ الأحكام الإلهية. فتحكم الرعية نفسها بنفسها، ويحكمها الأعلم والأفضل والأتقى والأصلح بعلم الله لا بعلمها، فتخرج من دائرة الظن والتخمين إلى دائرة الجزم واليقين، فلا مفاجآت ولا غموض، ولا ظلم ولا عسف فالحكم الإلهي، هو الحاكم والحكم معاً. وفي وقت يطول أو يقصر؛ تتكون الدولة العالمية التي تنظم تحت جوانحها الأسرة البشرية كلّها، حيث تقدم لها العدل والإنصاف والمساواة والحرية، ويختفي التنازع على الرئاسة إلى الأبد بعد أن يتذوق الجنس البشري طعم حكم الإمام النموذج، وعدله وإنصافه.

لعمر وأبناء بطون قريش رأي آخر

عمر بن الخطاب وأبناء بطون قريش الـ٢٣ يعرفون الترتيبات الإلهية معرفة تامة، فقد حضروا اجتماع الغدير، وقدموا التهاني للإمام، ولكن عمر بن الخطاب وأبناء بطون قريش الـ٢٣ أَنِفوا من اتباع الترتيبات الإلهية التي أعلنها الرسول في غدير خم، وأَنِفوا من القبول بولاية علي بن أبي طالب وأهل بيت النبوة لا لسبب إلا لأنهم من بني هاشم، وعمر بن الخطاب وأبناء بطون قريش الـ٢٣ يرون أنه ليس من المنطق ولا من العدل أن يجمع الهاشميون النبوة والخلافة معاً، وأن يحرم بطون قريش من هذين الشرفين معاً، والأصوب والأوفق على حد تعبير عمر أن يختص الهاشميون بالنبوة لا يشاركهم فيها أحد من البطون، وأن تختص البطون بالخلافة لا يشاركهم فيها هاشمي قط.

لذلك قرر عمر بن الخطاب وأركان حزبه من أبناء بطون قريش الـ٢٣ أن يلغوا بالقوة كافة الترتيبات الإلهية التي أعلنها رسول الله في غدير خم، مستعيضين عنها بترتيبهم الجديد! وتكوّن واقعياً حزب جديد يضمّ أبناء البطون الـ٢٣، والمرتزقة من الأعراب والمنافقين. كان الجامع المشترك لهم جميعاً كراهيتهم لولاية علي وأهل بيت النبوة.

وعندما أراد الرسول أن يكتب توجيهاته النهائية؛ جَمَعَ عمرُ بن الخطاب أركانَ حزبه، وحالوا بين الرسول وبين كتابة ما أراد، وقالوا له وجهاً لوجه: «أنت تهجر، ولا حاجة لنا بوصيتك ولا بكتابك، والقرآن يكفينا»، واغتنموا فرصة انشغال علي بن أبي طالب وأهل بيت النبوة بتجهيز الرسول وتكفينه ودفنه فنصبوا خليفة، وفرضوه بالقوة على الناس، وواجهوا الإمام الشرعي والترتيبات الإلهية بأمر واقع لا طاقة على دفعه.

وهكذا ابتدعت نظرية القوّة والتغلّب، وأُلبِست بالقوّة والإكراه الزَّي الإسلامي، فقد تجاهل عمر وأركان حزبه بطون قريش الـ٢٣ الشرعية الإلهية، ونصَّبوا بالقوة وبكثرة التابع إماماً أو خليفة ليشغل منصب الإمامة الشرعية، بعد إقصاء الإمام الشرعي بالقوة، وبعد غصب منصب الإمامة وإقصاء الإمام الشرعي عن منصبه، صار الذين بايعوا الإمام أو الخليفة الغاصب بمثابة جيش له، يدافعون عنه، ويوطدون له بالقوة والترغيب والترهيب.

ولا يجدون حرجاً ولا غضاضة باستعمال أية وسيلة تحقّق غايتهم، فبنفس اليوم الذي مات فيه الرسول جَمَعَ عمر بن الخطاب الحطبَ وَهَمّ بإحراق بيت فاطمة بنت رسول الله على من فيه وهم أحياء، وفيه الإمام الشرعي، وسبطا الرسول وابنة الرسول وقد وثقنا ذلك، وفي يوم وفاة الرسول هدَّدوا الإمام علي بالقتل إن لم يبايع، وبعد يومين من وفاة الرسول صادروا تركة الرسول وحرموا ورثته من هذه التركة، وصادروا مِنَح الرسول التي أعطاها لهم، وحرموا أهل بيت النبوة من نصيبهم بالخمس المقرَّر لهم بآية محكمة، وبعد عدة أيام من وفاة الرسول سَرَّبت وسائل إعلام الدولة التي يملكها الخليفة الغالب أن رسول الله قد

قال لزوجته عائشة ابنة الخليفة أن علياً بن أبي طالب من أهل النار ويموت على غير ديني، بمعنى أن الخليفة الذي يستولي على منصب الإمامة الشرعية بالقوة والتغلّب يهون عليه فعل أي شيء يضمن غصبه لمنصب الإمامة. فإذا استقرت سلطة الخليفة الذي نال منصب الخلافة بالقوة والتغلب والقهر يصبح منصب الخلافة جزءاً من ممتلكات الخليفة يتصرّف به على الوجه الذي يراه، فيعهد بالخلافة من بعده لصديقه كما فعل أبو بكر عندما عَهِدَ بالخلافة لعمر، وكما فعل عمر عند عهده عملياً بالخلافة لصديقه عثمان، أو لابنه كما فعل معاوية عندما عهد بالخلافة ليزيد، وكما فعل مروان بن الحكم عندما عهد بالخلافة لابنه عبد الملك بن مروان، وطوال التاريخ السياسي الإسلامي والخلافة ملك لمن غلب، أو لمن عهد إليه الغالب وقد اعتبر هذا الأسلوب شرعياً ومقبولاً يقول عضد الدّين الأبجي في كتابه (المواقف) المقصد الثالث: «إن الإمامة تثبت بنصٍ من الإمام». وقال قاضي القضاة الماوردي: «إن الخلافة تثبت بالقهر والغلبة، ولا تفتقر إلى العقد، فمن غلب بالسيف حتى صار خليفه، وسمي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً براً كان هذا الغالب أو فاجراً فهو أمير المؤمنين»! وقال في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم تكون الجمعة مع من غلب، والدليل على ذلك أن عبدالله بن عمر بن الخطاب قال يوم الحرة: «نحن مع من غلب»[(١)]، ومن الطبيعي أن هذا الخليفة الغالب يتمتع بحق تعيين خليفته من بعده لأنه ينظر للناس حال حياته ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته، ويقيم لهم من يتولّى أمورهم، كما بيَّن ذلك ابن خلدون في مقدمته[(٢)]!

وقد قام تاريخ الخلافة على هذا الأساس، فإذا أخذنا بعين الاعتبار شائعة أن رسول الله قد خلى على الناس أمرهم نجد أن فعل الخلفاء هو السند الشرعي الوحيد في هذه الناحية، وسند الإجماع ما هو إلا للتقوية والدعم، فمن يجرؤ على

---

(١) راجع الأحكام السلطانية ص ٧ ـ ٨.

(٢) ص ١٧٧.

مخالفة الغالب!؟ وهل يتحقق الإجماع بالإكراه؟! ثم أين هي الأحكام الشرعية؟!

والحقيقة الثانية هي أن الخليفة القائم هو المختص وحده بتعيين الذي يليه، وأنه لا خيار أمام الأمة، فإما أن توافق على قرار الغالب فتبايع من عهد عليه، أو تعارض وتقع الفتنة، والموافقة أسلم!

وأنت تلاحظ أن هذه القواعد كلها وضعية من جميع الوجوه، بمعنى أن الحُكّام قد وضعوها من تلقاء أنفسهم ولا علاقة لله ولا لرسوله بما فعله الحكام المتغلبون[1] فنظام الخلافة التاريخي قام أصلاً على فكرة التغلّب والقهر وعلى عهد من متغلِّب قاهر! فأبو بكر لم يصبح خليفة لأنه صحابي، أو لأنه صهر الرسول أو. . . الخ؛ إنما أصبح خليفة لأن المتغلّبين، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب نصَّبوه خليفة، وعمر لم يصبح خليفة لأنه صحابي أو لأنه صهر الرسول أو لأية مزايا فيه، إنما أصبح خليفة لأن الخليفة السابق قد عهد إليه، وهذه حال عثمان، ومعاوية لم يَنَلْ الخلافة لمميزات فيه، فهو طليق وابن طليق، وركن من الأحزاب وابن قائد الأحزاب، إنما أصبح خليفة بالقوة والقهر، وصار ابنه يزيد خليفة بعهد منه، وصار حفيده معاوية خليفة بعهد من أبيه. ولما برز مروان بن الحكم واستولى على منصب الخلافة بالقوة والتغلب والقهر؛ أخرج الخلافة من آل أبي سفيان، وبدأت دورة العهد في ذرية الحكم بن العاص حتى غلبهم العباسيون.

والعباسيون لم تؤل لهم الخلافة لأنهم أولاد عم الرسول إنما حصلوا عليها بالقوّة والتغلّب والقهر، وانتقلت من خليفة إلى خليفة بالعهد حتى زال الحكم العباسي.

والعثمانيون لم يأخذوا الخلافة لأنه لا فرق بين عربي وعجمي، إنما أخذوها بالقوة والتغلّب والقهر، وتداولوها في ما بينهم عن طريق العهد. تلك هي النتائج المفجعة لتجاهل الشرعية والترتيبات الإلهية، وهي ثمرة مُرّة ومنطقية

---

(١) راجع كتابنا الخطط السياسية، ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

لتجاهل الأئمة الشرعيين الذين اختارهم وأعلنهم رسوله لقيادة الأمة، وإمامتها. هذا هو جذر البلاء وأساس الخلاف والاختلاف، وسبب الفتن التي اكتوت الأمة بنارها.

الإمامتان وجدتا معاً طوال التاريخ

الإمامة الواحدة

منذ اللحظة التي تكوّنت فيها الأسرة البشرية الأولى على الأرض، وبدأت عملية التناسل والتكاثر، وجدت فكرة الإمامة أو مؤسَّستها، وكانت تعني القوامة والولاية والقيادة والمرجعية، فكان آدم (عليه السلام) هو الولي وهو القيِّم، وهو القائد، وهو المرجع لأسرته ولمجتمعه الصغير، أو بتعبير أدق هو إمامه لأنه المثل الأعلى. وقد اختار الله سبحانه وتعالى آدم لهذه المهمّة، وأعدّه، وأهلّه لها، وجعله الأعلم، والأفهم، والأفضل، والأقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وطلب منه أن يقوم بأمر الله في هذا المجتمع الصغير، ويهدي بهدي الله، ويسوس أفراد مجتمعه وفق الأوامر الإلهية، ويرشدهم إلى الخير، وإلى ما يسعدهم في الدارين. وقد التصقت المجموعة البشرية الأولى بإمامها وتبنّت مواقفه، واقتنعت بأنه الأعلم، والأفهم، والأفضل وأنه مُعَدٌّ ومؤهَّل إلهياً للقيادة والمرجعية، فتجانست تلك المجموعة وأصبح لها رأي واحد، وتوجّه واحد، والتزمت بخطوط عريضة وتفصيلية واحدة، وبقيت المجموعة البشرية الأولى أمة واحدة لها إمام واحد، حتى قتل قابيلُ هابيل، أخاه فبدأت الشرور، تعمل وتسرّع عملية التآكل في المجتمع البشري الأول، وأوحى الله إلى آدم أنه متوفيه، وأنه تعالى قد اختار ابنه (شيث) ليقوم بالإمامة، وبأمر الله من بعده، وأنه تعالى قد أعدّ وأَهَّل (شيث) للإمامة والولاية من بعد أبيه، وطلب من آدم أن يسلِّمه الصحف، ويوحي إليه، ويستودعه العلم.

قيام الإمامتين معاً

بعد موت (آدم) ووصيته وعهده إلى (شيث) بدأ الشر يتململ في المجتمع الإنساني، وبدأت الثورة على الشرعية الإلهية، لأن (قابيل) القاتل يعتقد أنه أولى من (شيث) بالإمامة والولاية والوصاية من بعد أبيه، وأن (شيث) ليس هو الأفضل وليس هو الأعلم، وأن مصلحة المجتمع البشري تقضي بأن يكون (قابيل) هو الإمام من بعد أبيه، فجر (قابيل) ذريته، وجمع أسباب القوة، واستولى على منصب الإمامة بالقوة والتغلّب والقهر، وصار إماماً فاجراً، وأخذ يسوس الناس بأمره لا بأمر الله بعد أن خلع شيث الإمام الشرعي المُعَيَّن من الله، وهدَّد أخاه (شيث) بضرورة التزام الصمت، وبغير ذلك فسيقتله كما قتل أخاه (هابيل) من قبل. ونظراً لقلة شيعة (شيث)، ولكراهيته لسفك الدماء، ولالتزامه بالأساليب الشرعية. وليبقىٰ رمزاً للخير، ومرجعاً لأهل الخير، وليطلع الناس بهدوء على حقيقة ما جرى، اضطر شيث للموادعة. ومن ذلك التاريخ نشأت الإمامتان ووجدتا معاً.

١ ـ إمامة شرعية يقودها إمام شرعي اختاره الله، وأعلنه رسوله، وأعدَّه الله وأَهَّلَه ليكون الأعلم، والأفهم بأمر الله، والأفضل والأقرب لله.

٢ ـ إمامة غير شرعية فاجرة، جاءت عن طريق القوة والتغلّب والقهر. المؤهِّل الوحيد لإمامها الفاجر هو القوة والتغلب.

وضع الإمامتين من الناحية الواقعية

١ ـ **الإمامة الشرعية**: إنَّ الإمامة الشرعية مجرَّدة بالقوة من كافة سلطاتها وصلاحياتها، ومحددة الإقامة ومغمورة، تتجاهلها جميع وسائل الإعلام، ولا تستطيع هذه الإمامة أن تمارس دورها وصلاحياتها إلا في حدود معينة وبمنتهى السرية والحذر حتى لا تثير حفيظة الإمام الفاجر القوي المتغلِّب، وهي تعيش اجتماعياً في عُزلة، واقتصادياً في كفاف، ومع هذا فإنها تمارس دور القيادة والمرجعية والتوجيه لأعوانها القلّة، وتبصر الناس بالحقيقة وما جرى وبأمر الله ما

وجدت إلى ذلك سبيلاً، وتوحي للناس أن ما يعيشونه مجرد واقع منقطع عن الشرعية.

وهذه الإمامة الشرعية مقتنعة أنه في وقت قد يطول أو يقصر؛ ستتمكن من تقويم الانحراف الحاصل في المجتمع، وإقناع الناس بالصواب، وبالأوامر الإلهية وقدرتها على سياسة المجتمع وهدايته للأقوم، فإذا اقتنعت الأكثرية الساحقة من المجتمع بالحقيقة وبالأوامر الإلهية، واقتنعت بقدرتها على سياسة المجتمع، عندئذٍ ستتخلى الأكثرية عن الإمام الفاجر من تلقاء نفسه، وتلتف حول الإمام الشرعي، عندئذٍ يسقط الإمام الفاجر من تلقاء نفسها، وتتلاشى الإمامة الفاجرة، لتحل محلها الإمامة الشرعية فيخرج الناس من عهود التغلّب والقهر، ويدخلون في عهد الشرعية الإلهية والسعادة المتوازنة بين الدارين.

٢ ـ الإمامة الفاجرة وغير الشرعية: في الوقت الذي تكون فيه الإمامة الشرعية، معزولة ومغمورة اجتماعياً، ومحدَّدة الإقامة، ومهدَّدة تعيش على الكفاف فإن الإمامة الفاجرة وغير الشرعية تكون هي المالكة الفعلية لمال المجتمع، ونفوذه، وقوته، وسلطته، وهي المسيطرة على وسائل الإعلام والمال والنفوذ، والقوّة، والسلطة بوسائل رهيبة، وأسلحة فتاكة تستعملها الإمامة الفاجرة، لتأليف القلوب من حولها، بالعطاء، واستقطاب الناس وصدهم عن السبيل القويم، وتصغير منزلة الإمام الشرعي وتجاهله عن الإقتضاء، وتُسوِّغ قتله إذا أرادت تحت شعار أنه مفارق للجماعة، شاقٌّ لعصا الطاعة. والأهم من ذلك أننا أمام دولة حقيقية تأمر فتُطاع، وتفرض طاعتها بالتغلُّب والقهر، ويبقى الإمام الفاجر على رأس دولته متمتعاً بالجاه والنفوذ ما دام غالباً وقاهراً.

انتقال منصب الإمامة في الإمامتين البَرَّة والفاجرة

١ ـ الإمامة الشرعية: لا تخلُو الأرض دائماً من إمام شرعي يقوم بأمر الله، ويبقى قائماً بالأمر حتى تدنو منيته فيعهد بالإمامة إلى من يليه ممن اختاره الله وبيَّنه رسوله، وهكذا. . . إذ بالضرورة يجب أن يكون هنالك إمام شرعي يقوم بأمر الله

ويرمز إلى وجود الخير، وفكرة المثل العليا، أو الأمر والهَدْي الإلهيَّين.

٢ ـ الإمامة غير الشرعية: الإمام الفاجر وغير الشرعي هو الغالب الذي يحصل على منصب الإمامة بالقوّة والتغلّب والقهر، ويبقى إماماً فاجراً ما دام غالباً؛ فإذا أدركته المنية ـ وهو ما زال غالباً ـ يعهَد بالأمر إلى ابنه، أو أخيه، أو صديقه، أو أحد المخلصين من أعوانه، وتستمر دورة العهد حتى يظهر على المسرح متغلِّب جديد، فيحصل على الإمامة والولاية بالقوة والتغلب والقهر، وينطبق عليه ما ينطبق على الذين سبقوه من حيث دورة العهد.

الأئمة الاثنا عشر

ما أسلفنا كان خلاصة وجيزة لما جرى لمنصب الإمامة طوال التاريخ البشري الطويل، فلما جاء رسول الله، أرسى قواعد مؤسَّسة الإمامة، فبيَّن أنه خاتم النبيين، فلا نبيّ بعده، وأن الإسلام هو دين الله فلا دين سواه، وأن مستقبل الجنس البشري يتوقَّف على منصب الإمامة أو الولاية، لأن الإمام أو الولي هو القائم مقام النبي وهو المؤدّي عنه. لذلك بيَّن الرسول أنَّ الأئمة من بعده اثنا عشر إماماً أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم محمد بن الحسن المهدي، وكلّهم من ذرّية النبي.

وكان المفترض بالأمة الإسلامية أن تتعظ بما جرى للأمم السابقة، وأن تتجنَّب أخطاء تلك الأمم، وأن تستفيد من تجاربها، إلا أنها ـ مع الأسف الشديد ـ لم تفعل ذلك، فوقعت في الأخطاء نفسها التي وقعت فيها الأمم السابقة، وحلّت عُرى دينها عُروة عروةً مبتدئة بعروة الحكم. إذ غصبت منصب الإمامة والولاية من صاحبها الشرعي، والنبي على فراش الموت، ونقضت وبالقوة والتغلب والقهر عروة الحكم الإلهي، وهدَّدت الإمام الشرعي بالقتل، تماماً كما فعل قابيل وأولاده بشيث، وشرعت بحرق بيت فاطمة بنت محمد علىٰ مَن فيه وهم أحياء، ثم جرَّدت أهل بيت النبوة من كافة حقوقهم، فحرمتهم من تركة النبي بعد أن صادرت تلك التركة، وحرمتهم من المِنَح التي أعطاها لهم النبي حال حياته، وحرمتهم من حقِّهم بالخُمس الوارد بآية محكمة، وحرمتهم من كافة حقوقهم السياسية، فحرمت عليهم تولِّي الولايات والوظائف العامة، وجعلتهم سَوَقة يطمع فيهم

الضعيفُ، ويتعزّز عليهم الذليل. كما قال الإمام علي، وتمالأت عليهم بطون قريش، والمنافقون، والمرتزقة من الأعراب، ما لهم من ذنب إلا أن الله اختارهم للإمامة والولاية، وطهَّرهم من الرجس، وجعل ولايتهم كولاية الرسول، وولاية الرسول كولاية الله، واعتبرهم الله تعالى ثقلاً، والقرآن ثقلاً آخر، وبيّن أن الأمة لن تهتدي إلا إذا تمسَّكت بالثقلين، ولن تتجنب الضَّلالة إلا بالتمسك بهذين الثقلين معاً، فوجد عليهم القوم، وحسدوهم وساموهم سوءاً. . .

ومع هذا لم يستسلم الأئمة الكرام، إنّما قاموا بأمر الله طوال التاريخ السياسي الإسلامي، فما وُجِدَ خليفة قاهر وغالب؛ إلا وقد وُجِد في زمانه إمام شرعي يهدى بأمر الله، ومرَّ الأئمة الكرام بالظروف المؤذية التي مرَّ بها أنبياء الله من قبل، وتعرّض الأئمة للأذىٰ والمهانة والقتل، فالتحق بالرفيق الأعلى أحد عشر إماماً منهم، وبقي صاحب الزمان (عجل الله فرجه).

الأئمة ينعمون في رضوان الله، لم يخسروا لأنهم قد قاموا بأمر الله ما وسعهم الجهد حتى اختار الله لهم ما عنده، لكنَّ الأمة كانت هي الخاسر الوحيد طوال التاريخ، لقد عضَّها الظلم بأنيابه، ودفعت أعلى الضرائب، وما زالت تدفع، وحُرِمَت من نعيم الحكم الإلهي، ومن جلال إمامة الأئمة الكرام. وفي وقتٍ يطول أو يقصر ستدرك الأمة أنها لن تهتدي إلا إذا تمسكت بالثقلين معاً كتاب الله كقانون نافذ وأهل بيت النبوة عترته كإمامة أو قيادة ومرجعية، وأنه من المستحيل أن تتجنَّب الضَّلالة إلا بالتمسك بهذين الثقلين معاً.

هذه هي خلاصة الدين كما أجملها النبي يوم غدير خُم بعد رجوعه من حَجّة الوداع، وفي الخطبة نفسها التي أعلن فيها إمامة علي بن أبي طالب وولايته من بعد النبي. ورسول الله لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام/ ٥٠، يونس/ ١٥، الأحقاف/ ٩] لقد تم تشخيص الداء، ووصف الله ورسوله لكم الدواء، فاستمروا في معاناتكم إن شئتم، أو تناولوا دواءكم، وأنتم أحرار! والحمد لله أولاً وآخراً.

* * *

مصادر البحث ومراجعه

ت	المؤلِّف	عنوان الكتاب
١	ابن أبي الحديد	شرح نهج البلاغة
٢	ابن تيميّة	منهاج السُنّة
٣	إبن الجوزي	زاد المسير
٤	ابن الجوزي (السبط)	تذكرة الخواص
٥	ابن حنبل	مسند الإمام أحمد بن حنبل
٦	ابن خلدون	تاريخ ابن خلدون
٧	ابن سعد	الطبقات الكبرىٰ
٨	ابن عبد البر	الاستيعاب
٩	ابن عبد البر	جامع بيان العلم
١٠	ابن عبد ربّه	العقد الفريد
١١	ابن العربي	الشرح علىٰ سنن الترمذي
١٢	ابن عساكر	ترجمة الإمام الحسين(ع) من تاريخ دمشق
١٣	ابن عساكر	ترجمة الإمام علي(ع) من تاريخ دمشق
١٤	ابن قتيبة	الإمامة والسياسة
١٥	ابن قتيبة	المعارف
١٦	ابن كثير	البداية والنهاية
١٧	ابن كثير	تاريخ ابن عساكر
١٨	ابن منظور	لسان العرب
١٩	ابن النديم	الفهرست
٢٠	ابن واضح الإخباري	تاريخ اليعقوبي
٢١	أبو نعيم	حلية الأولياء
٢٢	الأصفهاني	مقاتل الطالبيين
٢٣	الأميني	الغدير في الكتاب والسُنّة والأدب
٢٤	الأيجي	المواقف في علم الكلام
٢٥	أيّوب	معالم الفتن
٢٦	الباقلاني	التمهيد

ت	المؤلِّف	عنوان الكتاب
٢٧	البُخاري	الصحيح
٢٨	البغدادي	بلاغات النساء
٢٩	البغدادي	تاريخ بغداد
٣٠	البلاذري	أنساب الأشراف
٣١	البيهقي	سنن البيهقي
٣٢	الترمذي	نوادر الأصول
٣٣	الجوهري	السقيفة
٣٤	الجويني	الإرشاد والكلام
٣٥	الحرّاني	تحف العقول عن آل الرسول
٣٦	الحسكاني	شواهد التنزيل
٣٧	الحاكم	المستدرك
٣٨	الخوارزمي	مقتل الحسين
٣٩	الخوارزمي	المناقب
٤٠	الدينوري	الأخبار الطوال
٤١	الذهبي	تذكرة الحُفّاظ
٤٢	الذهبي	ميزان الإعتدال
٤٣	الرّازي	كفاية الأثر
٤٤	السّيوطي	الحاوي للفتاوي
٤٥	السيوطي	جمع الجوامع
٤٦	الشافعي	بديع المعاني
٤٧	الشافعي	مناقب أمير المؤمنين علي (ع)
٤٨	شرف الدين	المراجعات
٤٩	الشهرستاني	الملل والنحل
٥٠	الصَّدوق	إكمال الدّين
٥١	الطبراني	المعجم الصَّغير
٥٢	الطبري	أعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ

ت	المؤلِّف	عنوان الكتاب
٥٣	الطبري	تاريخ الأمم والملوك
٥٤	الطبري	جامع البيان في تفسير القرآن
٥٥	الطبري	ذخائر العقبىٰ
٥٦	الطبري	الرّياض النَّضرة
٥٧	العسكري	معالم المدرستين
٥٨	علي بن سلطان	المرقاة
٥٩	العمري	مشكاة المصابيح
٦٠	الغزالي	سر العالمين وكشف ما في الدّارين
٦١	الفرّاء	الأحكام السلطانية
٦٢	القاسمي	نظام الحكم في الشريعة والتاريخ
٦٣	القرشي	الإمام زين العابدين (ع)
٦٤	القرطبي	جامع الأحكام
٦٥	القوشجي	شرح التجريد
٦٦	المالكي	الفصول المهمّة
٦٧	الماوردي	الأحكام السلطانية
٦٨	المجلسي	بحار الأنوار
٦٩	محمد حميد الله	مجموعة الوثائق السياسية
٧٠	المسعودي	مروج الذّهب ومعان الجوهر
٧١	المسعودي	إثبات الوصية
٧٢	المقريزي	الخطط والآثار
٧٣	النسائي	خصائص أمير المؤمنين (ع)
٧٤	نصر بن مزاحم	وقعة صفّين
٧٥	النووي	شرح صحيح مسلم
٧٦	الهيثمي	مجمع الزوائد
٧٧	يعقوب	مرتكزات الفكر السياسي
٧٨	يعقوب	المواجهة مع رسول الله وآله(القصة الكاملة)
٧٩	يعقوب	النظام السياسي في الإسلام

الفهرس

الباب الثالث

الإمامة والولاية من بعد النبي ﷺ

الباب الرابع

الإنقلاب الأسود وقيام الإمامة غير الشرعية

